من فوائد غض البصر!!

بقلم: صلاح عبد الخالق

المقصود بغض البصر: ألا ينظر المرء بملء العين، وأن يكف النظر عما لا يحل له؛ بخفضه إلى الأرض أو بصرفه إلى جهة أخرى، وهو يشمل غض النظر إلى النساء، سواء كن في الشوارع أو المحلات، وكذلك الصور والإعلانات والجرائد والمجلات والفيديو والشاشات والكمبيوترات والفضائيات. وفي غض البصر فوائد عديدة، نذكر منها.

الفائدة الأولى: تطهير القلب من الذنوب.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

قال العلاّمة السعدي: ﴿أَزْكَى لَهُمْ﴾ أطهر وأطيب، وأنمى لأعمالهم، فإن من حفظ بصره وفرجه، طهر من الخبث الذي يتدنس به أهل الفواحش وزكت أعماله بسبب ترك المحرم.

الفائدة الثانية: يورث القلب نورًا وإشراقًا.

قال العلاّمة ابن القيم: هذا النور يظهر في العين والوجه وفي الجوارح، كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه، وهذا والله أعلم ما ذكر الله سبحانه وتعالى في آية النور في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] عُقيب قوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾.

وجاء الحديث مطابقًا لهذا، كأنه مشتق منه، وهو قوله ﷺ: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن غض بصره عن محاسن امرأة أورث الله قلبه نورًا» أخرجه أحمد والحاكم.

الفائدة الثالثة: يفتح طرق العلم.

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. قال الإمام القرطبي: وعدٌ من الله تعالى بأن من اتقاه علّمه ويجعل في قلبه نورًا يفهم به.

الفائدة الرابعة: شكر النعمة:

البصر من أعظم النعم التي وهبها الله تعالى للإنسان لأجل أن يشكر الله المنعم وذلك باستعمال هذه النعمة في طاعة الله تعالى، فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة عليه وقابل النعمة بالجحود. قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

الفائدة الخامسة: التخلص من ألم الحسرة.

قال العلاّمة ابن القيم: فاضر شيء على القلب إرسال البصر، فإنه يريه ما يشتد طلبه ولا صبر له عنه ولا وصول له إليه، وذلك غاية ألمه وعذابه.

الفائدة السادسة: الوقاية من الزنا.

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَا﴾ [الإسراء: ٣٢]. والمعنى: لا تقتربوا منه ولا من مقدماته، كاللمسة والنظرة والغمزة... إلخ.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضيَ اللَّهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه».

الفائدة السابعة: القوة في الجماع.

اعلم أن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه. سأل بلال بن أبي بردة محمد بن واسع: ما بال أهل القرى أغلم الناس؟ (الأغلم : القوي على الجماع) قال: لأنهم لا يزنون، ومعنى ذلك أن البعد عن النظرة الحرام والعفة عن الزنا تزيد صاحبها قوة على الجماع.

الفائدة الثامنة: يخلص القلب من الغفلة عن الدار الآخرة.

قال العلامة ابن القيم: إن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الدار الآخرة، ويوقع في سكرة العشق، كما قال تعالى عن عشاق الصور: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]،

الفائدة التاسعة: الفرح يوم القيامة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله وعين سهرت في سبيل الله وعين يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله». [أخرجه أبو نعيم في «الحلية»، ورمز له السيوطي بالحسن].

الفائدة العاشرة: ضمان الجنة.

فعن عبادة بن الصامت رضيَ اللَّهُ عنه أن النبي ﷺ قال: «اضمنوا لي ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، احفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم». [رواه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك، ورمز له السيوطي بالصحة].

إعداد: صلاح عبد الخالق محمد

انتشرت بين الأطفال والشباب ظاهرة السباب، مما يؤذي أولي الألباب، فكان لا بد من وقفه للعتاب وتوضيح فصل الخطاب في هذا الموضوع.

النهي عن سب الدهر!!

من الناس من يسبّ الأيام، فيقول: هذا يوم كذا، أو يسب الليل أو النهار أو السنين بسبب نازلة أو مصيبة حدثت له، فهذا منهي عنه؛ لأنه اعتراض على قضاء الله وقدره.

ورد في الصحيحين: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: يُؤذيني ابن آدم يسبُّ الدّهر، وأنا الدّهر، أقلب الليل والنهار».

قال الإمام النووي: فإن الله هو الدّهر، أي: فاعل النوازل والحوادث، أمّا الدّهر الذي هو الزمان فلا فعل له، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى. اهـ. «شرح مسلم» (٥/١٥).

قال المحققون: من نسب شيئًا من الأفعال إلى الدهر حقيقة كفر، ومن جرى هذا اللفظ على لسانه غير معتقد فليس بكافر، لكنه يُكره له ذلك؛ لشبهه بأهل الكفر على الإطلاق. «فتح الباري» (٥٨١/١٠).

وسب الدهر إيذاء لله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

قال العلاّمة السّعدي: وهذا يشمل كل أذية قولية أو فعلية من سب أو شتم أو تنقص له أو لدينه أو ما يعود إليه بالأذى. «تفسير كلام المنان» (٦٧١/١).

النهي عن سب الدين!!

سب الدين- والعياذ بالله- كفر بَواح بالنص والإجماع؛ لقوله سبحانه: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ. لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

ويجب أن يُنصح ويُنكر عليه ذلك، فإن استجاب فالحمد لله، وإلا فلا يجوز أن يُبدأ من يسب الدين بالسلام، ولا يُرد عليه إن بَدأ، ولا يُجاب دعوته، ويجب هجره هجرًا كاملاً؛ حتى يتوب أو يُنفذ فيه حكم الله بالقتل من جهة ولي الأمر؛ لقوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه». أخرجه البخاري.

ولا شك أن المنتسب للإسلام إذا سب الدين فقد بدل دينه. [فتاوى اللجنة الدائمة رقم (٣٤١٩) (٥/٢)].

النهي عن سب الصحابة، رضي الله عنهم

جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه».

قال الإمام النووي: واعلم أن سب الصحابة رضي الله عنهم حرام من فواحش المحرمات، سواء من لابس الفتن منهم وغيره؛ لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون. اهـ. «شرح مسلم» (٩٣/١٦). وفيه أيضًا: قال القاضي عياض: سب أحدهم- الصحابة- من المعاصي الكبائر، هو مذهبنا ومذهب الجمهور.

النهي عن سب الوالدين!!

كثيرٌ من أبناء مجتمعنا يتمازحون فيما بينهم بسب الآباء والأمهات، ولا سيما هؤلاء الشباب المائعين ويتفكهون بكيل من السِّباب والشتائم بعضهم لبعض ويتضاحكون من هذا الكلام البذيء كأنه نوع من المدح!! أهكذا يجازي الأبناء الآباء؟ قال تعالى: ﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

قال العلاّمة السعدي في قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾: وهذا أدنى مراتب الأذى، نُبه به على ما سواه، والمعنى: لا تؤذهما أدنى أذية، ﴿وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾ أي: تزجرهما وتتكلم لهما كلامًا خشنًا. «تفسير كلام المنان» (٤٥٦).

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه». قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه، فيسب أمه».

قال ابن حجر في «الفتح» (٤١٧/١٠): قوله: فكيف يلعن الرجل والديه؟ هو استبعاد من السائل؛ لأن الطبع

المستقيم يأبى ذلك. اهـ.

النهي عن سب المسلم

في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فُسوقٌ وقتاله كفر». الفسق في الشرع: الخروج عن طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، وهو في عرف الشرع أشد من العصيان. قال تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧].

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باءَ بها أحدُهُما، إن كان كما قال، وإلا رَجَعت عليه».

قال الإمام النووي: من الألفاظ المذمومة المستعملة في العادة قوله لمن يخاصمه: يا حمار، يا تيس، يا كلب، ونحو ذلك، فهذا قبيح لوجهين: أحدهما أنه كذب، والآخر أنه إيذاء. «الأذكار» (٤٥٨).

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

النهي عن سب الأموات!!

ورد في صحيح البخاري (١٣٩٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدَّموا».

قال ابن حجر في «الفتح» (٣٠٤/٣): قوله «أفضوا» أي: وصلوا إلى ما عملوا من خير أو شر. وقال أيضًا: وأجمع العلماء على جواز جرح المجروحين من الرواة أحياءً وأمواتا. اهـ.

وفي «صحيح الترمذي» (١٩٠/٢) ومسند الإمام أحمد عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء».

النهي عن سب الأمراض!!

في صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ دخل على أُمّ السائب- أو أُم المُسيب- فقال: «مالك يا أم السائب- أو: يا أم المسيب- تزفزفين؟» قالت: الحُمى لا بارك الله فيها، فقال: «لا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يَذهب الكير خبث الحديد».

تزفزفين: تتحركين حركة شديدة أي ترعدين.

اعلم- أخي المسلم- أن جميع الأمراض والهموم التي تصيب المسلم تكفر عنه خطاياه ويمشي نقيًا من الذنوب كما تُنقي النار خبث الحديد ويصبح حديدًا نقيًا خالصًا، ولكن على المسلم أن يصبر ويحتسب؛ حتى يبلغ هذه المنزلة. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

النهي عن سب الريح!!

عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا الريح، فإن رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها، وشر ما أُمرت به». رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: لا ينبغي لأحد أن يسب الرياح فإنها خلق الله مطيع وجند من أجناده؛ يجعلها رحمة ونقمة إذا شاء. «الأذكار» (٢٣٨).

النهي عن سب الديك!!

في سنن أبي داود وصحيح الجامع (١٦١/٦) عن زيد بن خالد الجُهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الديك فإنه يُوقظ للصلاة».

وهناك فوائد أخرى للديك، منها في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكًا».

والمعنى: إذا سمعتَ صوت الديك فادع الله عز وجل واسأله من فضله. قال تعالى: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢].

قال العلاّمة السعدي: أي من جميع مصالحكم في الدين والدنيا، فهذا كمال العبد وعنوان السعادة. «تفسير كلام المنان» (١٧٦).

قال القاضي عياض: قوله: «فإنها رأت ملكًا» كان السبب فيه رجاء تأمين الملائكة على دعائه واستغفارهم له وشهادتهم له بالإخلاص. «الفتح» (٤٠٦/٦).

قال الداودي: يُتعلم من الديك خمس خصال: حُسن الصوت، القيام في السحر، والغيرة، والسخاء، وكثرة الجماع. «الفتح» (٤٠٦/٦).

ويؤخذ من هذا الحديث النهي عن السب والشتم حتى للحيوان أو الطير أو البهائم. «آفات اللسان» (١٣٩).

النهي عن سب الكفار!!

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

قال ابن كثير (١٦٧/٢): يقول الله تعالى ناهيًا الرسول ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين وهو «الله لا إله إلا هو». والله ولي التوفيق.

لهيب الشمس وهطول العرق

بقلم / صلاح عبد الخالق محمد

مما لا ريب فيه أن يوم القيامة شديد الأهوال:

فالأرض تتبدل والسموات تتغير ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم:٤٨].

اليوم نفسه يطول جدا حتى يصل إلى آلاف السنين ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤].

الناس في هذا اليوم حفاة عراة غرلٌ كما ولدتهم أمهاتهم ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف:٤٨].

الشمس تقترب من الرءوس: في صحيح مسلم عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل». قال: سليم بن عامر فو الله ما أدري ما يعني بالميل، أمسافة الأرض أو الميل الذي تكحل به العين؟ قال: «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه. ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما» قال: وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه.

والسؤال الهام هل تبقى الشمس على حرارتها المعتادة في الدنيا؟ أم تتبدل؟!

الإجابة في مصنف ابن شيبة بسند جيد عن سلمان قال: قال: رسول الله ﷺ تُعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تقترب من جماجم الناس..».

في الخبر الصحيح الذي ذكره ابن المبارك في زوائد الزهد ٣٧٢ (... ثم يزاد في حرها - الشمس - بضعة وستون ضعفا...).

كم يساوي درجات حرارة الشمس في الدنيا: العلم الحديث يوضح لنا حقائق علمية مثيرة للعجب : درجة حرارة سطح الشمس الخارجي ٦٠٠٠ درجة، ودرجة حرارة باطن الشمس ٢٠ مليون درجة ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح:١٦] وتدل كلمة سراج على حالة التوقد بوهج ويرسل الحرارة والضوء إلى الفضاء.

ومن رحمة الله بعباده أن هذه الدرجة الهائلة من الحرارة لا تصل كلها إلى الأرض لأنها لو وصلت لتحول مَنْ في الأرض من الحالة الصلبة إلى الحالة الغازية بدون نقاش، ولكن الله عز وجل جعل سقفا يحفظنا من الحرارة هل الغلاف الجوي هو السماء؟ وهو الغلاف الجوي ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء:٣٢] ومن العجب أن الغلاف الجوي ليس صلبا يمنع الضوء والحرارة أن تصل إلى الأرض؛ ولكنه مكون من غازات تسمح بوصول كميات مناسبة من الضوء والحرارة إلى الأرض حتى تستمر الحياة.

وهذا السقف على ارتفاع ألف كيلو متر فوق سطح الأرض والمسافة بين الشمس والأرض تساوي ٩٣ مليون ميل!! وبالرغم من هذا البعد الشاسع للشمس ووجود الغلاف الجوي إلا أننا لا نحتمل درجات الحرارة العالية - حسب ظننا - بل نفر إلى المراوح وأجهزة التكييف.

هطول العرق يوم القيامة

العرق: مادة ذائبة فيها الفضلات التي ترشح من الدم كالأملاح وحمض البوليك.

في صحيح البخاري رقم ٦٥٣٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا ويلجمهم العرق».

وفي صحيح مسلم يقول ﷺ: «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق» قال ابن حجر في الفتح: ظاهر الأحاديث أنهم يستوون في حصول العرق ويتفاوتون في حصوله فيهم.

مع أن كل واحد في يوم القيامة لا يجد إلا موضع قدمه وأن النار تحف بأرض الموقف ولكن عرق هذا لا ينتقل إلى غيره وكمية العرق تتناسب مع العمل.

ويشتد الكرب ويفيض العرق: روى أبو يعلى وصححه ابن حبان قال ﷺ: «إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة حتى يقول: يا رب أرحني ولو إلى النار».

وأشد الناس عرقًا الكفار وأصحاب الكبائر ثم من بعدهم من أهل المعاصي.

ويستثنى الأنبياء والشهداء ومن شاء الله.

أخي المسلم الحبيب: إن الأمر جد خطير وعظيم فاشتر نفسك من الآن وأكثر من الأعمال الصالحة التي تظلك يوم القيامة يقول ﷺ: «الشمس فوق رءوس الناس يوم القيامة وأعمالهم تظللهم».

والمؤمنون يوم القيامة أين هم؟: سئل ﷺ عن ذلك فقال: «المؤمنون على كراسي من ذهب ويظلل عليهم الغمام» [أخرجه البيهقي بسند حسن].

ما الفائدة من الإخبار عن هذه الأهوال المفزعة؟

يقول الحافظ بن حجر في الفتح: وفائدة الإخبار بذلك أن ينتبه السامع فيأخذ في الأسباب التي تخلصه من تلك الأهوال ويبادر إلى التوبة من التبعات، ويلجأ إلى الكريم الوهاب في عونه على أسباب السلامة ويتضرع إليه في سلامته من دار الهوان، وإدخاله دار الكرامة بمنه وكرمه... اهـ.

أسأل الله الإخلاص والسلامة

وانطلق الشيطان

بقلم / صلاح عبد الخالق محمد

كان الشيطان محبوسًا في شهر رمضان، والآن إخوتي فك القيد وانطلق في كل مكان، وبعث الجنود والأعوان ليفسدوا على أهل الإيمان، فاحرص علي نفسك من الآن، وتسلح بطاعة الرحمن، والبعد عن المعاصي والآثام حتى ينهزم الشيطان.

انطلق الشيطان وبدأت المعركة

بعد رمضان انطلق الشيطان من سجنه، وبدأت الحرب من جديد، حرب شعواء يهجم بكل قوة وبكل سلاح، لا يكل ولا يمل ولا يهدأ ولا ينام.

قال تعالى في سورة الإسراء ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ [الإسراء:٤٦].

قوله استفزز: هيج واستخف واستنزل، «بصوتك» صوته كل داع إلى معصية الله تعالى قال الحافظ بن كثير: قوله تعالى ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ﴾ أحمل عليهم بكل جنودك خيالتهم ورجلتهم ومعناه: تسلط عليهم بكل ما تقدر عليه (٥١/٣).

قال تعالى في سورة الأعراف عن الشيطان: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٧].

قال العلامة السعدي: أي من جميع الجهات والجوانب ومن كل طريق يتمكن فيه من إدراك مقصوده فيهم (٤٦٢/١).

في صحيح مسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئًا، قال: ثم يجيء أحدهم، فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدينه منه، ويقول: نعم أنت - قال الأعمش: أراه قال: فليتزمه».

قال الإمام النووي «شرح صحيح مسلم (١٥٧/١٦): قوله «إن عرش إبليس على الماء» العرش هو سرير الملك ومعناه أن مركزه البحر ومنه يبعث سراياه في نواحي الأرض.

فيمدحه لإعجابه بصنعه وبلوغه الغاية التي أرداها. قوله فيلتزمه «أي يضمه إلي نفسه ويعانقه».

في مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٨٠) عن أبي موسى الأشعري قال: إذا أصبح إبليس بث جنوده في الأرض فيقول: من أضل مسلما ألبسته التاج، فيقول له القائل: لم أزل بفلان حتى طلق امرأته، قال يوشك أن يتزوج، ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى زنى، قال: أنت، ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى شرب الخمر، قال: أنت، قال: ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى قتل فيقول: أنت أنت.

نتيجة المعركة الشيطانية

بدأ الشيطان يحقق انتصارات مذهلة، وأصبحنا نشاهد ذلك عيانًا، من هذه الانتصارات:

١- نسيان ذكر الله:

قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة:١٩].

معنى استحوذ: استولى عليهم وأحاط بهم وغلب على عقولهم وأفكارهم بوسوسته فكانت النتيجة: أنساهم ذكر الله وطاعته وأوامره

وأنساهم البعد عن معاصيه فذكروا الدنيا وأموالها وأولادها ومغانمها.

٢ـ هجر المساجد والصلاة:

كانت المساجد في رمضان مليئة بالمصلين كأنها جمعة، وذلك في صلاة التراويح التي هي نافلة، وفي كل الفروض، وبعد رمضان هُجرت المساجد، وهُجرت صلاة النافلة وهُجرت صلاة الجماعة و.. و... و.... إنها خطوات الشيطان قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾ [النور:٢١].

٣ـ هجر القرآن:

كنا في رمضان نتسابق في الإكثار من قراءة القرآن، وختمه مرات، كان القرآن يُتلى في المساجد والبيوت وغيرها، وبعد ذلك هجرنا قراءة القرآن، ووضعنا المصحف في مكانه الذي كان قبل رمضان، وضع في دائرة الهجر والنسيان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أهداف الشيطان:

الشيطان صريح ومنظم في وضع الخطط والأهداف التي يبغي تحقيقها ومن هذه الأهداف:

(١) الضلال البعيد:

قال تعالى: ﴿ويُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠]. هدف الشيطان أن يوقعهم في ضلال بعيد عن الحق تماما.

(٢) الحزن للمؤمنين:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [المجادلة:١٠].

هذا هدف شيطاني خبيث يحرض أتباعه ليفعلوا أشياء تصيب المسلم بالحزن أو الرعب أو الخوف.

(٣) بث العداوة بين الناس:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة:٩١].

وهذه جملة أهداف يسعى إليها الشيطان بكل وسيلة، وعلى رأسها إشعال العداوة بين الناس بالخصومات.

في صحيح مسلم عن جابر قال سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم» التحريش: هو الإغراء وتغير القلوب والتقاطع، وبقية الأهداف في هذه الآية هي: البعد تماما عن ذكر الله وعن الصلاة.

(٤) الهدف الأكبر عذاب السعير:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦].

في هذه الآية بيان عداوة الشيطان للإنسان من آدم عليه السلام إلى قيام الساعة فانتبهوا يا عباد الله.

قال العلامة السعدي: قوله تعالى: ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، أي لتكن منكم عداوته على بال ولا تهملوا محاربته في كل وقت فإنه يراكم وأنتم لا ترونه وهو دائما لكم بالمرصاد (تفسير السعدي) قال العلامة السعدي: «إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير». هذا غايته ومقصوده فمن تبعه استحق أن يُهان غاية الإهانة بالعذاب الشديد. قال تعالى: ﴿وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء:٥٥].

كيف تنتصر على الشيطان؟

الأهداف الشيطانية واضحة، والخطط معلنة، والتهديد صريح بهذا القسم الشديد «فبعزتك لأغوينهم أجمعين». والجنود يعملون في الخفاء ولا يكلون قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف:٢٧].

ومع ذلك فمقاومته ليست صعبة ولا مستحيلة، ولكن عليك أن تتسلح بهذه الأسلحة والتي منها:

[١] الشيطان كيده ضعيف:

هذا سلاح نفسي هام قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦].

قال العلامة السعدي في تفسيره: فالشيطان وإن بلغ مكره مهما بلغ فإنه في غاية الضعف.

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر:٤٢].

اعلم: أنه ليس للشيطان قوة ولا تسلط ولا قدرة ولا حجة إلا على أتباعه، وقد اعترف الشيطان بضعفه وذلك في خطبته النارية حيث قال كما حكى القرآن: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم:٢٢].

وليس معنى ذلك أن نتراخى عن حربه في كل وقت وحين والحكمة تقول: لو كان عدوك نملة، فلا تنم له.

[٢] الاستعاذة والدعاء:

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [فصلت:٣٦].

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨].

قال الحافظ ابن كثير: معنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أي أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيمُ أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نُهيت عنه، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله. (تفسير ابن كثير ١/١٥).

النزغ: نزغ الشيطان: إثارة داعية الشر والفساد في غضب أو شهوة حيوانية أو معنوية.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨].

قال العلامة السعدي في تفسيره: هذه استعاذة من مادة الشر كله، ويدخل فيها الاستعاذة من جميع نزغات الشيطان ومن مسه ووسوسته فإن أعاذ الله عبده من هذا الشر وأجاب دعاءه سلم من كل شر ووفق لكل خير.

في سنن أبي داود بسند حسن عن أبي الأزهر الأنماري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «بسم الله وضعت جنبي اللهم اغفر لي ذنبي وأخسئ شيطاني....».

وصفوة الكلام: لا تتخلّ عن سلاح الدعاء والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند كل طاعة، وعند الهم بمعصية، وعند سماع بعض أصوات الحيوانات مثل نهيق الحمار ونباح الكلب.

[٣] التحصن بكلمة التوحيد:

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يومه مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه».

[٤] المداومة على ذكر الله:

هذا سلاح من أقوى الأسلحة لتدمير الشيطان، بأن تذكر الله في جميع أحوالك كما علمنا الصادق المصدوق ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦].

معنى يعشُ: أي يتعام ويتغافل ويعرض. (تفسير ابن كثير).

فهو له قرين: أي فهو له ملازم ومصاحب لا ينفك عن الوسوسة له والإغواء.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء:٣٨].

والحمد لله رب العالمين.

الخصام خصلة ذميمة

بقلم / صلاح عبد الخالق

الخصام آفة من آفات اللسان، ومدخل كبير للشيطان، ومدمر للقلب والأركان، يُفرق بين الأحبة والإخوان، ويحرم صاحبه الأمن والأمان، ويدخله النيران ويبعده عن الجنان، فالصلح خير في كل زمان ومكان.

آفات الخصام وأخطاره

(١) البغض من الله تعالى:

في صحيح البخاري (٢٤٥٧) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخَصِم» والألد الخصم: الشديد الخصومة.

(٢) مخالفة هدي النبي ﷺ:

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَهَجَّروا ولا تدابروا ولا تجسسوا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا».

قال الإمام النووي: لا تهجروا: المراد النهي عن الهجرة ومقاطعة الكلام. شرح مسلم (١٢٠/١٦) اعلم أن التهاجر والتدابر والتجسس وبيع المسلم على بيع أخيه تؤدي إلى الخصام وإلى قطع أواصر الأخوة وقد نهانا ﷺ عن ذلك سدًا للذريعة.

(٣) طاعة الشيطان:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ...﴾ [المائدة:٩١].

في صحيح مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم».

قال الإمام النووي: هذا الحديث من معجزات النبوة ومعناه أيس الشيطان أن يعبده أهل جزيرة العرب ولكنه سعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن ونحوها. شرح مسلم (١٥٦/١٧).

والسؤال الآن: لماذا حدد ﷺ ثلاث ليال كحد أقصى للهجر والخصام؟!

الإجابة عند الحافظ ابن حجر قال: وهو من الرفق لأن الآدمي في طبعه الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك والغالب أن يزول أو يقل في الثلاث، فتح الباري (٥١١/١٠).

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

ولا ينبغي أن يزيد في الخصام عن ثلاث ليال بدون عذر شرعي؟

في صحيح سنن أبي داود (٤١٠٧) عن أبي حراش حدرد بن أبي حدرد الأسلمي رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه».

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٦].

هذا تهديد ووعيد من الله عز وجل لمن كان هذا حاله من الخصومة والفساد والتكبر على العباد، تكفيه جهنم بسمومها وحرها.

وفي سنن أبي داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار».

(٤) انعدام الراحة النفسية:

كلما رأيت من تخاصمه أو تسمع اسمه يتغير قلبك ولونك وكلامك وتود لو تشق الأرض وتبتلعه ولهذا قال معلم الأمة ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيُعرض هذا ويعرض هذا» وفي رواية مسلم: «فيصد هذا ويصد هذا».

(٥) تأخر رحمة الله عن المخاصم حتى يصطلح:

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيُغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقال أنظِرُوا هذين حتى يصطلحا أنظِرُوا هذين حتى يصطلحا أنظِرُوا

هذين حتى يصطلحا».

قال الباجي: معنى فتح أبواب الجنة كثرة الصفح والغفران ورفع المنازل وإعطاء الثواب الجزيل.

قال الإمام النووي أنظِرُوا هذين: أخروهما حتى يرجعا إلى الصلح والمودة. شرح مسلم (١٢٢/١٦).

فيا من تخاصم الناس، لك أن تتخيل أن كل الموحدين يُغفر لهم ذنوبهم كل اثنين وخميس وأنت مطرود مبعد عن هذا كله، والسبب الحقد والعداوة والبغضاء الناتج عن الخصام.

(٦) الخصام سبب في قطع الأرحام:

نسمع كثيرًا أن فلانًا يخاصم أمه أو أباه أو يخاصم أخته وأخاه وكل ذلك عقوق وقطيعة للأرحام.

في الصحيحين عن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع رحم».

(٧) فقدان التعاون وضعف الروابط بين المسلمين:

انعدام التعاون بين المسلمين بسبب كثرة المشكلات الناتجة عن الخصام.

العلاج

(١) اكظم غيظك لله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣،١٣٤].

(٢) اعف عمن ظلمك:

قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور:٢٢].

كلمات تنخلع لها القلوب إذا أردت أن يعفو ويغفر لك علام الغيوب فاعف عمن ظلمك.

(٣) ابدأ أنت بالصلح والسلام:

في الصحيحين عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» زاد الطبري: «الذي يبدأ بالسلام يسبق إلى الجنة».

(٤) راجع نفسك:

اسأل نفسك لماذا أخاصم فلانًا؟ إذا كانت الخصومة في الباطل أو بسبب كلام تافه فاتق الله وأسرع في الصلح قبل فوات الأوان، وإذا كانت الخصومة بسبب ديون أو مواريث أو حقوق شرعية فالجأ إلى أهل التقوى والعلم والإيمان.

واجب المجتمع المسلم

الواجب عندما يعلم أحد من أبناء المجتمع المسلم أن هناك خصومة بين فلان وفلان أن يعجل في الصلح بشتى الوسائل الممكنة وليكن مخلصا في ذلك لله عز وجل.

قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء:١٢٨].

قال تعالى: ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٤].

في هذه الآية وعد من الله عز وجل لمن يُصلح بين الناس بالأجر العظيم وعدم تحديده دليل على أنه أجر عظيم يقدر بقدر مانحه.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠].

اعلم أن إصلاح ذات البين من مفاتيح رحمة الله تعالى فلا تتخلى عن هذا المفتاح أبدًا.

في صحيح سنن الترمذي (٢٠٣٨) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى: قال إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة» وزاد الإمام أحمد في مسنده: «لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين».

أخي المسلم الحبيب

اسع في الصلح بين الناس وتاجر مع رب الناس بهذا الصلح بكل جهدك، وإن لم يتم الصلح.

اعلم يا من تصالح الناس أن رسولنا الكريم ﷺ أباح لك الكذب حتى تصل الحلقات المفقودة ويتم الصلح بإذن الله.

في صحيح البخاري (٢٦٩٢) عن أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس فَينمي خيرا أو يقول خيرا».

قال ابن حجر: ينمي خيرا: بلّغه على وجه الإصلاح وطلب الخير. فتح الباري (٣٥٣/٥).

اللهم ألف بين قلوبنا واجمعنا على طاعتك وفي الفردوس الأعلى من جنتك.

والله ولي التوفيق

كيف تعبد الله آلاف السنين؟!

الحلقة الأولى

إعداد / صلاح عبد الخالق محمد

أعمار الأمة المحمدية:

في صحيح البخاري (٦٤١٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلَّغه ستين سنة».

قال ابن حجر في الفتح (١١/٢٤٤): في الحديث إشارة إلى أن استكمال الستين مظنة لانقضاء الأجل وأصرح من ذلك ما أخرجه الترمذي بسند حسن إلى أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رفعه «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك».

إذا كان أعمار الأمة المحمدية ستين عاما منها:

- ٢٠ سنة نوم لأن الإنسان ينام في اليوم ما يقرب ٨ ساعات.
- ١٥ سنة طفولة ومشاغبة.
- عامان أكل وشرب وقضاء حاجة.

المجموع = ٣٧ عامًا والباقي من العمر ٢٣ عامًا.

إذًا العمر الإنتاجي للحسنات وعبادة الله تعالى لا تتجاوز ٢٣ عامًا في الغالب هذا لو كانت هذه الساعات والسنون مستغلة استغلالا صحيحًا لعمل الصالحات لوجه الله تعالى.

(تنبيه): النبي ﷺ قال: «وأقلهم من يجوز ذلك».

أي القليل من أمتي من يتخطى هذا السن وقد يموت الإنسان وعمره أقل من ذلك والواقع خير شاهد فالشاب يموت في سن العشرين أو أقل أو أكثر.

أعمار أمة نوح عليه السلام:

قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت:١٤].

أخرج ابن أبي شيبه وابن المنذر والحاكم وصححه: عن ابن عباس قال: بعث الله تعالى نوحًا عليه السلام وهو ابن أربعين سنة ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله تعالى وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا». الشاهد من ذلك أن عمر الرجل الواحد من قوم نوح عليه السلام ألف سنة أو يزيد وبالطبع المؤمن منهم قد بلغت عبادته لله عز وجل ما يقرب من ألف عام أو يزيد عبادة خالصة.

كيف تعبد الله آلاف السنين؟!

العمر قصير محدود ومعدود يجري كالثواني.

- والسؤال الهام هو كيف أغتنم هذا العمر القصير في عمل الحسنات الكثيرة كأنني عبدتُ الله مئات السنين بل آلاف السنين؟
- كيف أغتنم هذا العمر المحدود واستثمره في عمل الحسنات التي لا تعد ولا تحصى بالملايين والبلايين حتى يصبح عمري الإنتاجي من الحسنات مئات بل آلاف السنين. هذا يدعونا إلى البحث عن أبواب الحسنات التي تعد بالملايين والتي منها:

أولا: الغسل والتبكير لصلاة الجمعة

عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها» رواه

أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الألباني في الترغيب (٦٩٠).

قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (٢٠٨/١) قال الخطابي: قوله: «غسل واغتسل وبكر وابتكر» اختلف الناس في معناه فمنهم من ذهب إلى أنه:

١ ـ من الكلام المتظاهر الذي يراد به التوكيد ولم تقع المخالفة بين المعنيين لاختلاف اللفظين وقال ألا تراه يقول في هذا الحديث ومشى ولم يركب ومعناهما واحد وإلى هذا ذهب الأثرم صاحب أحمد.

٢ ـ وقال بعضهم قوله غسل معناه غسل الرأس وذلك لأن العرب لهم لمم وشعور وفي غسلها مؤنة فأراد غسل الرأس من أجل ذلك وإلى هذا ذهب مكحول وقوله اغتسل معناه غسل سائر الجسد.

٣ ـ وزعم بعضهم أن قوله غسل معناه أصاب أهله ـ جامعها ـ قبل خروجه إلى الجمعة ليكون أملك لنفسه وأحفظ في طريقه بصره. اهـ.

معنى ذلك لو أنك يوم الجمعة اغتسلت وذهبت مبكرا إلى صلاة الجمعة واقتربت من الإمام ولم تتكلم أثناء الخطبة كان لك بكل خطوة تمشيها إلى الصلاة أجر سنة كاملة صيامها وقيامها وذلك على الله يسير.

مثال: هب أنك تمشي إلى المسجد ١٠٠ خطوة في جمعة واحدة لك أجر من صام وقام لله ١٠٠ عام.

- في عام واحد ٥٢ جمعة × ١٠٠ = ٥٢٠٠عام.
- في ١٠ سنوات × ٥٢٠٠خطوة = ٥٢٠٠٠عام.

والله يضاعف لمن يشاء والله أعلم

اعلم رحمك الله أن الله عز وجل كريم يحاسبك على خطوات الذهاب وخطوات الرجوع.

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح».

قال ابن حجر في الفتح: المراد بالغدو الذهاب وبالرواح الرجوع (١٧٤/٢).

فاكثروا من الخطا حتى تُعَمَّروا في الطاعة آلاف السنين.

ثانيًا الصلاة في المسجد الحرام

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الصلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام».

وفي مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجه بإسناد صحيح عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة في مسجدي أفضل من صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه».

معنى ذلك أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في المساجد الأخرى.

وقد قال أبو بكر النقاش في تفسيره: حسبت الصلاة بالمسجد الحرام فبلغت صلاة واحدة بالمسجد الحرام عمر خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة. فتح الباري (٨٢/٣).

مثال: هب أنك صليت في مسجد غير المساجد المذكورة بالفضل العظيم تُرى كم سنة تصليها حتى تصل إلى مائة ألف صلاة؟ تحتاج إلى ٥٦ عامًا تقريبًا.

فإذا صليت في المسجد الحرام يومًا واحدا (٥صلوات).

خمس فروض × ٥٦ عامًا = ٢٨٠ عامًا في مسجدك.

٢٥ فرضًا × ٥٦ عامًا = ١٤٠٠ عام.

معنى ذلك أنك إذا صليت في المسجد الحرام ٢٥ فرضًا أو ٢٥ صلاة لك أجر من صلى لله ١٤٠٠ عام والله أعلم.

قس على ذلك الصلاة في المسجد النبوي الشريف والمسجد الأقصى أعاده الله إلينا سالما.

ثالثا صلاة النافلة في البيوت

في الصحيحين عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «صلوا أيها الناس في بيوتكم فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة».

اعلم: أن صلاة النافلة في البيوت أفضل من صلاتها في المسجد الحرام والمسجد النبوي وإليك أقوال بعض العلماء:

١ ـ قال ابن حجر في الفتح (٨٢/٣): قوله ﷺ أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة ويمكن أن يقال لا مانع من إبقاء الحديث على عمومه فتكون صلاة النافلة في بيت بالمدينة أو مكة تضاعف على صلاتها في البيت بغيرهما وكذا في المسجدين وإن كانت في البيوت أفضل مطلقًا.

٢ ـ قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: قال النبي ﷺ: صلوا أيها الناس في بيوتكم. فأمر أن يصلى في البيت فإن صلاة المرء في بيته أفضل إلا المكتوبة فدل ذلك على أن الإنسان ينبغي له أن تكون جميع رواتبه في بيته سواء الرواتب أو صلاة الضحى أو التهجد أو غير ذلك حتى في مكة والمدينة الأفضل أن تكون الرواتب في البيت أفضل من كونها في المسجد، في المسجد الحرام أو المسجد النبوي لأن النبي ﷺ قال هذا وهو في المدينة والصلاة في مسجده خير من ألف صلاة إلا المسجد الحرام وكثير من الناس الآن يفضل أن يصلي النافلة في المسجد الحرام دون البيت وهذا نوع من الجهل.

[شرح رياض الصالحين (٢٤٧/٣)]

نوافل مستثناه

قال الشيخ / صفوت نور الدين رحمه الله: من فقه الحديث الانتقال لصلاة النفل في البيت أفضل ولو كان بالمسجد الحرام وهذا في غير المعتكف والمبكر لصلاة الجمعة والخائف من فوات الوقت أو الخائف من دخول الكسل عليه أو من يجلس لتعليم أو تعلم أو مريد السفر والقادم من سفر وذلك في غير الصلوات التي تسن فيها الجماعة كالاستسقاء والعيدين والكسوفين وكركعتي الطواف وتحية المسجد.

[مجلة التوحيد شوال ص١٥ / ١٤١٥هـ]

فوائد صلاة النافلة في البيوت

١ ـ أفضل من صلاة النافلة في المسجد الحرام الذي فيه الصلاة بمائة ألف صلاة.

٢ ـ تعليم أهل البيت الصلاة من زوجة وأولاد الاقتداء به في ذلك.

٣ ـ طرد الشياطين من البيت وتقليل المشاكل.

٤ ـ غسل القلب قبل الفرض وصقل له وترويض له حتى يصلي الفرض بخشوع.

٥ ـ أقرب إلى الإخلاص وأبعد عن الرياء أمام الناس.

٦ ـ سد العجز والخلل في صلاة الفريضة.

في سنن الترمذي وغيره وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب (٥٤١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر وإن انتقص من فريضته قال الله تعالى انظروا هل لعبدي من تطوع يكمل به ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك».

هيا نتاجر مع الله الغني الكريم

هذه فرص للتجارة مع الله عز وجل تجارة رابحة بالآلاف والملايين والبلايين من الحسنات قال تعالى في سورة فاطر ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٢٩،٣٠].

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

كيف تعبد الله آلاف السنين؟!!

الحلقة الثانية

بقلم / صلاح عبد الخالق محمد

رابعا: الصيام

١. صيام ست من شوال:

في صحيح مسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر».

يقول العلامة صفوت نور الدين رحمه الله: هذا يدل على فضل عظيم وعطاء كريم من الله سبحانه وعلى المسلم أن يتعرض لهذا العطاء الوافر من الله سبحانه، جعل الله تعالى لمن صام ستة أيام من شوال اكتمال حلقة العام مع رمضان فيصبح كمن صام العام كله ومن كان هذا شأنه دائمًا؛ فكأنما صام العمر كله.

[مجلة التوحيد: شوال ١٤١٥هـ]

وعن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «صيام شهر بعشرة أشهر وستة أيام بعدهن بشهرين فذلك تمام السنة».

اعلم رحمك الله أن من فوائد صيام ستة أيام من شوال أنها بمثابة السنة الراتبة البعدية للفرض فتجبر الخلل وتسد العجز الذي وقع في الفرض.

متى نبدأ الصيام؟

يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله: سواء صمت الست من شوال من ثاني يوم العيد وأتبعت بعضها بعضا أو صمتها بعد يومين أو ثلاثة أو صمتها متفرقة الأمر في هذا واسع.

[شرح رياض الصالحين (٣/٣٥٢)]

٢. صيام ثلاثة أيام من كل شهر:

في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «صم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر».

قال العلامة صفوت نور الدين رحمه الله: فكان من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال وصام ثلاثة أيام من كل شهر، كان كمن صام دهرين في عمره وذلك مما اختص الله سبحانه به هذه الأمة على قصر أعمارها فإن الله سبحانه ضاعف لها أعمالها، فتسبق الأمم بذلك العطاء العظيم من الله سبحانه.

[مجلة التوحيد شوال / ١٤١٥هـ]

خامسا: قيام ليلة القدر

قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [سورة القدر]

عن مجاهد قال: ليلة القدر خير من ألف شهر عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر.

[تفسير ابن كثير / ٤]

قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره (١/٩٣١) قوله تعالى ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي تعادل في فضلها ألف شهر، فالعمل الذي يقع فيها خير من العمل في ألف شهر (خالية منها) وهذا مما تتحير فيه الألباب وتندهش له العقول حيث مَنَّ الله تبارك وتعالى على هذه الأمة الضعيفة القوة والقوى بليلة يكون العمل فيها يقابل ويزيد على ألف شهر، عمر رجل معمر عمرا طويلا، نيفا وثمانين سنة.

الألف شهر = ٨٣ عامًا و٤ أشهر

ومن فوائد قيام ليلة القدر:

- مغفرة ما تقدم من الذنوب .
- إجابة الدعاء .
- نزول الملائكة بالرحمة والمغفرة.
- كلها خير.

سادسا: صلة الأرحام

في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه» (ينسأ: يؤخر - أثره: أجله).

وعند الإمام أحمد بسند رجاله ثقات عن عائشة مرفوعا «صلة الرحم وحسن الجوار وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار» [فتح الباري (١٠/٤٢٩)].

قال ابن التين: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤] والجمع بينهما من وجهين:

أحدهما: أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة وصيانته عن تضييعه في غير ذلك ومثله ما جاء أن النبي ﷺ تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر.

ثانيهما: أن الزيادة على حقيقتها وذلك بالنسبة إلى عمل الملك الموكل بالعمر أما الأول الذي دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى، كأن يقال للملك مثلا إن عمر فلان مائة مثلا إن وصل رحمه وستون إن قطعها وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص وإليه الإشارة بقوله «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب».

[فتح الباري (١٠/٤٣٠)]

ليس الواصل بالمكافئ

في صحيح البخاري (٥٩٩١). عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها».

قال ابن حجر في الفتح: قوله ﷺ ليس الواصل بالمكافئ أي الذي يعطي غيره نظير ما أعطاه ذلك الغير.

فعليك بصلة الرحم وإن قطعوك حتى يطلق عليك بحق واصل للرحم.

احذر قطيعة الرحم

في صحيح سنن الترمذي (٢٠٣٩) عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم».

[رواه ابن ماجه والترمذي]

سابعا: قضاء حوائج الناس

أخرج ابن أبي الدنيا والطبراني في معجمه الكبير وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٠٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ قال يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله تعالى؟ وأي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ فقال ﷺ: «أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تدفع عنه جوعا ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهرا ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه نورًا يوم القيامة ومن مشى مع أخ في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل».

الشاهد من هذا الحديث الجامع ما يأتي:

إن من يقوم بقضاء حوائج الناس أو السعي

في قضائها وإن لم تقض ولكنه بذل الجهد له فضائل عظيمة وحسنات جسيمة، نذكر منها على سبيل المثال:

١. الحصول على محبة الله عز وجل:

إن من أحبه الله تعالى أحبه أهل الأرض وأهل السماء وعاش سعيدًا في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

قال العلامة السعدي في تفسيره (١/١٢٨) من أحبه الله غفر له ذنبه ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته.

٢. أجر اعتكاف شهر:

إن قضاء حوائج الناس أفضل من الاعتكاف شهرًا في مسجد النبي بالمدينة ففي الحديث السابق «ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهرًا».

ثواب الاعتكاف في المساجد

أخرج ابن خزيمة والطبراني بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق كل خندق أبعد مما بين الخافقين».

ومعنى الخافقين: أفق المشرق وأفق المغرب.

ومعلوم أن المعتكف يصلي جميع الصلوات في المسجد من فروض ونوافل مثل السنن الرواتب والضحى والوتر والتهجد وغيرها والصلاة الواحدة في المسجد النبوي أفضل من ألف صلاة.

في الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام».

وبالطبع المعتكف يغتنم وقته بالإكثار من قراءة القرآن وذكر الرحمن في مكان تتضاعف فيه الأجور إلى آلاف المرات.

٣. الثبات يوم القيامة:

قوله ﷺ: «ومن مشى مع أخ في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام».

اعلم رحمك الله أن يوم القيامة شديد الأخطار والأهوال ولك أن تتخيل أن الأطفال الذين لم يفعلوا ذنبًا واحدًا تشيب رؤوسهم من هذه الأهوال المفزعة.

كما أخبرنا ربنا سبحانه بقوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل:١٧]، والله تعالى يثبت عباده الصالحين ويجنبهم هذا الهول العظيم كما قال تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ...﴾ [إبراهيم:٢٧]

٤. كان الله في حاجته:

في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة».

والمعنى أن الله عز وجل ييسر لك أمورك ويسخر لك من يقوم بمعاونتك لأن الجزاء من جنس العمل.

قال الإمام النووي في شرح مسلم: في هذا الحديث الجامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب فضل قضاء حوائج الناس ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة أو غير ذلك.

فيا أيها المسلمون، يا من تقومون بالعمل في المصالح والهيئات التي تخدم الناس يمكنكم أن تتاجروا مع الله عز وجل بأن تنفعوا الناس بكلمة أو إشارة أو بنصيحة وغيرها من الأمور اليسيرة الحلال التي لا تكلفكم شيئًا دون تعقيد ولا تعطيل لمصالح الناس لتحصلوا على الفضائل العظيمة.

والله ولي التوفيق.

كيف تعبد الله آلاف السنين؟!!

الحلقة الثالثة

بقلم / صلاح عبد الخالق محمد

الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة والصلاة والسلام على سيد الأنام، وبعد..

فمن محاسن الإسلام الكثيرة أن دل المسلم على أبواب الطاعات التي تُجري - بإذن الله تعالى - عليه الحسنات في أثناء حياته وبعد مماته.

السؤال الهام: كم هي المدة التي ستبقى في قبرك إلى قيام الساعة؟ مئات السنين؟ آلاف السنين؟ الله أعلم.

فحرى بنا من الآن أن نبحث بجد واجتهاد عن أبواب الحسنات العظام التي عن طريقها تجرى علينا الحسنات ونحن أحياء وبعد الموت من هذه الأبواب:

١. الصدقات الجارية:

تعريف الصدقة الجارية: هي العطية التي تبتغي بها المثوبة من الله، وقيل هي التطوع بتمليك العين بغير عوض، وقيل هي المال الذي وهب لأجل الثواب وقيل هي الوقف وهو ما يحبس في سبيل الله.

من هذا وغيره يتضح أن الصدقة الجارية قربة يفعلها الإنسان لوجه الله، تقربًا إلى الله ولينتفع بها الناس فترة زمنية فيجري له أجرها فترة بقائها.

[مجلة التوحيد ١٤٢١ / صفر / ٤٧]

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له».

أبواب الصدقة الجارية كثيرة منها:

في سنن ابن ماجة وصحيح الجامع (٣٢٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره وولدًا صالحًا تركه أو مصحفا ورثه أو مسجدًا بناه أو بيتًا لابن السبيل بناه أو نهرًا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته».

٢. تعليم العلم النافع ونشره:

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به...» الحديث.

إن تعليم العلم النافع ونشره من أفضل الحسنات الجارية وأدومها إلى يوم الدين وأدومها لأنها حلقات متصلة وحسنات ممتدة بانتقال العلم عبر الأجيال.

في صحيح الجامع (٦٣٩٦) وسنن ابن ماجه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ قال: «من علم علمًا فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل شيء».

قال العلامة محمد الصالح بن عثيمين - رحمه الله -: وأفضل هذه الثلاثة العلم الذي ينتفع به، وأضرب لكم مثلا بل أمثال كثيرة: أبو هريرة رضي الله عنه: من أفقه الصحابة عند الرسول ﷺ يسقط أحيانًا على الأرض من شدة الجوع ومع ذلك فإن أكثر المسلمين الآن لا يقرءون إلا رواياته وهو الذي نقل لنا هذه الأحاديث وهي صدقة جارية إذا ما قورنت بأي صدقات أخرى في عهده!

الإمام أحمد، شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمهما الله - يدرسنا كل منهما وهو في قبره لأن كتبه بين أيدينا، أكبر خليفة، أكبر تاجر في

عهد ابن تيمية هل وصل خيرهم إلينا اليوم؟! إذًا العلم أنفع الثلاثة، فالصدقة الجارية قد تتعثر والولد الصالح قد يموت ولكن العلم النافع الذي ينتفع به المسلمون باق إلى ما شاء الله! فأحرص أخي على العلم فهو لا يعدله شيء.

[شرح رياض الصالحين ٣/٩٤]

قال الحافظ المنذري رحمه الله: وناسخ العلم له أجره وأجر من قرأه أو نسخه أو عمل به من بعده ما بقي خطه.

[الترغيب والترهيب ١/٥٤]

ووسائل تعليم العلم النافع ونشره كثيرة منها:

١ ـ الدعوة إلى الله بأي وسيلة متاحة ومباحة.

٢ ـ إهداء المصحف أو الكتب الإسلامية أو المجلات الإسلامية.

٣ ـ الدعوة لمجالس العلم.

٤ ـ بناء المساجد أو المعاهد الدينية.

٥ ـ تأليف الكتب الدينية.

يقول ابن الجوزي: «كتاب العالم ولده المخلد».

تنبيه هام: الإنفاق على نشر العلم أفضل وأدوم من إقامة سرادقات المآتم التي تكون وبالا على المسلم في الدنيا والآخرة يُسأل عن هذه الأموال فاتقوا الله يا عباد الله.

٣. الولد الصالح:

الولد كل ما وُلِدَ ويطلق على الذكر والأنثى والصغير والكبير والواحد والجمع.

[المعجم الوسيط (١٠٩٩)]

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث (..... وولد صالح يدعو له)».

قال الشيخ الألباني رحمه الله: قيد بالصالح لأن الأجر لا يحصل من غيره وأما الوزر فلا يلحق بالوالد من سيئة ولده إذا كان نيته في تحصيل الخير، وإنما ذكر الدعاء له تحريضا على الدعاء لأبيه، لا لأنه قيد، لأن الأجر يحصل للوالد من ولده الصالح كلما عمل عملا صالحًا سواء أدعا لأبيه أم لا، كمن غرس شجرة يحصل له من أكل ثمرتها ثواب سواء أدعا له من أكلها أم لم يدع وكذلك الأم. أهـ

[أحكام الجنائز(١٧٦)]

قال العلامة ابن عثيمين قوله ﷺ: «ولد صالح يدعو له» لأن غير الصالح لا يدعو لوالديه ولا يبرهما لكن الصالح هو الذي يدعو لوالديه بعد موتهما ولهذا يتأكد علينا أن نحرص غاية الحرص على صلاح أولادنا لأن صلاحهم صلاح لهم وهو خير لنا حيث يدعون لنا بعد الموت.

[شرح رياض الصالحين ٣/٩٤]

فائدة: اعلم أن صلاح الأولاد طريقه ليس صعبًا ولكن يا من تريد صلاح أولادك عليك بالنية الصالحة والقدوة الحسنة وتعليم الأولاد القرآن والسنة وتسلح بهذا السلاح القوي الفعال بإذن الله وهو الدعاء؛ عليك بالدعاء قبل أن يأتي الولد قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٠، ١٠١].

والدعاء أثناء الحياة ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف:١٥].

ثمرات الولد الصالح عظيمة في الدنيا الراحة والطمأنينة وتقر عينك به وفي القبر سيول من الحسنات ما بقي ولدك على قيد الحياة وولده وولد ولده...

ويوم القيامة رفع درجاتك في الجنة، في مسند الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه؟ فيقول باستغفار ولدك لك».

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤].

٤. الرباط في سبيل الله:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

تعريف المرابطة عند العرب: العقد على الشيء حتى لا ينحل فيعود إلى ما كا صبر عنه فيحبس القلب على النية الحسنة والجسم على فعل الطاعة ومن أعظمها وأهمها رباط الخيل ـ الجهاد ـ في سبيل الله كما نُص عليه في التنزيل في قوله تعالى: ﴿ومن رباط الخيل﴾ وارتباط النفس على الصلوات كما قاله ﷺ.

[تفسير القرطبي ٢/١٦٦٤]

من فضائل الرباط

ثبت في صحيح مسلم عن سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان».

في مسند الإمام أحمد وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٤٥٦٢) عن فضالة بن عبيد يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ميت يُختم على عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر».

يقول القرطبي رحمه الله: في هذين الحديثين دليل على أن الرباط أفضل الأعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت، فالصدقة الجارية والعمل المنتفع به والولد الصالح الذي يدعو لأبويه ينقطع ذلك بنفاد الصدقات وذهاب العلم وموت الولد، والرباط يُضاعف أجره إلى يوم القيامة لأنه لا معنى للنماء إلا المضاعفة وهي غير موقوفة على سبب فتنقطع بانقطاعه بل هي فضل دائم من الله تعالى إلى يوم القيامة.

[تفسير القرطبي ٢/١٦٦٤]

ومن أنواع الرباط في سبيل الله:

ما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط».

٥. إذا أكل إنسان أو غيره من زرع لميت:

ثبت في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ على أم معبد حائطًا فقال: «يا أم معبد، من غرس هذا النخل أمسلم أم كافر؟» فقالت: بل مسلم قال: «فلا يغرس مسلم غرسًا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طيرٌ إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة»، وفي رواية: «ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير منه فهو له صدقة، ولا يرزؤه - ينقص ويأخذ منه - أحد إلا كان له صدقة» قال الإمام النووي في شرح مسلم: في هذه الأحاديث فضيلة الغرس وفضيلة الزرع وأن أجر فاعل ذلك مستمر ما دام الغراس والزرع وما تولد منه إلى يوم القيامة.

احذر السيئات الجارية

اعلم أخي المسلم أنه كما يوجد حسنات جارية فهناك أيضًا سيئات جارية يجرى على فاعلها الذى دعى إليها سيئات ما دامت تفعل إلى يوم القيامة إن لم يتب إلى الله تعالى.

ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا».

في سنن ابن ماجة عن أبي جحيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «... من سن في الإسلام سنة سيئة فعُمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

قال الإمام النووي في شرح مسلم: ومن سن سنة سيئة كان عليه وزر كل من يعمل بها إلى يوم القيامة وأن من دعا إلى ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه سواء كان ذلك هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقًا إليه. أهـ.

ومن أمثلة السيئات الجارية:

١ - نشر البدع والضلالات بين المسلمين، وخاصة فيما يتصل بالعقيدة الإسلامية من أصحاب الأهواء وفرق الضلالة.

٢ - نسخ وبيع العلم غير النافع مما يوجب الإثم، عليه وزره ووزر من قرأه أو نسخه أو عمل به من بعده ما بقي خطه.

[الترغيب والترهيب ١/٥٤]

٣ - كل من دعا إلى معصية الله بأي وسيلة وفعلت من بعده.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

٤ - بيع أو توزيع أو إهداء الأشرطة الفاسدة مثل شرائط الفيديو أو الكاسيت التي تدعو إلى الفاحشة والفجور وكذلك المجلات والكتب والملصقات وغيرها التي تدعو إلى الفاحشة والضلال والمعصية.

والحمد لله رب العالمين.

حوض النبي صلى الله عليه وسلم

إعداد / صلاح عبد الخالق محمد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله... وبعدُ.

يوم العطش الأكبر

يوم القيامة شديد الأهوال المتراكمة، هذه الأهوال تزيد الناس ألمًا وجوعًا وعطشًا وذلك بسبب:

١ـ اقتراب الشمس من الرؤوس:

في صحيح مسلم عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: «تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل (قال سليم بن عامر فوالله ما أدري ما يعني بالميل أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين) قال: «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يُلجمه العرق إلجاما» قال: وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه.

٢ـ حمل الذنوب على الظهر:

قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ... ﴾ [النحل:٢٥].

﴿... وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ... ﴾ [الأنعام:٣١].

٣ـ مجيء النار:

قال تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:٢٣،٢٤].

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».

هذه الملايين من الملائكة يمسكون بالنار وهذا يدل على خطورة الموقف.

٤ـ الزحام الشديد:

كل الناس من لدن آدم إلى يوم القيامة واقفون مجتمعون إلى يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين:٦].

صفات حوض النبي ﷺ:

١ـ مساحة الحوض:

في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء» قال العلماء: زواياه سواء معناه طوله كعرضه.

وفي سنن ابن ماجة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي كما بين الكعبة وبيت المقدس».

٢ـ صفات ماء الحوض:

رائحة ماء الحوض

في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ: «وريحه أطيب من المسك».

لون ماء الحوض

في صحيح مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «...ماؤه أشد بياضًا من اللبن».

برودة مائه

في سنن الترمذي من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «... وماؤه أشد بردًا من الثلج» لعل هذا يناسب شدة الحرارة والزحام الكبير والعطش

الذي يوجد في أرض المحشر.

طعم ماء الحوض:

في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحلى من العسل باللبن».

بالله عليك هل شربت عسل نحل مخلوطًا باللبن؟ إذا كنت شربت فما طعم ذلك؟ ولكن هذا للتقريب، والحوض أطعم من ذلك بكثير والله أعلم.

قوام ماء الحوض

روى ابن عاصم وابن أبي الدنيا من حديث بريدة قال رسول ﷺ: «... وألين من الزبد».

من شرب ماءً بهذه المواصفات لم يظمأ أبدًا ولم يسود وجهه.

٣- من أين يأتي ماء الحوض؟

في مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ويفتح نهر الكوثر إلى الحوض».

وفي صحيح مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَغُتُّ فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من وَرِق».

يغت: بفتح الياء وضم الغين وكسرها وبالتاء المشددة، معناه: يدفقان فيه الماء دفقا متتابعا شديدا.

[شرح النووي لمسلم كتاب الفضائل١٥/٦٣].

معنى ذلك أن ماء حوض النبي ﷺ يأتي من نهر الكوثر في الجنة عن طريق أنبوبَيْن أحدهما من فضة وآخر من ذهب دون انقطاع.

٤- عدد آنية الحوض:

في صحيح مسلم عن أبي ذر قلت: يا رسول الله، ما آنية الحوض قال: «والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية».

يوضح لنا ﷺ أن عدد آنية (كيزان) الحوض أكثر من عدد النجوم والكواكب والنبي الصادق أقسم على ذلك.

قال الإمام النووي رحمه الله: «وخص الليلة المظلمة المصحية لأن النجوم ترى فيها أكثر والمراد بالمظلمة التي لا قمر فيها، والمصحية التي لا سحاب فيها».

[شرح مسلم للنووي (١٥/٦٥)].

أين مكان الحوض؟
هل الحوض قبل الصراط أم بعده؟

اختلف العلماء في ذلك ولكن الإمام القرطبي رحمه الله رجح أن الحوض قبل الصراط واستدل على ذلك بحديث البخاري (٦٥٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم: فقلت إلى أين؟ فقال إلى النار. قلت ما شأنهم؟ فقال إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى ثم إذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم خرج من بيني وبينهم رجل فقال لهم: هلم فقلت إلى أين؟ قال إلى النار....».

قلت (أي القرطبي) فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض في الموقف قبل الصراط لأن الصراط إنما هو جسر على جهنم ممدود يجاز عليه فمن جازه سلم من النار. [صحيح التذكرة ص٢١٧].

ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح أقوال العلماء في ذلك في نهاية شرحه وذكر حديثا طويلا وقال: «وهو صريح في أن الحوض قبل الصراط». [فتح الباري (١١/٤٧٥)]

المحروم المطرود!

المحروم المطرود هو الذي يُطرد من أمام حوض النبي ﷺ ويُحرم من الشرب برغم احتياجه الشديد للماء.

في الصحيحين عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ: «إني فَرطكم على الحوض، من مر

على شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا، ليردن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فأقول: إنهم مني فيُقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقًا سحقًا لمن غير بعدي».

في هذا الحديث بيان أن النبي ﷺ يطرد بنفسه من أحدث وابتدع وخالف هداه ويقول سحقًا سحقًا: أي بعدًا بعدًا وكرر للتوكيد والمبالغة.

قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج والروافض والمعتزلة. وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع.

[صحيح التذكرة للإمام القرطبي ص٢٢١]

فأهل الموالد والبدع الذين يدعون زورًا حب النبي ﷺ هم من المطرودين من على الحوض لأنهم بدلوا وخالفوا فكان الجزاء من جنس العمل نسأل الله العافية.

السعيد من يشرب من الحوض

إذا أردت أن تكون من السعداء الذين يشربون من الحوض فعليك بالآتي:

١ـ الصدق مع الله وعدم الاغترار بالدنيا:

قال الله تعالى: ﴿ ... فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [فاطر:٥].

٢ـ الاقتداء بالنبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

٣ـ إطالة الغرة والتحجيل:

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه»، قالوا: يا رسول الله، أتعرفنا يومئذ؟ قال: «نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تردون على غُرًا محجلين من أثر الوضوء».

قال الإمام النووي: تطويل الغرة: هو غسل شيء من مقدم الرأس وما يجاور الوجه زائدًا عن الجزء الذي يجب غسله؛ لاستيقان كمال الوجه.

أما تطويل التحجيل: فهو غسل ما فوق المرفقين والكعبين وهذا مستحب بلا خلاف بين أصحابنا.

[شرح مسلم ١/٥٣١]

أعضاء الوضوء تسطع نورا يوم القيامة

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت خليلي ﷺ يقول: «تبلغ الحلية من المؤمنين حيث يبلغ الوضوء».

٤ـ الإخلاص:

عن عبد الله بن مسعود قال: «يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأعرى ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط، فمن أطعم لله أطعمه، ومن سقى لله سقاه، ومن كسا لله كساه، ومن عمل لله كفاه، ومن نصر الله أراحه الله في ذلك اليوم».

[صحيح التذكرة ١٣٦]

٥ـ الثبات على الإيمان:

قال العلماء: وإن الذي سيشرب من الحوض هم الثابتون على الإيمان والتقوى حتى الموت وإن مقدار ما يشربه المؤمن من الحوض بقدر درجة حبه للنبي ﷺ والحب له آثار في السلوك على هدي السنة.

اللهم اسقنا من حوض نبيك ﷺ شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدا.

من فضائل عرفة

إعداد: صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الإسلام والصلاة والسلام على سيد الأنام سيدنا محمد ﷺ، فالله الرحيم الرحمن يعطي عباده هدايا ومنحًا في بعض الأزمان ليجتهدوا في العبادة ويثقلوا الميزان والفوز بالجنان، يقول ﷺ: «إن لله في أيام الدهر لنفحات فتعرضوا لها فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبدًا». [صحيح الجامع].

من هذه الأيام:

العشر الأول من ذي الحجة: عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه». قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلا رجلاً خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء». [صحيح الجامع ٩٦٩].

سبب امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ولا يتأتى ذلك في غيره، وأفضل عشر ذي الحجة هو يوم عرفة. [فتح الباري ٥٣٣/٢].

قال الإمام القرطبي: يوم عرفة فضله عظيم وثوابه جسيم، يكفر الله تعالى الذنوب العظام، ويضاعف فيه الصالح من الأعمال.

يوم عرفة هو التاسع من ذي الحجة.

من فضائل يوم عرفة

١- صيامه يكفر ذنوب سنتين.

ففي صحيح مسلم عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة، فقال: يكفر السنة الماضية والباقية.

سؤال: كيف تغفر ذنوب لم تأت بعد؟

يقول الحافظ ابن حجر: إن المغفرة تستدعي سبق شيء يغفر والمتأخر من الذنوب لم يأت فكيف يغفر؟

والجواب عن ذلك يأتي في قوله ﷺ: حكاية عن الله عز وجل أنه قال: في أهل بدر: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، محصل الجواب أنه قيل: إنه كناية عن حفظهم من الكبائر فلا تقع منهم كبيرة بعد ذلك، وقيل: إن معناه أن ذنوبهم تقع مغفورة وبهذا أجاب جماعة من العلماء ومنهم الماوردي في الكلام على حديث عرفة وأنه يكفر ذنوب سنتين سنة ماضية وسنة آتية. [فتح الباري ٢٩٦/٤].

٢- العتق من النيران:

ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم أكثر أن يعتق الله فيه عبيدًا من النار من يوم عرفة إنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء».

وفي مسند الإمام أحمد بسند صحيح قوله ﷺ: «فلم يُر أكثر عتيقًا من النار من يوم عرفة».

قال الحافظ ابن رجب: يوم عرفة يوم العتق من النار فيعتق الله تعالى فيه من النار من وقف بعرفة ومن لم يقف بها، فلذلك صار اليوم الذي يليه عيدًا لجميع المسلمين في جميع أمصارهم من شهد الموسم منهم ومن لم يشهده لاشتراكهم في العتق والمغفرة يوم عرفة. [لطائف المعارف.

سؤال: كيف تخلص رقبتك من النار؟

الجواب: أ- تحقيق كلمة الإخلاص:

ففي صحيح مسلم عن عمرو بن ميمون قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن اعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل».

قال الإمام النووي: ثبت أن من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا من النار فقد حصل بعتق رقبة واحدة تكفير لجميع الخطايا مع ما يبقى له من زيادة عتق الرقاب الزائدة على الواحدة.

قال الحافظ ابن حجر: وصف كون الرقبة من

بني إسماعيل لأنهم أشرف من غيرهم من العرب فضلاً عن العجم. [فتح الباري ٢٠٩/١١].

أكثر رحمك الله من كلمة التوحيد ولكن بشرط: يحصل هذا الثواب الجسيم لمن قام بحق هذه الكلمات فاستحضر معانيها بقلبه، وتاملها بفهمه.

قال ابن رجب: تحقيق كلمة الإخلاص يوجب عتق الرقاب. [لطائف المعارف ٣٩٦].

ب- احذر الموانع:

هناك موانع تحجز وتصد مغفرة الذنوب والعتق في يوم عرفة منها التكبر والاختيال والإصرار على الكبائر وعدم حفظ الجوارح من الوقوع في المعاصي.

جـ- اشتر نفسك:

إذا كنت تطمع في العتق فاشتر نفسك من الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١]. من كرمت عليه نفسه، هان عليه كل ما يبذل من افتكاكها من النار.

٣- إجابة الدعاء:

قال النبي ﷺ: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير». [الصحيحة ١٥٠٣].

هذا يوم إجابة الدعاء فاكثر فيه رحمك الله من الأدعية الجامعة مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، وجاء في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال :كان أكثر دعاء النبي ﷺ: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

قال الحافظ ابن كثير: جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر فإن كل حسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة وزوجة حسنة ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هين وثناء جميل، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين ولا منافاة بينها، فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا، وأما الحسنة في الآخرة فدخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة. [تفسير ابن كثير ٢٤٣/١].

٤- إكمال الحج:

قال رسول الله ﷺ: «الحج عرفة».

[صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٨٨٩]

قال الشيخ صفوت نور الدين رحمه الله: الحديث دال على أن من لم يدرك عرفة قبل طلوع الفجر من يوم النحر فإنه لا حج له، وعليه أن يتم عمرة ليتحلل من إحرامه ويحج من قابل.

قال الحافظ ابن رجب: يكمل الحج بيوم عرفة والوقوف فيه بعرفة فإنه ركن الحج الأعظم.

٥- إكمال الدين في يوم عرفة:

ورد في الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، فقال: أي آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فقال عمر: إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه: نزلت ورسول الله ﷺ قائم بعرفة يوم الجمعة.

قال ابن رجب يوم عرفة له فضائل متعددة منها أنه يوم إكما الدين وإتمام النعمة.

٦- الله يُقسم بيوم عرفة:

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ١- ٣].

عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود يوم القيامة، وأن الشاهد يوم الجمعة، وأن المشهود يوم عرفة، ويوم الجمعة ذخرة الله لنا».

سؤال: لماذا يقسم الله بمخلوقاته؟

الإجابة: لحكم كثيرة في المقسم به والمقسم عليه ومن هذه الحكم لفت النظر إلى مواضع العبرة في هذه الأشياء بالقسم والحث على تاملها حتى يصلوا إلى وجه الصواب فيها. [فقه السنة ٦٨/٢]

والله أعلم

الأمن يوم الفزع الأكبر

الحلقة الأولى

بقلم / صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الإسلام والصلاة والسلام على سيد الأنام. وبعد:

فإن يوم القيامة شديد الآلام فيه غاية الفزع الذي تشيب له الولدان، من أجل ذلك تعالوا نبحث عن وسائل الأمن والأمان والتي عن طريقها ناخذ شهادة الرحمن: ﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

أولاً: يوم الفزع الأكبر:

تحدث في يوم القيامة أهوالٌ مفزعة متراكمة لا تخطر على بال، من هذه الأهوال:

١- طول يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾. في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «.. حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة».

قال الحسن: ما ظنك بيوم قاموا على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لا يأكلون أكلة ولا يشربون فيها شربة حتى انقطعت أعناقهم عطشًا واحترقت أجوافهم جوعًا.

٢- حمل الذنوب على الظهر:

قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]. ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: ٣١]. وهذه مصيبة عظيمة، ألا يكفي أن يحملوا ذنوبهم التي تثقل الظهر وتقصمه بل يحملون ذنوب الذين يقلدونهم ويدعونهم إلى الضلال ألا ساء ما يرزون.

٣- مجيء جهنم:

قال تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤].

ورد في صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها». فتأمل هذا الأمر فهذه الملايين من الملائكة لكي تمسك بالنار حتى لا تلتهم المخلوقات الواقفة في أرض المحشر.

٤- هول الموقف:

في يوم القيامة الحرارة لا تطاق، فالشمس فوق الرؤوس ملتهبة، والموقف طويل، والنار تحيط بأرض المحشر فيزداد الموقف اشتعالاً وهمًا وغمًا وكربًا، ويزداد العرق.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون لِمَ ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس منهم فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون». [صحيح سنن الترمذي للألباني ٢٤٣٤].

ثانيًا: الأمن يوم الفزع الأكبر:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، (كبد) نصب وشدة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة. [تفسير الجلالين ٥٩٤].

قال العلامة السعدي في تفسيره (١/٩٢٥): قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾: يحتمل أن المراد بذلك ما يكابده ويقاسيه من الشدائد في الدنيا وفي البرزخ ويوم يقوم الأشهاد وأنه ينبغي له أن يسعى في عمل يريحه من هذه الشدائد ويوجب له الفرح والسرور الدائم.

والاستقامة على التوحيد من أهم أسباب الأمن والسلام يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤].

قال العلامة السعدي في تفسيره (١٥/٧٨٠): ﴿قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ أي: إن الذين أقروا بربهم وشهدوا له بالوحدانية والتزموا طاعته وداوموا على ذلك واستقاموا مدة حياتهم.

والاستقامة جامعة لأوصاف الإسلام: ففي صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك، قال: «قل: آمنت بالله ثم استقم». قال الإمام النووي: هذا من جوامع كلمه ﷺ وهو مطابق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ أي: وحدوا الله وآمنوا به ثم استقاموا فلم يحيدوا عن التوحيد والتزموا طاعته سبحانه

• ماظنك بيوم قام الناس فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لا يأكلون ولا يشربون والشمس دانية من الرؤوس وقد أتي بجهنم في الموقف فيشتد الكرب والهول..
• الاستقامة على التوحيد الكامل أمان في الدنيا والآخرة.

وتعالى إلى أن توفوا على ذلك. [شرح مسلم ١/٢١٣].

ومن حقق التوحيد قولاً وعملاً فله الأمن التام:

١- الأمن في الدنيا:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، الوعد من الله تعالى بتحقيق الأمن في الدنيا مشروط بتحقيق التوحيد.

٢- الأمن عند الموت:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

الخوف: هو الذعر ولا يكون إلا في المستقبل، والمستقبل هنا أهوال يوم القيامة وما بعدها؛ والحزن لا يكون إلا على ماض والمقصود هنا لا يحزن على ما خلفه في الدنيا.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الملائكة تقول لروح المؤمن: اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه أخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان». حسنه الألباني في أحكام الجنائز.

عند خروج روح من استقام على التوحيد مدة حياته تنزل عليه الملائكة تطمئنه وتبشره وتشعره بالسعادة.

٣- الأمن في القبر:

أجرى الله الكريم سننه أن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه، فمن ثبت على التوحيد قولاً وعملاً ثبته الله عليه وأمنه به من الأهوال المفزعة والتي منها القبر وما أدراك ما القبر؟

وفي صحيح سنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك».

٤- الأمن يوم الفزع الأكبر:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾، قال ثابت: بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعثه الله تعالى من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له: لا تخف ولا تحزن: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ قال: فيؤمِّنُ الله تعالى خوفه ويقر عينه، فما من عظيمة يخشى الناس منها يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين- أمن وأمان وطمأنينة- لما هداه الله تبارك وتعالى ولما كان يعمل له في الدنيا.

قال الإمام القرطبي: تقول الملائكة إذا كان يوم القيامة لا نتخلى عنكم ولا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة. [تفسير القرطبي ٦/٥٩٧٩].

٥- الخلود في الجنة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٤، ١٥].

كيف نستقيم على التوحيد؟

قال الحافظ ابن رجب: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ أي: استقاموا على التوحيد الكامل وهو تحقيق لا إله إلا الله، فإن لا إله إلا الله معناها أن الله هو المعبود الذي يُطاع فلا يعصى خشية وإجلالاً ومهابة ومحبة ورجاء وتوكلاً ودعاءً. والمعاصي كلها قادحة في هذا التوحيد، لأنها إجابة الداعي لهوى الشيطان. [جامع العلوم والحكم].

فمن استقام على التوحيد قولاً وعملاً عاش في الدنيا مطمئنًا وفي الآخرة لا يمر بأي كربة من كُرب الآخرة إلا بشرته الملائكة بما أعد له ويسرت له الحفظ من كل الكرب وبشرته بالجنة التي كان يوعد بها.

والله من وراء القصد

ثانيًا: الإخلاص

عن أبي أمامة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا وابتغي به وجهه». [السلسلة الصحيحة ٥٢].

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ [الإنسان: ٩- ١١].

هؤلاء المخلصون لا يريدون من بني آدم جزاءً ماليًا ولا ثناءً قوليًا، وإنما هدفهم وجه الله تعالى، فكان الجزاء أن وقاهم الله شر ذلك اليوم.

قال الإمام القرطبي في تفسيره (٨/٧١٣): ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ﴾ أي: فدفع عنهم شر ذلك اليوم بأسه وشدته وعذابه.

قال تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢].

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/١٥٤): قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي: أخلص العمل لله وحده لا شريك له، ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: اتبع فيه الرسول ﷺ، فإن للعمل المتقبل شرطين؛ أحدهما: أن يكون خالصًا لله وحده، والآخر: أن يكون صوابًا موافقًا للشريعة، فمتى كان العمل خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُتقبل.

الشهادة بالأمن

قال تعالى: ﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهذا هو خاتم الأمن والأمان من الرحيم الرحمن للمخلصين يوم الفزع الأكبر.

النجاة من النار

قال تعالى: ﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ [الليل: ١٤- ٢١].

وهذا وعد من الله عز وجل للمخلص بأنه سيُزَحزح عن النار ويُدْخَل الجنة مع الأبرار.

ثالثًا: الإيمان بالله تعالى

من علامات الإيمان بالله تعالى:

١- **إعمار المساجد**، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى

[illegible]

صلاح عبد الخالق

[illegible]

(١/٦٤٣): أي يهيلون، ولأنفسهم يمهدون آخرتهم، ويستعدون بالفوز بمنازلها وغرفاتها. اهـ.

نكرنا في الحلقة السابقة أول وسائل الأمن يوم الفزع الأكبر وهو تحقيق التوحيد لله رب العالمين.

أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]

٢- تحقيق الإيمان قولاً وعملاً:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧]

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: أمر رسول الله ﷺ وفد عبد القيس بأربع: أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخُمس». [صحيح مسلم].

٣- الإحسان إلى الآخرين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله ولايوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت». وفي رواية: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره».

[صحيح البخاري ٦١٣٨].

ومن ثمرات الإيمان

١- الأمن في الدنيا:

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]

قال العلامة السعدي في تفسيره (٤٤٩/١): قوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ وذلك بطمأنينة قلبه وسكون نفسه وعدم التفاته لما يُشوش عليه قلبه، ويرزقه الله رزقًا حلالاً طيبًا من حيث لا يحتسب.

٢- الأمن يوم الفزع الأكبر:

قال تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

هؤلاء الذين حققوا الإيمان بالله قولاً وعملاً لهم الأمن والأمان في يوم تشيب له الولدان ولكن بشرط عدم الشرك بالله، قال تعالى: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨١، ٨٢]

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٥٦/٢): أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له ولم يشركوا به شيئًا هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة.

٣- التخفيف من طول يوم القيامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر».

[صحيح الجامع ٨١٩٣]

من رحمة الله عز وجل وتكريمه للمؤمنين بأن خفف عنهم طول يوم القيامة من خمسين ألف سنة إلى كما بين الظهر والعصر من اليوم.

٤- الجلوس على كراسي من ذهب:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «يشتد كرب ذلك اليوم حتى يُلجم الكافرَ العرقُ، قيل له فأين المؤمنون؟ قال: على كراسيّ من ذهب ويظلل عليهم الغمام».

[أخرجه البيهقي في البعث بسند حسن]

يوم القيامة شديد الحرارة حيث تقترب الشمس من الرؤوس بمقدار ميل ويزداد حرها بضعة وستين ضعفًا في هول يوم القيامة، بينما تجد المؤمنين يجلسون على كراسيٍّ من ذهب في الظل.

أما يخشى من ترك ذرية ضعفاء أن يضيعوا؟ فليتق الله ربه، يحفظ الله أبناءه ويرعاهم من بعده..

٥- التمتع بنعيم الجنة:

قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف ٦٨- ٧٠].

معنى تحبرون: أي تنعمون وتكرمون ويأتيكم من فضل ربكم من الخيرات والسرور والأفراح واللذات ما لا تعبر الألسن عن وصفه.

[تفسير السعدي ٧٦٩]

رابعاً: تقوى الله تعالى

قال تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢- ٦٤].

هؤلاء الأولياء الأتقياء الأنقياء أعد الله لهم فضائل عظيمة منها:

١- البشرى في الحياة الدنيا، وتتمثل في:

أ- الثناء الجميل: في صحيح مسلم عن أبي ذر أنه قال: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل ويحمده الناس عليه ويثنون عليه، فقال رسول الله ﷺ: «تلك عاجل بشرى المؤمن».

ب- الرؤيا الصالحة: عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا الحسنة هي البشرى التي يراها المؤمن أو ترى له».

[صحيح الجامع ٣٥٢٧]

ج- لطف الله وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق وصرفه عن مساوئ الأخلاق. اهـ.

[تفسير السعدي للآيات من سورة يونس]

٢- البشرى عند الموت:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

تتنزل الملائكة على المتقين عند الموت تبشرهم بعدم الخوف والحزن وتبشرهم بالنعيم في جنات رب العالمين. عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحًا قالت: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج».

[صحيح الجامع ١٩٦٨]

٣- البشرى بالأمن يوم الفزع:

﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ قال الإمام القرطبي في تفسيره (٣٢٨٤/٤): من تولاه الله تعالى وتولى حفظه وحياطته ورضي عنه فلا يخاف يوم القيامة ولا يحزن، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ أي عن النار مبعدون.

٤- البشرى بالأمن للذرية في الدنيا:

قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ [النساء: ٦].

ذلك الفوز العظيم

قال العلامة السعدي: لأنه اشتمل على النجاة من كل محظور والظفر بكل مطلوب محبوب وحصر الفوز فيه لأنه لا فوز لغير أهل الإيمان والتقوى. اهـ.

رزقني الله وإياكم العلم النافع والعمل الصالح. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المخلصون لا يريدون جزاءً ماليًا ولا ثناءً قوليًا، وإنما هدفهم وجه الله تعالى، فأعطاهم الله ما أرادوا ووقاهم الفزع يوم القيامة..

الأمن يوم الفزع الأكبر

• الحلقة الثالثة •

بقلم/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الإسلام والإيمان، والصلاة والسلام على خير الأنام... وبعد:

فنكمل ما ابتدأناه بحول من الله وقوته عن وسائل الأمن والأمان يوم تشيب رؤوس الولدان في الآخرة، وذكرنا بعض وسائل الأمن يوم الفزع الأكبر، وكان مما ذكرناه تحقيق التوحيد لله عز وجل، والإخلاص، والإحسان إلى الناس، وتقوى الله عز وجل.

خامسًا: الخوف من الله تعالى

تعريف الخوف لغة: انفعال النفس، يحدث لتوقع ما يرد من المكروه، أو يفوت من المحبوب وهو الفزع. [المعجم الوسيط ٢٠٧]

والخوف الذي أقصده هنا هو الخوف من غضب الله تعالى وعقابه.

عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من خاف الله عز وجل خوف الله به كل شيء، ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شيء».

[صحيح الترمذي ٢٨٠٥]

إذا خاف المسلم ربه تعالى صار في حمايته ورعايته فلا يستطيع أحد أن يؤذيه إلا بإذنه، فصار في أمن وسعادة في دنياه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

قال العلامة السعدي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ أي: في جميع أحوالهم حتى في الحالة التي لا يطلع عليهم فيها إلا الله، فلا يقدمون على معاصيه ولا يقصرون فيما أمر به، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم وإذا غفر الله ذنوبهم وقاهم شرها ووقاهم عذاب الجحيم ولهم أجر كبير أعده الله لهم في الجنة.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: كان رجل يسرف على نفسه- أي في المعاصي- لما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر علي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدا، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض، فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك، فغفر له.

وعن أنس أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال: كيف تجدك، قال: أرجو الله يا رسول الله وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول اللَّه ﷺ: لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف.

[صحيح الترمذي ٧٨٥]

قال تعالى في سورة الإنسان: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾

[الإنسان: ١٠- ١١]

عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال رسول اللَّه ﷺ: قال الله: وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين، إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع عبادي.

[صحيح الجامع ٤٣٣٢]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... إلى أن قال: ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه». الرجل الأول هنا: خاف الله عز وجل بالغيب،

والثاني: تذكر وقوفه بين يدي الله جل جلاله في ساحة الحساب فبكى من خشية الله تعالى فكان الجزاء من جنس العمل، فصارا في ظل عرش الرحمن في وسط هذا الحر الشديد، وهذا فضل عظيم من المولى الكريم.

قال رسول اللَّه ﷺ: «عينان لا تمسهما النار أبدًا: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله». [صحيح الجامع (٤١١٣)] وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ الجنة الأولى: جزاء على ترك المنهيات. والجنة الثانية: على فعل الطاعات. قال رسول اللَّه ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة».

[صحيح سنن الترمذي ١٩٩٣]

قال الإمام المنذري: معنى الحديث: أن من خاف ألزمه الخوف إلى السلوك إلى الآخرة والمبادرة بالأعمال الصالحة خوفًا من القواطع والعوائق. [الترغيب ٤/١٣٦]

سادسًا: تعلم القرآن والعمل به

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾

[فاطر: ٢٩، ٣٠]

الشاهد من الآية: أن الذين يقرءون القرآن الكريم قراءة تدبر وتمعن وتعلم واهتداء بما فيه وعملٍ بأوامره واجتناب نواهيه قد أحسنوا التجارة مع الله فباعوا قليلاً وربحوا عظيمًا، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[البقرة: ٣٨]

قال الحسن: الهُدى: القرآن. قال العلامة السعدي: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ إذا انتفى الخوف والحزن حصل ضدهما وهو الأمن التام، فمن اتبع هداه، حصل له الأمن والسعادة الدنيوية والأخروية.

وفي صحيح مسلم عن النواس بن سمعان قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسول اللَّه ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال: «كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما فِرقٌ أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما».

الله أكبر: يأتي صاحب القرآن الذي كان يقرأ ويعمل به فوق رأسه مظلة تحميه من لهيب الشمس المحرقة وتتقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عنه.

سابعًا: الإنفاق في سبيل الله

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢]

معنى سبيل الله: أي طاعته ومرضاته.

معنى المن: ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها، الأذى: هو السب والتشكي وهو أعم من المن لأن المن جزء من الأذى لكنه نص عليه لكثرته. [القرطبي ٢/١٢٣١]

والمن والأذى مبطلان لثواب الصدقة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤]

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: لهم جزاؤهم العظيم اللائق بهم مكافأة على إخلاصهم في إنفاقهم.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا خوف: أي فيما يستقبلونه من أهوال القيامة. ولا هم يحزنون: على ما خلفوه من الأولاد ولا فاتهم من الحياة الدنيا لأنهم صاروا إلى ما هو خير لهم من ذلك. [تفسير ابن كثير ١/٣٠٨]

وإلى لقاء إن شاء الله

الأمن يوم الفزع الأكبر

إعداد / صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الإسلام والإيمان، والصلاة والسلام على خير الأنام... وبعد:

فنكمل ما بدأناه بحول الله وقوته عن وسائل الأمن يوم تشيب رؤوس الولدان في الآخرة، وذكرنا بعضًا منها قبل ذلك، وكان مما ذكرناه تحقيق التوحيد لله عز وجل، والإخلاص، والإحسان إلى الناس، وتقوى الله عز وجل.

ثامنًا: إقامة الصلاة

المقصود بإقامة الصلاة: إقامتها ظاهرًا بإتمام أركانها وواجباتها وشروطها، وإقامتها باطنًا بحضور القلب فيها وتدبر ما يقوله المصلي ويفعله منها وهي التي يترتب عليها الثواب فلا ثواب للمسلم من صلاته إلا ما عقل منها ويدخل في الصلاة فرائضها ونوافلها. [تفسير السعدي: ٤١/١]

قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا قام يصلي أُتي بذنوبه كلها فوضعت على رأسه وعاتقيه، فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه».

[السلسلة الصحيحة (١٣٩٨)]

قال الإمام المناوي: إنه كلما أتم ركنًا سقط عنه ركن من الذنوب حتى إذا أتمها تكامل السقوط، وهذه في الصلاة متوافرة الشروط والأركان والخشوع، كما يُؤذِن به لفظ العبد والقيام، إذ هو إشارة إلى أنه في مقام عبد ذليل بين يدي ملك الملوك.

وقال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقوم في صلاته فيعلم ما يقول إلا انتقل وهو كيوم ولدته أمه». [صحيح الجامع ٥٧٥٦]

ومعنى يسبغ الوضوء: أي يتمه ويكمله فيوصله مواضعه على الوجه المسنون.

والحديث دال على أن الذي يتم الوضوء ويقيم الصلاة فيعلم ما يقول خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. والله أعلم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧]. قال العلامة السعدي في تفسيره: إذا انتفى الخوف والحزن حصل ضدهما وهو الأمن التام. اهـ.

فمن أقام الصلاة حصل له الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله (وذكر منهم) رجل قلبه معلق بالمساجد...» الحديث. في هذا الحديث شبه النبي ﷺ قلب هذا الرجل كأنه معلق في المسجد، دل ذلك على شدة التعلق بالمسجد والصلاة فكان الجزاء أن يظله الله بظل عرشه يوم الحر الشديد.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى في المسجد جماعة أربعين ليلة لا تفوته الركعة الأولى من صلاة العشاء كتب الله له بها عتقًا من النار».

[أخرجه ابن ماجه وصححه الألباني (٧٩٨)]

فسابقوا إلى مغفرة من ربكم وحافظوا على التكبيرة الأولى في صلاة الجماعة أربعين ليلة متواصلة تعتق رقابكم من النار، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، ثم قال تعالى في ثمرة تلك الصفات: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ فوصفهم بالفلاح أولاً وبوراثة الفردوس آخرًا.

فهيا بنا نتسابق إلى الفردوس الأعلى من الجنة بإقامة الصلاة والحرص على صلاة الجماعة والصفوف الأولى.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى

الأمن يوم الفزع الأكبر

الحلقة الأخيرة

إعداد / صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الإسلام والإيمان، والصلاة والسلام على خير الأنام.. وبعد:

فنكمل ما ابتدأناه بحول من الله وقوته عن وسائل الأمن والأمان يوم تشيب رؤوس الولدان في الآخرة، وذكرنا بعض وسائل الأمن يوم الفزع الأكبر، وكان مما ذكرناه تحقيق التوحيد لله عز وجل والإخلاص والإحسان إلى الناس وتقوى الله عز وجل والخوف منه سبحانه وتعلم القرآن والعمل به والإنفاق في سبيل الله وإقامة الصلاة.

تاسعا: ذكر الله تعالى

وكل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكر لله. [الأذكار ١٢٩]

كثرة ذكر الرب تبارك وتعالى توجب الأمان من نسيان الله تعالى للعبد فإن نسيان الله تعالى للعبد يعني أنه يعامله معاملة الإهمال وذلك هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده فإن نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر]، وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها، واشتغل عنها فهلكت وفسدت ولا سبيل إلى الأمان من ذلك إلا بدوام ذكر الله تعالى. [الوابل الصيب ص٤٤]

قال ابن القيم: إن ذكر الله عز وجل يُذهب عن القلب مخاوفه كلها وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل؛ إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له والغافل خائف مع أمنه. [الوابل الصيب ٧٢]

وقال رحمه الله: إن الذكر نور للذاكر في الدنيا ونور له في قبره ونور له في معاده يسعى بين يديه على الصراط فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام]. فالأول هو المؤمن استنار بالإيمان بالله ومحبته ومعرفته وذكره والآخر هو الغافل عن ذكر الله تعالى المعرض عن ذكره ومحبته.

وعن جابر رضي الله عنه قال رسول اللّه ﷺ: «ما عمل آدمي عملاً أنجى من العذاب من ذكر الله تعالى. قيل: ولا الجهاد في سبيل الله. قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع». رواه الطبراني في الصغير والأوسط وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا على مثل جيفة حمار وكان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيامة». [صحيح الجامع (٥٧٥٠)]

قال ابن القيم: إن ذكر الله عز وجل يُؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة فإن كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرة يوم القيامة.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله

عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه». قال ابن القيم رحمه الله: ذكر الله عز وجل مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه والناس في حر الشمس قد صهرهم الموقف وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة]. قال العلامة ابن عثيمين: ذكر الله عز وجل من أسباب الثبات والفلاح، والفلاح كلمة جامعة يُراد بها حصول المطلوب والنجاة من المرهوب. [رياض الصالحين ٣/٤٦٢]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر». [صحيح الترمذي للألباني (٢٧٥٥)]

وإذا أردت أن تحصل على هذه الأجور العظيمة فعليك بالذكر الكامل وهو ما يجتمع فيه ذكر اللسان وذكر القلب في التفكير في المعنى واستحضار عظمة الله تعالى.

[فتح الباري ١١/٢١٣]

عاشرًا: الإكثار من الحسنات

والحسنة: هي اسم جنس يشمل كل حسنة قولية أو فعلية أو قلبية وتشمل كل حسنة يعملها الإنسان. [تفسير السعدي]

إنَّ أعظم الحسنات القولية: كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وأعظم الحسنات الفعلية هي الإحسان بجميع أنواعه.

وأعظم الحسنات القلبية: تصحيح النية لتصبح موافقة لشرع الله تعالى في كل الأوقات.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/٤٧٣): إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السابقة.

وفي صحيح الترمذي: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن».

[رواه الترمذي وصححه الألباني]

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى:٢٣].

قال العلامة السعدي (٧٥٨): قوله تعالى: ﴿نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ بأن يشرح الله صدره وييسر له أمره وتكون سببًا في التوفيق لعمل آخر ويزداد بها عمل المؤمن ويرتفع عند الله وعند خلقه ويحصل له الثواب العاجل والآجل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل:٨٩].

قال العلامة السعدي (٦١١): ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ أي: من الأمر الذي فزع الخلق لأجله، آمنون وإن كانوا يفزعون معهم.

فمن جاء بالحسنات الكثيرة الخالصة لوجه الله وعده الملك الرحيم بأنه سيكون من الآمنين المطمئنين يوم الفزع الأكبر.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [القارعة:٦-٧]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة].

والله من وراء القصد

إلى بيوت الله تعالى

إعداد: صلاح عبد الخالق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإننا بعد انتهاء رمضان المبارك، نجد بيوت الله تعالى قد هُجرت وقلّ روادها فأردنا أن نذكر أنفسنا بمكانة المساجد وفضل عمارتها.

المساجد أحب الأماكن إلى الله تعالى:

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها».

الكريم يكرم زائره:

المساجد هي بيوت الله تعالى في الأرض ولمكانتها ذكرت في كتاب الله تعالى في ثمانية عشر موضعًا منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]، وفي سنن الترمذي وصححه الألباني عن سلمان رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله وحق على المزور أن يكرم زائره».

ومن فضائل عمارة المساجد في الدنيا ما يلي:

١- الهدى والإيمان:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]، في هذه الآية وصف من الله جل جلاله بأن عمار المساجد هم أهل الهدى، والهدى من أعظم مفاتيح العمل الصالح.

٢- محبة الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لا يتوضأ أحدكم فيحسن وضوءه فيسبغه ثم يأتي المسجد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا تبشبش الله إليه كما يتبشبش أهل الغائب بطلعته». [صحيح الترغيب والترهيب للألباني: ٣٠١]، في هذا الحديث يتضح لنا مدى محبة الله عز وجل لعبده المتوضئ الذي يزور بيته، وإذا أحب الله العبد، وضع له القبول في الأرض، وأسعده في آخرته.

٣- السكينة وطمأنينة النفس:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده». قال الإمام النووي: قوله ﷺ: «نزلت عليهم السكينة» أي: الطمأنينة والوقار. [شرح مسلم].

فزائر بيوت الله يشعر بالطمأنينة والراحة النفسية وانشراح الصدر وهدوء البال.

٤- سعة الرزق:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة كلهم ضامن على الله إن عاش رزق وكفي وإن مات أدخله الله الجنة من دخل بيته فسلم فهو ضامن على الله ومن خرج إلى المسجد فهو ضامن على الله ومن خرج في سبيل الله فهو ضامن على الله». [صحيح الترغيب والترهيب للألباني]

٥- تسهيل الصعوبات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن للمساجد أوتادًا الملائكة جلساؤهم إن غابوا يتفقدوهم وإن مرضوا عادوهم وإن كانوا في حاجة أعانوهم، ثم قال: جليس المسجد على ثلاث خصال أخ مستفاد أو كلمة حكمة أو رحمة منتظرة».

[صحيح الترغيب: ٣٢٧]

نلاحظ أن الملائكة يتفقدون أحوال عمار المساجد وإذا كانوا في ضيق ساعدوهم وعاونوهم في حل مشاكلهم الصعبة حتى يعودوا.

٦ـ الثواب الحاصل من المشي إلى الصلاة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله أو ترفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة».

في هذا الحديث يوضح ﷺ أن مفاصل جسم الإنسان عليها صدقات كل يوم بعددها والخطوات إلى المساجد تساهم في سداد هذه الديون.

اعلم أخي المسلم رحمني الله وإياك أنك عندما تزور الكريم في بيته فكرمه بحسب عظمته وهذا الكرم واسع جدًا في الآخرة ومن مظاهره:

٧ـ الظل في يوم الحر الشديد:

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... رجل قلبه معلق بالمساجد».

قال الإمام النووي: قوله: «ورجل قلبه معلق بالمساجد» معناه شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها وليس معناه دوام القعود في المسجد.

[شرح مسلم: ١٢٦/٧]

نلاحظ في هذا الحديث أن هذا الرجل شديد التعلق بالمسجد كأن المسجد قطعة من قلبه لا يستطيع الاستغناء عنه ولذا نلحظ أن الصحابة رضوان الله عليهم ضربوا لنا أروع الأمثلة في ذلك، فكان الرجل منهم يشتد به المرض ولا يستطيع السير إلى المسجد فكان يُهادى بين الرجلين حتى يقف في الصف في المسجد في صلاة الجماعة.

٨ـ غسل الذنوب وتكفيرها:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إسباغ الوضوء على المكاره وإعمال الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة تغسل الخطايا». [صحيح الترغيب: ٣١١].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى قال للنبي ﷺ في المنام: «يا محمد، هل تدري فيما يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم في الكفارات، المكث في المسجد بعد الصلاة والمشي على الأقدام إلى الجماعات وإسباغ الوضوء في المكاره، ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه».

والمعنى العام لهذا الحديث أن الذي يعمر بيت الله بالطاعة وصلاة الجماعة عاش سعيدًا ومات مستبشرًا لأنه سيخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

٩ـ تثقيل الموازين:

قال رسول الله ﷺ: «من خرج من بيته متطهرًا إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم». [أخرجه أبو داود وحسنه الألباني] ولك أن تتخيل الثواب العظيم عندما تتوضأ في بيتك ثم تذهب إلى الكريم في بيته خمس مرات لك كأجر خمس حجات، لا شك أن ذلك ثواب عظيم يثقل ميزان حسناتك الذي وحدة الوزن فيه بالذرة قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

١٠ـ رفع الدرجات في الجنة:

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة».

قال الإمام القرطبي رحمه الله: الحاصل بالخطوة الواحدة ثلاثة أشياء كتب الله له بكل خطوة حسنة ويرفعه بها درجة ويحط بها عنه سيئة، والله أعلم. [المفهم في تلخيص مسلم ٢٩٠/٢]

١١ـ النور التام على الصراط يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ [الحديد: ١٢]، يقول العلامة السعدي رحمه الله: «إذا كان يوم القيامة وكورت الشمس وخسف القمر وصار الناس في الظلمة ونصب الصراط على متن جهنم فحينئذ ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم فيمشون وإيمانهم نورهم في ذلك الموقف الصعب كل على قدر إيمانه، ويُبشرون عند ذلك أعظم بشارة. قال تعالى: ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وفي صحيح الترغيب (٣١٣) عن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة».

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المسجد بيت كل تقي، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى الجنة».

[صححه الألباني في الترغيب]

١٢ـ الضيافة في الجنة:

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح»، وهذا فضل عظيم يعطيه المولى الكريم من ذهب إلى بيته ومن رجع من بيته بأن تُعد له في الجنة ضيافة بذهابه وضيافة برجوعه.

والحمد لله رب العالمين.

إلى من يهوى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وبعد:

إن الإيمان باليوم الآخر هو التصديق الجازم بانقلاب هائل يتم في الكون ويكون انتهاء هذه الحياة الدنيا بكاملها وابتداء حياة أخرى وهي الدار الآخرة بكل ما فيها من حقائق مدهشة من بعث الخلق وحشرهم وحسابهم ومجازاتهم.

وبالجملة فإن معتقد الإيمان بالله واليوم الآخر هذا رأس كل عقيدة وأساس كل إيمان وعليه مدار استقامة الإنسان وصلاح خُلقه وطهارة روحه.

[عقيدة المؤمن بتصرف]

الدعوة إلى الجنة:

والله عز وجل الرحيم الرحمن يدعونا في كل وقت وآن في القرآن وفي سنة سيد الأنبياء إلى السباق نحو الجنان لنعيش في أمن وأمان في الدنيا ويوم تشيب الولدان نسأله حسن الختام ودخول الجنان.

يقول تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠- ٧١].

يقول السعدي رحمه الله قوله تعالى: «ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين»، وهذا لفظ جامع يأتي على كل نعيم وفرح وقرة عين وسرور قلب، فكل ما اشتهته النفوس من مطاعم ومشارب وملابس ومناكح، ولذته العيون من مناظر حسنة وأشجار محدقة، ونعم مونقة ومبان مزخرفة فإنه حاصل ما فيها معد لأهلها على أكمل وجه وأفضله.

[تفسير السعدي: ٧٦٩]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تبارك وتعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

والمعنى مهما تتخيل وتتصور ويجول في خاطرك من نعيم الجنة فلن تصل إلى حقيقة هذا النعيم إلا بقدر ما جاء القرآن والسنة على سبيل التقريب والتشويق، وهنا تأتي العظمة على أن الذي أعدها هو الله سبحانه وتعالى.

الكلام عن الجنة مريح للنفوس مطمئن للصدور محبب للأفئدة المؤمنة نحو الشوق إليها وسيكون الكلام عن بعض مساكن الجنة وبعض مواصفاتها وصفات من يدخلها والطريق إليها.

مساكن طيبة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٠- ١٢]، في هذه الآيات نداء واستفهام وعمل وجزاء؛ أما النداء فهو من الملك سبحانه وتعالى ينادي على عباده المؤمنين.

والاستفهام: «هل أدلكم» وهو للتشويق وإيقاظ الهمة، وحث النفوس نحو هذه التجارة، وأركان التجارة مع الله عز وجل وهي تقوم على:

الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ.

الجهاد في سبيل الله، ويشمل:

١- جهاد العبد فيما بينه وبين نفسه، وهو قهر النفس ومنعها عن المحرمات.

٢- وجهاد بينه وبين الخلق وهو أن يدع الطمع فيهم ويشفق عليهم ويرحمهم.

٣- وجهاد أعداء الله بالنفس والمال لنصرة دين الله.

قوله: «يدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار»: أي يدخلكم حدائق وبساتين تجري من تحت قصورها أنهار الجنة، «ومساكن طيبة في جنات عدن» أي: ويسكنكم قصورًا رفيعة في جنات عدن.

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حُجبت النار بالشهوات وحُجبت الجنة بالمكاره».

يقول الحافظ ابن حجر: المراد بالمكاره هنا ما أمر المكلف بمجاهدة نفسه فيه فعلا وتركًا كالإتيان بالعبادات على وجهها والمحافظة عليها واجتناب المنهيات قولاً وفعلاً، وأطلق عليها المكاره لمشقتها على العامل وصعوبتها عليه؛ ومن جملتها الصبر على المصيبة والتسليم لأمر الله، فكأنه يقول صلى الله عليه وسل لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المشقات المعبر عنها بالمكروهات. [فتح الباري: ٣٢٨/١١]

سكن الجنة

إعداد
صلاح عبد الخالق

من مساكن الجنة

أولاً: الفردوس الأعلى:

في صحيح البخاري (٢٧٩٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة».

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: قوله ﷺ: «أوسط الجنة وأعلى الجنة» المراد بالأوسط هنا الأعدل والأفضل كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ فعلى هذا عطف الأعلى عليه للتأكيد.

قال ابن حبان: المراد بالأوسط السعة، وبالأعلى الفوقية، وفي الحديث إشارة: إلى أن درجة المجاهد قد ينالها غير المجاهد إما بالنية الخالصة أو بما يوازيه من الأعمال الصالحة لأنه ﷺ أمر الجميع بالدعاء بالفردوس بعد أن أعلمهم أنه أعد ذلك للمجاهدين.

هؤلاء ساكنو الفردوس:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ [الكهف: ١٠٧- ١٠٨].

هؤلاء السعداء صدقوا في إيمانهم فصلحت أعمالهم، ومن هذه الأعمال ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١- ١١].

يقول العلامة السعدي: هذا تنويه من الله بذكر عباده المؤمنين وذكر فلاحهم وسعادتهم، وبأي شيء وصلوا إلى ذلك، وفي ضمن ذلك الحث على الاتصاف بصفاتهم والترغيب فيها، فليزن العبد نفسه وغيره على هذه الآيات، يعرف بذلك ما معه وما مع غيره من الإيمان زيادة ونقصًا، كثرة وقلة. [تفسير السعدي: ٥٤٧].

في صحيح الترغيب (٩٥١/٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله تبارك وتعالى الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك وقال لها تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقالت الملائكة طوبى لك منزل الملوك».

صفة مباني الجنة

في سنن الترمذي عن أبي هريرة قال: قلنا: يا رسول الله: الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران، من يدخلها ينعم لا يبأس ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم... [أخرجه الترمذي ح٢٥٢٦ وصححه الألباني]

هذا البناء العظيم، لبناته واحدة من ذهب والأخرى من فضة، والذي يربط بين اللبنتين المسك الأذفر (الملاط) والحصباء: صغار الحجارة من اللؤلؤ والياقوت وتربتها: الزعفران.

ثانيًا: غرف الجنة:

من هم ساكنو هذه الغرف؟ وما صفاتهم؟ من ساكني الغرف:

أ- عباد الرحمن: قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاَمًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [المؤمنون: ٦٣- ٧٦].

يقول القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ أولئك: خبر، وعباد الرحمن: مبتدأ، وهو أحسن ما قيل فيه وما تخلل بين المبتدأ وخبره أوصافهم من التحلي والتخلي

وهي إحدى عشرة: [التواضع، الحلم، التهجد، الخوف، وترك الإسراف والاقتار، والنزاهة عن (الشرك والزنى والقتل)، والتوبة وتجنب الكذب، والعفو عن المسيء وقبول المواعظ والابتهال إلى الله]. و«الغرفة»: الدرجة الرفيعة وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا. «بما صبروا»: أي بصبرهم على أمر ربهم وطاعة نبيهم عليه أفضل الصلاة والسلام.

ب- المتقون:

قال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠].

المعنى: لكن الذين خافوا عذاب الله وراقبوه في السر والعلن وأخلصوا له العبادة أعد لهم في الجنة غرفًا من فوقها غرف وهي قصورٌ عالية ذات طبقات مزخرفات قد تم بناؤها بحالة تشرح الصدر وتسر العين، فالأنهار تجري من تحتها لكمال بهجتها وزيادة رونقها وهذا وعد الله للمتقين المؤمنين.

ج- المصدقون بالمرسلين:

في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم»، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال ﷺ: «بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

قال الحافظ ابن حجر: قوله ﷺ «يتراءون»: المعنى: أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم بحسب درجاتهم في الفضل، حتى إن أهل الدرجات العلى ليراهم من هم أسفل منهم كالنجوم، وقد بين ذلك في الحديث بقوله ﷺ: «لتفاضل ما بينهم».

قوله ﷺ: «صدقوا المرسلين» أي تصديقًا يظهر واضحًا في القول والعمل والطاعة لأنه سيجاور النبيين والصديقين والشهداء، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

د- المكثرون من الطاعات:

في سنن الترمذي عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لغرفًا يُرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها» فقام إليه أعرابي فقال: لمن هي يا نبي الله؟ قال: «هي لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام» هذه الغرف من حسنها وبهائها وصفائها يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها من علوها وارتفاعها.

هـ- المتحابون في الله تعالى:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن المتحابين لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي فيقال من هؤلاء فيقال المتحابون في الله عز وجل».

[مسند الإمام أحمد (٨٧/٣) ورجاله رجال الصحيح]

و- الشهداء:

عن نعيم بن همّار أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أيّ الشهداء أفضل؟ قال: الذين إن يلقوا في الصف لا يلفتون وجوههم حتى يُقتلوا، أولئك ينطلقون في الغرف العلا من الجنة ويضحك إليهم ربهم، وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه.

[رواه أحمد ٢٢٣٧٥ وأبو يعلى ورجالهما ثقات]

ز- قارئوا القرآن:

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كنت جالسًا عند النبي ﷺ فسمعته يقول: «تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة ثم سكت ساعة ثم قال تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان وإنهما تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف وإن القرآن يأتي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول ما أعرفك! فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك بالهواجر وأسهرت ليلك وإن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيُعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويُوضع على رأسه تاج الوقار ويُكسى ولداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال بأخذ ولدكما القرآن ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً».

مسند الإمام أحمد (٣٤٨/٥) برقم (٢٢٨٤٥)، والحديث حسن بشواهده من هذا الحديث نأخذ تلاوة القرآن من أفضل أنواع التجارة مع الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩- ٣٠]، نفع الوالدين بالأمن يوم الفزع الأكبر، والحصول على أعلى غرف ودرجات الجنة.

كل هذه البركات ينالها من صاحب القرآن قولاً وعملاً فمن كان كذلك فإن بركة القرآن لا تتركه وتنجيه بفضل الله عز وجل من كل المهالك فأسرع إلى حفظ القرآن قولاً وعملاً وإخلاصًا وصدقًا حتى تلحق بهؤلاء السعداء.

نسأل الله الفردوس الأعلى.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

من آداب المساجد

اعداد

الحمد لله ولي المتقين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فإن للمساجد آدابًا ينبغي لكل مسلم أن يراعيها إذا جاءها، ونُجمل القول فيها في ما يلي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «من أتى المسجد لشيء فهو حظه». [صحيح سنن أبي داود: ٩٤/١]. وهذا يدل على أن من أتى المسجد لقصد حصول شيء أخروي أو دنيوي فذلك الشيء حظه ونصيبه؛ لأن لكل امرئ ما نوى، وفيه تنبيه على تصحيح النية في إتيان المساجد لئلا يكون مختلطًا بغرض دنيوي، كالتمشية أو اللقاء مع الأصحاب بل ينوي الاعتكاف والعزلة والانفراد والعبادة وزيارة بيت الله واستفادة علم وإفادته ونحوها. [عون المعبود: ١٣٦/٢]

وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يُعلمه كان له كأجر حاج تامًا حجته». [صحيح الترغيب: ٨٢]

٢ - الوضوء:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «من خرج من بيته متطهرًا إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم». [صحيح الجامع (٦٢٢٨)]

٣ - اجتناب أكل الثوم والبصل وما يكرد رائحته:

والسبب في منع أكل الثوم والبصل من دخول المسجد أن الثوم والبصل يخرج منهما روائح كريهة تؤذي المصلين وكذلك الملائكة.

في «صحيح مسلم» قوله ﷺ: «من أكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس».

قال العلماء: «ويلحق بالثوم والبصل والكراث كل ما له رائحة كريهة من المأكولات وغيرها».

٤ - التزين والتجمل للصلاة:

قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

قال الحافظ ابن كثير: ولهذه الآية وما ورد في معناها من السنة؛ يُستحب التجمل عند الصلاة ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد، وكذا يستحب الطيب لأنه من الزينة والسواك لأنه من تمام ذلك، وأفضل اللباس البياض، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ: «البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم». [مسند أحمد]

قال رسول اللّه ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال». [صحيح مسلم]

وللأسف بعض المصلين يذهب إلى المسجد بملابس نومه ألا يدري هذا المصلي أنه يقف أمام ملك الأرض والسماوات.

٥ - المشي بسكينة ووقار:

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا».

في هذا الحديث أدب رفيع؛ ألا وهو المشي إلى المسجد بهدوء وسكينة ووقار؛ حتى لو أقيمت الصلاة، فلا تسرع لأنك في صلاة، وحتى تخشع في صلاتك وإن فاتك بعض الصلاة فأتم ما فاتك بخشوع وسكينة.

ثانيا: اداب دخول المسجد

١ - الدخول بالرجل اليمنى:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ كان إذا دخل المسجد قال: «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»، قال: فإذا قال ذلك قال الشيطان: حُفظ مني سائر اليوم. [صحيح أبي داود: ٤٦٥]

وعن أبي حميد وأبي أسيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول اللّه ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك». ثم بعد ذلك يقول: بسم الله. [صحيح مسلم]

٢ - السلام على من في المسجد:

يسلم الداخل على من في المسجد بصوت يسمعه من حوله؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم». [مسلم (١٩٤)]

٣ - صلاة تحية المسجد:

فإذا كان المؤذن قد أذن بعد دخول الوقت صلى السنن الراتبة إن كان للصلاة راتبة فإن لم يكن لها راتبة قبلها، فسنة ما بين الأذانين، لأن بين كل أذانين

صلاة وتجزئ عن تحية المسجد، فإن دخل المسجد قبل دخول وقت الصلاة صلى ركعتين، لحديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين». [متفق عليه]

بعد صلاة النافلة يحرص على الصف الأول على يمين الإمام- إذا تيسر ذلك- بلا مزاحمة ولا أذى لأحد؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا». [متفق عليه]

ولحديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف». [رواه أبو داود وابن ماجه]

٩- الجلوس بعد الصلاة للذكر:

يقرأ القرآن أو يذكر الرحمن لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء سيدًا وإن سيد المجالس قبالة القبلة». [رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن]

٦- انتظار الصلاة ولا يؤذي أحدا بقوله أو فعله:

فإن بقي وقت قبل الصلاة أو أراد أن يجلس في المسجد ينوي انتظار الصلاة ولا يؤذي أحدًا بقوله أو بفعله لأنه في صلاة ما انتظر الصلاة وتصلي عليه الملائكة قبل الصلاة وبعدها ما دام في مصلاه. ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة وتقول الملائكة: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه». وفي لفظ مسلم: «والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تُب عليه، ما لم يؤذ وما لم يحدث». يُحدث: ينقض وضوءه.

٧- عدم نشدان الضالة في المسجد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد فليقل: لا ردها الله عليك، فإن المساجد لم تبن لهذا». [صحيح البخاري] وعن بريدة رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى ثم قام رجل فقال: «من دعا إلى الجمل الأحمر؟ فقال ﷺ: لا وجدت إنما بُنيت المساجد لما بُنيت له». [صحيح مسلم] معنى: ينشد: يطلب. الضالة: الشيء الضائع.

قال الإمام الصنعاني: الحديث دليل على تحريم السؤال عن الضالة في المسجد، وهل يلحق به السؤال عن غيرها من المتاع ولو ذهب في المسجد؟ قيل: يلحق للعلة. والعلة: أن المساجد لم تبن لهذا. [سبل السلام ٢٩٩/١]

قال الإمام النووي: قوله ﷺ لا وجدت، وأمر النبي ﷺ أن يُقال هذا هو عقوبة له على مخالفته وعصيانه، ولسامعه أن يقول: لا وجدت فإن المساجد لم تبن لهذا. [شرح مسلم]

قال ابن حجر: قوله ﷺ: «لا ردها الله عليك» هو دعاء على الطالب- الذي يطلب ضالته في المسجد- ألا يجد ما يطلبه لأنه ارتكب في المسجد ما لا يجوز. [فتح الباري]

وقال الإمام الصنعاني: «إن من ذهب عليه متاع فيه أي في المسجد وغيره- جلس على باب المسجد يسأل الخارجين والداخلين إليه». [سبل السلام]

ويمكن تعليق ورقة على باب المسجد من الخارج ليُعلن عليها الشيء الضائع. والله تعالى أعلم.

٨- تحريم البيع والشراء في المسجد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد، فقولوا: لا أربح الله تجارتك؟!». [صحيح الترمذي: ١٣٢١]. يبتاع: يشتري.

والحديث يدل على تحريم البيع والشراء في المسجد وأنه ينبغي لمن رأى ذلك أن يقول: «لكل من البائع والمشتري لا أربح الله تجارتك جهرًا للفاعل». [سبل السلام: ١٨٩/٢]. وهذا فيه تعزير بالدعاء، والعلة في قوله ﷺ فيما سلف فإن المساجد لم تبن لذلك.

٩- عدم رفع الصوت في المسجد:

يحرم رفع الصوت في المسجد على وجه يشوش على المصلين ولو بقراءة القرآن ويستثنى من ذلك درس العلم. [فقه السنة: ٢٢١/١]

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقرآن فكشف الستر وقال: ألا إن كلكم مناج ربه فلا يؤذين بعضكم بعضًا ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة، أو قال في الصلاة». [صحيح أبي داود: ١٣٣٢]

هذا النهي وقع عندما رفع المصلون أصواتهم بالذكر والقرآن فكيف إذا كان بكلام فيه ما فيه من الحرمة والتشويش.

١٠- شغل الوقت في الذكر والقرآن:

اعتاد بعض الناس - إلا من رحم الله - أن يشغل الوقت بين الأذان والإقامة مع الذي يجلس بجواره في أمور الدنيا والقيل والقال والإعراض عن قراءة القرآن والذكر.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يرفعه: «سيكون في آخر الزمان قوم يجلسون في المساجد حلقًا حلقًا إمامهم الدنيا فلا تجالسوهم فإنه ليس لله فيهم حاجة». [الصحيحة: ١١٦٣]

١١- دعاء الخروج:

وفي حديث أبي أسيد أن رسول الله ﷺ قال ... وإذا خرج أحدكم فليقل: «اللهم إني أسألك من فضلك». [مسلم]

الحياء هو الحياة

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد:

الحياء ملك الأخلاق الحميدة وسلطان الأخلاق الرشيدة، وسيد الأخلاق المجيدة، وله ثمار عديدة، وحسنات فريدة، فهو مفتاح لكل خير وسعادة، ومغلاق لكل شر وتعاسة، مفتاح لكل الطاعات، مغلاق لكل المعاصي والموبقات، مغلاق للنار، مفتاح للجنات.

تعريف الحياء:

قال الحافظ ابن حجر: الحياء: خلق يبعث صاحبه على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. [فتح الباري: ٦٨/١]

علاقة الحياء بالحياة:

قال ابن القيم رحمه الله: الحياء مشتق من الحياة، والغيث يسمى حيًا - بالقصر - لأن به حياة الأرض والنبات والدواب وكذلك سميت بالحياة حياة الدنيا والآخرة، فمن لا حياء فيه فهو ميت في الدنيا شقي في الآخرة. [الداء والدواء: ٩٦]

النظرة اللغوية لمعنى الحياء تشير إلى بعد آخر هو العلاقة اللفظية الواضحة بين الحياء والحيا والحياة ؟ إذ الحياء مدد للفضائل والقيم كما أن الحيا هو المطر يحيي الأرض وينشر الخير والخصب، وإذا كانت الحياة تعني الحيوية والعطاء والنمو والتأثير فإن الحياء يعني ذلك كله بالنسبة للمنهج الأخلاقي في كل أعراف البشر.

من فضائل الحياء:

للحياء فوائد حميدة، وفضائل عديدة وثمار مديدة منها:

١- الحياء مفتاح كل خير:

في الصحيحين: عن عمران بن حصين قال: قال النبي ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير».

يقول ابن حجر رحمه الله: إذا صار الحياء عادة وتخلق به صاحبه يكون سببًا يجلب الخير إليه فيكون منه الخير بالذات والسبب.

[فتح الباري: ٥٣٩/١٠]

الحياء أصل كل خير وذهابه ذهاب الخير أجمعه. [الداء والدواء ٩٦]

٢- الحياء مغلاق لكل شر:

في صحيح البخاري (٦١٢٠) عن أبي مسعود قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

قال الخطابي: الحكمة في التعبير بلفظ الأمر دون الخبر في الحديث أن الذي يكف الإنسان عن مواقعة الشر هو الحياء فإذا تركه صار كالمأمور بارتكاب كل شر. [فتح الباري: ٥٤٠/١٠]

قال ابن القيم: خُلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه فليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة كما أنه ليس معه من الخير شيء. [مفتاح دار السعادة ٢٢٧]

إن الحياء في حقيقته شجاعة تملأ القلب فتمسك بتلابيب النفس حتى لا تنغمس في شهواتها وتتورط في هواها وتنطلق تتعدى الحدود وتحطم القيود.

نلاحظ هنا: أن الحياء الحقيقي هو الذي يغلق أمامك كل أبواب الشر ويفتح لك أبواب الخير.

٣ـ الحياء مفتاح لكل الطاعات:

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان».

وقد سمى الحياء من الإيمان؛ لكونه باعثًا على فعل الطاعة وحاجزًا عن فعل المعصية فإن قيل لِمَ أُفرد بالذكر هنا ؟ أجيب بأنه - الحياء - كالداعي إلى باقي الشُّعَب - أي شعب الإيمان. [الفتح: ٦٨/١]

معنى ذلك أن الحياء الحقيقي يحفزك على فعل باقي شعب الإيمان الكثيرة وكافة الطاعات.

٤ـ الحياء مفتاح محبة الله تعالى:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى إذا أنعم على عبد يحب أن يرى أثر النعمة عليه ويكره البؤس والتباؤس ويبغض السائل الملحف ويحب الحيي العفيف المتعفف».

[صحيح الجامع ١٧١١]

فالله تعالى يحب الحياء وبالتالي يحب أهل الحياء ومن أحبه الله تعالى صار سعيدًا في كل حياته وعند مماته وفي قبره ويوم لقاء الله تعالى.

٥ـ الحياء من مفاتيح الزينة والبهاء:

عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه». [رواه الترمذي (١٩٧٤) وصححه الألباني]

وقال القرطبي: من الحياء ما يحمل صاحبه على الوقار بأن يُوقر غيره ويتوقر هو في نفسه.

[الفتح ٥٣٨/١٠]

٦ـ الحياء من مفاتيح الأمن يوم القيامة:

في صحيح البخاري (٦٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه».

نلاحظ في هذا الحديث أن قوة الحياء الحقيقية متوافرة فيهم أجمعين، ويأتي منهم هذا الرجل العجيب الذي تعرض لفتنة عظيمة ألا وهي فتنة النساء وما أدراك ما فتنة النساء؟! امرأة كاملة الأوصاف من مال وجمال ومنصب تدعوه إلى الزنى، ومن العجب أنها مع الجمال والمنصب هي التي تدعوه إلى الفاحشة، ولكن قوة الحياء من الله تعالى تمنعه، ويقول: إني أخاف الله، فكان الجزاء من جنس العمل فأظله الله في ظل عرشه يوم الفزع الأكبر.

قال القرطبي: قوله: «إني أخاف الله إنما يصدر ذلك عن شدة خوف من الله تعالى ويقين وتقوى».

[فتح الباري ٦٦٠/٢]

٧ـ الحياء من مفاتيح الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة».

[رواه الترمذي (٢٠٠٩) وصححه الألباني]

نماذج من أهل الحياء:

١ـ نبينا محمد ﷺ:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئًا يكرهه عرفناه في وجهه.

العذراء: هي المرأة التي لم تتزوج وهي شديدة الحياء لأنها لم تتزوج وتعاشر الرجال فتجدها حيية في خدرها (سترها)، فرسول الله ﷺ أشد حياء منها. [شرح رياض الصالحين]

٢ـ نبي الله موسى عليه السلام:

في كتاب الله عز وجل نرى هذا الموقف: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ

اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٤- ٢٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: سار موسى عليه السلام من مصر إلى مدين ليس له طعام إلا البقل وورق الشجر وكان حافيًا فما وصل إلى مدين حتى سقطت نعل قدميه وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه، وإن بطنه للاصق بظهره من الجوع وإن خضرة البقل لترى من داخل جوفه وإنه لمحتاج إلى شق تمرة. [تفسير ابن كثير: ٣٩٧/٣]

فوجد امرأتين فأحسن إليهما وسقى لهما الغنم وجلس يستريح في الظل يدعو الله قائلاً: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾. فكانت إجابة الدعاء سريعة، يقول تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾، ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ مشية الفتاة الطاهرة الفاضلة العفيفة النظيفة حين تلقى الرجال على استحياء، في غير ما تبذل ولا تبرج ولا تبجح ولا إغواء، جاءته لتنهى إليه دعوة في أقصر لفظ وأخصره يحكيه القرآن بقوله: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾.

هذا الحياء علم المرأة طاعة الله تعالى، وعلمت عن موسى عليه السلام الأمانة، ولذلك قالت المرأة لأبيها: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

كيف نكتسب الحياء؟

الحياء موجود في فطرة الإنسان ويحتاج إلى أن ننميه في أقوالنا وأفعالنا، وذلك عن طريق:

جامع أوصاف الحياء:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استحيوا من الله تعالى حق الحياء، قال: قلنا يا رسول الله إنا نستحي والحمد لله، قال: ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، البطن وما حوى، ولتذكر الموت والبِلَى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء».

[صحيح سنن الترمذي وحسنه]

فالحياء من الله تعالى أن تحفظ الرأس وما وعى: يدخل فيه حفظ السمع والبصر واللسان من المحرمات، وحفظ البطن وما حوى: يتضمن حفظ القلب عن الإصرار على ما حرم الله ويتضمن أيضًا حفظ البطن من إدخال الحرام إليه من المآكل والمشارب، ومن أعظم ما يجب حفظه من نواهي الله عز وجل اللسان والفرج. [جامع العلوم والحكم ٢٠٦]

حياء يرفضه الإسلام:

هناك صور يرفضها الإسلام لأنها ليست من الحياء في شيء، منها على سبيل المثال:

١- الحياء في طلب العلم:

في صحيح مسلم عن سعيد بن المسيب أن أبا موسى قال لعائشة رضي الله عنها: إني أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحي منك. فقالت: سل ولا تستحي فإنما أنا أمك، فسألها عن الرجل يغشى ولا ينزل، فقالت عن النبي ﷺ قال: «إنه إذا أصاب الختان الختان فقد وجب الغسل». قال مجاهد: لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر، وقالت عائشة رضي الله عنها: نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين.

[فتح الباري: ٢٢٩/١]

٢- الحياء من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول: ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره؟ فإذا لقن الله عبدًا حجته قال: يا رب رجوتك وفرقت من الناس». [رواه ابن ماجه وصححه الألباني]

معنى فرقت: خفت من الناس.

فإذا رأيت مسلمًا يفعل منكرًا فلا يجوز أن تتركه يلقي بنفسه في النار بحجة أننا نستحي أن ننكر عليه.

٣- الحياء من ترك مصافحة الأجنبية:

أن يصافح الرجل المرأة الأجنبية زعمًا منه أنه استحيا منها لأنها مدت يدها لتصافحه!

قال رسول الله ﷺ: «لأن يُطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له». [صححه الألباني في صحيح الجامع: ٥٠٤٥]

٤- خروج المرأة سافرة:

خروج المرأة سافرة متبرجة كاشفة جسدها للأجانب فإذا نظر إليها رجل احمر وجهها وحاولت أن تستر جسدها، هذا ليس من الحياء في شيء، وإنما الحياء أن تلبس حجابها وتستر جسدها.

والله ولي التوفيق.

الكذب آفة كل عصر

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

فالكذب أمره خطير وشره مستطير، انتشر في كل مكان وظهر في كل زمان - إلا ما رحم الرحمن - فهو من كبائر الذنوب وفواحش العيوب، أبغض الأخلاق إلى كل الأنبياء، صاحبه في قلق واضطراب وحيرة وارتياب، ممحق للبركات، مكثر للسيئات، مفتاح لكل الموبقات، مغلاق لكل الخيرات، موجب للعذاب، طارد من الجنات إلى جحيم المهلكات.

مما يبكي العين ويدمي القلب أن مرض الكذب متغلغل في بعض النفوس كالسرطان الخبيث ويقع للأسف الشديد من الآباء أمام الأبناء، ومن المعلمين أمام المتعلمين، فصار المجتمع مريضًا- إلا ما رحم الله - بهذا المرض العضال، فكان لابد من وقفة للعتاب.

تعريف الكذب: يقول الإمام النووي رحمه الله: اعلم أن مذهب أهل السنة أن الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه سواء تعمدت ذلك أم جهلته لكن لا يأثم في الجهل وإنما يأثم في العمد. [الأذكار: ص٤٧٤]

فالكذب: هو أن يخبر الإنسان بخلاف الواقع، فيقول: حصل كذا وهو كاذب، أو قال فلان كذا وما أشبه ذلك فهو الإخبار بخلاف الواقع. [رياض الصالحين ص٥٦٠]

التخويف من الكذب: حديث القول عن الكذب: الكذب من السلوكيات المذمومة التي حذر منها القرآن في ٢٨٣ آية من كتاب الله عز وجل. [المعجم المفهرس ص٥٩٨]

هناك آيات تحمل التهديد الأكيد والوعيد الشديد، ومن الخوف المزيد لمن كان الكذب سلوكه وخلقه ومسلكه من هذه الآيات:

١- **الحرمان من نعمة الهداية:** قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، في هذه الآية تهديد وتخوف من الكذب لأن الكذاب محروم وبعيد عن هداية الله تعالى بعيد عن الصراط المستقيم لأنه اختار الطريق المعوج المظلم طريق الكذب.

٢- **الطرد من رحمة الله تعالى:** قال تعالى: ﴿لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. الكذاب مطرود من رحمة الله تعالى، هذه الرحمة يتمناها كل صاحب عقل وقلب رشيد.

حديث السنة عن الكذاب: السنة النبوية المطهرة فيها أحاديث تشيب لها الولدان من شدة الخوف والتحذير من الكذب فعلى سبيل المثال:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا». [البخاري ٦٠٩٤، ومسلم ٢٦٠٧]

نلاحظ في هذا الحديث لهجة التحذير والتخويف في قوله: «إياكم»، لماذا ؟ لأن الكذب يؤدي إلى الفجور.

ما معنى الفجور ؟ قال الراغب: أصل الفجور الشق، فالفجور شق في ستر الديانة ويطلق على الميل إلى الفساد وعلى الانبعاث في المعاصي وهم اسم جامع للشر.

[فتح الباري ١٠/٥٢٤]

والفجور: هو الميل عن الحق والاحتيال في رده، ومعنى قوله ﷺ: «إياكم والكذب» يعني: ابتعدوا عنه واجتنبوه، وهذا يعم الكذب في كل شيء ولا يصح قول من قال: إن الكذب إذا لم يتضمن ضررًا على الغير فلا بأس به فإن هذا قول باطل، لأن النصوص ليس فيها هذا القول والنصوص تحرم الكذب مطلقًا يعني إذا كذب الرجل في حديثه فإنه لا يزال فيه الأمر حتى يصل إلى الفجور والعياذ بالله هو الخروج عن الطاعة والتمرد والعصيان. [شرح رياض الصالحين ١٩١١٤]

٢- **الكذب مفتاح النفاق:** عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خلة منهم كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر». [البخاري ٣٤، ومسلم ٥٨]

معنى خلة: خصلة أو صفة.

قال الإمام النووي رحمه الله: الذي قاله المحققون

والأكثرون وهو الصحيح المختار: أن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم، فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال قوله ﷺ: «كان منافقًا خالصًا». معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال. [شرح مسلم ٢/٢٣٦]

قال الحافظ ابن حجر: المراد بإطلاق النفاق الإنذار والتحذير عن ارتكاب هذه الخصال.

[فتح الباري ١/١١٣]

٣- الكذب خيانة كبيرة: عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «كبرت خيانة أن تُحدث أخاك حديثًا هو لك مصدق وأنت له كاذب».

[قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (٣/١٤٧): رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد]

قيل في منثور الحكم: الكذب لص لأن اللص يسرق مالك والكذب يسرق عقلك، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الكذاب كالسراب.

[أدب الدنيا والدين ص٢٦٤]

آفات الكذب: للكذب آفات وأضرار متوالية في الليل والنهار لا تنتهي إلى أن تقوده إلى النار، من هذه العقوبات والآفات:

أولاً: في الدنيا:

١- انعدام الراحة والأمن: عن أبي الحوراء السعدي قال: قلت للحسن بن علي: ما حفظت من رسول الله ﷺ ؟ قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة». [صححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٥١٨]

الريب: القلق والاضطراب.

[جامع العلوم والحكم ص١٦٩]

معنى ذلك: أن الكذب شك واضطراب قلق وإزعاج وانعدام طمأنينة النفس عدم هدوء البال وانشراح الصدر.

الكذب: جماع كل شر وأصل كل ذم لسوء عواقبه وخبث نتائجه لأنه ينتج عنه النميمة والنميمة تنتج البغضاء والبغضاء تؤول إلى العداوة وليس مع العداوة أمن ولا راحة.

[أدب الدنيا والدين ص٢٦٧]

٢- الكذب يمرض القلب: الكذب يؤدي إلى مرض القلب والقلب المريض لا يشعر بالاطمئنان والسكينة ونجد ذلك بوضوح في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨ - ١٠].

فالكاذب مريض القلب؛ لأن الكذب نقيض الصدق والصدق يهدي إلى البر والكذب يهدي إلى الفجور والإنسان الفاجر يحيا في الآلام النفسية بما تصوره له نفسه الأمارة بالسوء على أنه سعادة. [الكذب آفة العصر ص١٣]

٣- دنيا الكذاب جحيم: قال الإمام ابن القيم: لا تحسب أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٤] مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط بل في دورهم الثلاثة كذلك، أعني دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار، فهؤلاء في نعيم وهؤلاء في جحيم، وهل النعيم إلا نعيم القلب، وهل العذاب إلا عذاب القلب ؟!

وأي عذاب أشد من الخوف والهم والحزن وضيق الصدر وإعراضه عن الله والدار الآخرة وتعلقه بغير الله وانقطاعه عن الله بكل وادٍ منه شعبة وكل شيء تعلق به وأحبه من دون الله فإن يسومه سوء العذاب فكل من أحب شيئًا غير الله عُذب به ثلاث مرات. [الجواب الكافي ص١٠٦]، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه].

٥- زوال البركة والنماء: عن حكيم بن حزام رضي الله عنه عن النبي قال: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذاب وكتما مُحقت بركة بيعهما».

المعنى: إن كتما وكذبا: كتم البائع وأخفى عيوب السلعة فكذب وحلف بالأيمان المغلظة بأن سلعته سليمة وذكر ثمنًا مرتفعًا جدًا لا تستحقه السلعة وكذب المشتري بأن أعطى البائع ثمن أقل ما تستحقه هذه السلعة مستغلاً صدق البائع نتيجة الكذب: ترتب على الكذب في البيع والشراء زيادة في الثمن أو زيادة في المبيع فإنه سحت والعياذ بالله لأنه مبني على الكذب والكذب باطل وما بني على باطل فهو باطل.

[شرح رياض الصالحين ٤/١٩٢]

بسبب شؤم التدليس والخداع والكذب: يزيل الله عز وجل بركة هذا البيع وبركة المكسب فترى الكذاب يزداد ربحه ولكن لا بركة فيه فيضيعه فيما لا فائدة فيه في المخدرات مثلاً ولا يبارك الله في حياته ولا أهله ولا أولاده.

وقانا الله وإياكم، والحمد لله رب العالمين.

الكذب آفة كل عصر

إعداد
صلاح عبد الخالق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تكلمنا في العدد الماضي عن آفة الكذب وأوردنا عقوبات الكذاب في الدنيا، وفي هذا العدد نبين عقوبات الكذاب في القبر.

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم من رؤيا فيقص عليه من شاء الله أن يقص وإنه قال لنا ذات غداة: إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما قالا لي: انطلق وإني انطلقت معهما فأتينا على رجل مستلق لقفاه وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه. وفي رواية: فيدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى: قال قُلت: سبحان الله، من هذا ؟ فقالا:... والذي رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيُصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة. [أخرجه البخاري]

معنى الحديث

يشرشر: يقطع. كلوب: حديدة عقفاء تكون في طرف رحل الرجل يعلق فيها الزاد. [المعجم الوسيط ص٨٢٦]

قال ابن حجر: استحق الكذاب هذا التعذيب لما ينشأ عن تلك الكذبة من المفاسد وهو فيها مختار غير مُكره ولا ملجأ، قال ابن هبيرة: لما كان الكاذب يساعده أنفه وعينه ولسانه على الكذب بترويج باطله وقعت المشاركة بينهم في العقوبة. [فتح الباري ١٢/١٤٦٥]

من فوائد هذا الحديث: أن بعض العصاة يعذبون في البرزخ من تعمد الكذب.

تحذير: تحذير إلى مروجي الإشاعات الذين ينقلون الأخبار الكاذبة فإنهم سيعذبون في قبورهم إلى يوم القيامة كل بحسب مفاسد الكذب الذي نشره.

من عقوبات الكذاب في الآخرة

١- يعقد بين شعرتين:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من تحلم بحلم لم يره، كُلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُب في أذنيه الآنك يوم القيامة، ومن صور صورة عُذب وكلف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ». [البخاري ٧٠٢٤]

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: قوله ﷺ يعني من كذب في الرؤيا قال رأيت في المنام كذا وكذا وهو كاذب فإنه يوم القيامة مُكلف أن يعقد بين

شعيرتين، والمعلوم أن الإنسان لو حاول مهما حاول أن يعقد بين شعيرتين فإنه لا يستطيع ولكنه لا يزال يُعذب ويُقال لا بد أن تعقد بينهما وهذا وعيد يدل على أن التحلم بحلم لم يره الإنسان من كبائر الذنوب وهذا يقع من بعض السفهاء يتحدث ويقول: رأيتُ البارحة كذا وكذا لأجل أن يضحك الناس، وهذا حرام عليه. [شرح رياض الصالحين ١٩٧/٤]

٢- عذاب أليم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم». قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال أبو ذر رضي الله عنه: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله ؟ قال: «المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب». [مسلم ١٠٦]

وفي رواية لمسلم: وملك كذاب.

معنى لا يكلمهم الله: أي لا يكلمهم تكليم أهل الخيرات بإظهار الرضى بل بكلام أهل السخط والغضب ولهم عذاب أليم أي عذاب مؤلم.

٣- الكذب يؤدي إلى النار:

في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٤ - ١٦].

يقول العلامة السعدي رحمه الله: الفجار: هم الذين قصروا في حقوق الله تعالى وحقوق عباده لفي جحيم، أي في عذاب أليم في دار الدنيا ودار البرزخ وفي القرار جهنم. [تفسير السعدي ص٩١٤]

أين مكان الكذاب في النار ؟

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له ويل له».

[صحيح الترمذي ٢٣١٥، صحيح الجامع ٧١٣٦]

نلاحظ في هذا الحديث تحذير شديد لمن كان هذا خلقه، وهذه عادة سيئة منتشرة بين الناس، ونقول: إننا نمزح ولمن يريد أن يمزح كاذبًا يسمع إلى هذا التهديد والوعيد الشديد وشدة التأكيد بقوله ﷺ: «ويل» ثلاث مرات. الحديث.

ماذا نعرف عن ويل: قال عطاء بن يسار: الويل وادٍ في جهنم، لو سيرت فيه الجبال لماعت، وقيل الويل: الهلاك.

وعن أبي عياض: ويلٌ: صديد في أصل جهنم.

[تفسير ابن كثير ١١٧/١]

العلاج

الكذب من الأمراض المدمرة، علينا أن نتخلص منه بكل الوسائل المتاحة حتى نعيش في أمن وأمان في الدنيا ويوم لقاء الرحمن.

ومن الوسائل المعينة على التخلص من هذه الآفة:

١- الاستعانة بالله تعالى:

قال تعالى ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز». فاستعن بالله وتوكل عليه وجاهد نفسك في التخلص من آفة الكذب.

٢- مصاحبة الصادقين:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

يقول العلامة السعدي رحمه الله: كونوا مع الصادقين في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم الذين أقوالهم صدق وأعمالهم وأحوالهم لا تكون إلا صدقًا خلية من الكسل والفتور سالمة من المقاصد السيئة مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة.

[تفسير السعدي ص٣٥٥]

وفي الصحيحين - واللفظ لمسلم (٢٦٠٧)- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا».

البر: اسم جامع للخيرات كلها ويطلق على العمل الخالص الدائم.

[فتح الباري ٥٣٤/١٠]

معنى ذلك أن الصدق يفتح لك كل أبواب الخير الموصلة إلى الإخلاص الدائم في الأعمال الصالحة والإكثار منها.

يقول الشاعر:

اختر قرينك واصطفيه تفاخرًا
إن القرين إلى المقارن ينسب
ودع الكذوب فلا يكن لك صاحبًا
إن الكذوب يشين من يصحب

٣- الصدق في المزاح:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب ولو كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه». [صحيح ابي داود ٢٤٠/٥، صحيح الجامع ١٤٦٤]

ومعنى زعيم: أي: كفيل وضامن.

في مجتمعنا نسمع كثيرًا من الناس يتكلم بكلمات شبه مضحكة وهي في حقيقتها كاذبة بدعوى أننا نمزح ونفرح أنفسنا، وهم بذلك يقعون في شيء خطير، وذلك بحصد كثير من السيئات والافتراء على الأبرياء، لماذا نذهب بعيدًا عن قدوتنا أجمعين إلى يوم الدين كما حكم رب العالمين في قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾.

لقد كان النبي ﷺ يمزح: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا ؟ قال: «إني لا أقول إلا حقًا». [صحيح الترمذي ١٩٩٠]

ومعنى تداعبنا: أي تمازحنا.

أخي المسلم: يا من تريد أن تمزح وتضحك؛ عليك بالصدق وأبشر ببيت في وسط الجنة إذا تركت الكذب في المزاح.

٤- هجر الكاذب والكذابين:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اطلع على أحد من أهل بيته كذب كذبة لم يزل معرضًا عنه حتى يُحدث توبة. [صحيح الجامع ٤٦٧٥]

وهذا نوع من الهجر التربوي حتى لا يوافق المربي على الكذب ويصبح هذا الطفل والابن كذابًا وحتى لا يظن أن الأب موافق على الكذب، وخير دليل على ذلك هجر الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك.[صحيح]

٥- القدوة العملية:

عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال: دعتني أمي يومًا ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: ما أردت أن تعطيه ؟ قالت: أردت أن أعطيه تمرًا. فقال لها رسول الله ﷺ: أما إنك لو لم تعطيه شيئًا كتبت عليك كذبة.

في هذا الحديث يضع لنا ﷺ بيانًا عمليًا للتخلص من آفة الكذب وذلك بالصدق مع الأولاد بالكلام وفي الوعود؛ لأن بعض الآباء - إلا من رحم الله - ينهي ابنه عن الكذب ويكذب أمام ابنه ويأمر بالكذب، وهنا الطامة الكبرى وانعدام الثقة في الأب واتخاذه قدوة غير صالحة.

فاحذر أخي المسلم من الكذب أمام الأولاد، ولا تظن أن الصغار يمكن أن تخدعهم على الدوام.

ما يباح من الكذب

قال الإمام النووي رحمه الله: اعلم أن الكذب وإن كان أصله محرمًا فيجوز في بعض الأحوال، إن الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه وإن لم يكن تحصيله إلا بالكذب جاز الكذب، ثم إن كان تحصيل الكذب ذلك المقصود مباحًا كان الكذب مباحًا وإن كان واجبًا كان الكذب واجبًا، فإذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله أو أخذ ماله وأخفى ماله وسئل إنسان عنه وجب الكذب بإخفائه وكذا لو كان عنده وديعة وأراد ظالم أخذها وجب الكذب وإخفاؤها، والأحوط في ذلك كله أن يُوَرِّي، ومعنى التورية أن يقصد بعبارته مقصودًا صحيحًا ليس هو كاذبًا بالنسبة إليه، وإن كان كاذبًا في ظاهر اللفظ وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب ولو ترك التورية وأطلق عبارة الكذب فليس بحرام في هذا الحال، واستدل العلماء: لجواز الكذب في هذا الحال بحديث أم كلثوم رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا». متفق عليه.

وزاد مسلم في رواية: قالت أم كلثوم ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: تعني الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها.

[رياض الصالحين]

والحمد لله رب العالمين

رمضان شهر العتق من النيران

إعداد / صلاح عبد الخالق

الحمد لله الذي كتب علينا الصيام وجعله ركنًا من أركان الإسلام، وجعل له شهرًا من صامه وقامه إيمانا واحتسابًا غفرت ذنوبة العظام، والصلاة والسلام على خير من صلى وصام، وعلى آله وصحابته الكرام، وبعد:

فإن شهر رمضان هو:

شهر العتق من النيران

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة».

[صحيح الترمذي (٦٨٢)، وصحيح ابن ماجه (١٦٤٢)]

افتتح النبي ﷺ بهذا الحديث موسم السباق إلى الطاعات وبشر بإزالة المعوقات التي تؤدي إلى المعاصي والزلات، فما علينا إلا أن نجيب داعي الله ونقبل على فعل الخيرات ونبتعد عن مواطن المهلكات لنحيا حياة طيبة في الدنيا وفي الآخرة.

هذا العتق من النار في رمضان مستمر في الليل والنهار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة - يعني في رمضان- وإن لكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة».

[صحيح الترغيب (٩٩٢)، وصحيح الجامع (٢١٦٩)]

أقبل رمضان بكل بركاته وخيراته التي لا تُعد ولا تُحصى، من هذه البركات والخيرات: أنه شهر العتق من النيران، كلنا والله يريد أن تعتق رقابنا من النار فلا تضيع الفرصة العظيمة التي لا تقدر بمال، هيا بنا نبحث عن أسباب ذلك:

١- استعن بالله عزوجل:

قال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق: ٣]

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل».

يقول الإمام النووي: المراد بالقوة هنا: عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة؛ فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا على العدو في الجهاد، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشقات في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والزكاة وسائر العبادات وأنشط طلبًا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك. [شرح مسلم] اهـ.

قوله ﷺ: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز». احرص على ما ينفعك في معاشك ومعادك، والمراد: الحرص على فعل الأسباب التي تنفع العبد في دنياه وأخراه مما

شرعه الله تعالى من الأسباب الواجبة والمستحبة المباحة ويكون العبد في حالة فعله السبب مستعينًا بالله وحده دون كل ما سواه ليتم له سببه وينفعه، لأن الله تعالى هو الذي خلق السبب والمسبب.

[شرح كتاب فتح المجيد ص٣٩٥]

٢- بع نفسك لله تعالى:

يقول الله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ [التوبة: ١١١].

يقول العلامة السعدي: إذا أردت أن تعرف مقدار هذه الصفقة فانظر إلى المشتري من هو، هو الله جل جلاله، وإلى العوض وهو أكبر الأعواض وأجلها؛ جنات النعيم، وإلى الثمن المبذول فيها وهو النفس والمال الذي هو أحب الأشياء للإنسان.

[تفسير السعدي ص٣٥٣]

وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها».

يقول الإمام النووي رحمه الله: فمعناه كل إنسان يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعها فيوبقها أي يهلكها، والله أعلم. [شرح مسلم]

٣- اقتحم العقبات بشدة:

قال تعالى: ﴿فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك رقبة﴾ [البلد: ١١- ١٣].

معنى اقتحم: دخل فيه بشدة وبعنف.

والمعنى: يا من تريد دخول الجنة بسلام ادخل بعنف وبشدة في العقبة بل هذه العقبات التي منها مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان.

- عقبة الذنوب التي تضره وتؤذيه وتثقله في الدنيا وفي القبر ويوم القيامة.
- عقبة هول العرض على الله تعالى والوقوف بين يديه.
- عقبة الصراط وهوله الذي يضرب على متن جهنم كحد السيف.
- عقبة هول النار.

[تفسير القرطبي (٨/٧٣٤٦)]

وما أدراك ما العقبة: للتفخيم والتعظيم من شدة العقبة التي لا تحتاج إلى الكسل والتراخي بل تحتاج إلى الهمة العالية دائما.

فك رقبة: أي عتقها أو المعاونة عليها أو عمل الخير ليعتق رقبته من النار.

ومن الأعمال الصالحة التي تعتق من النار:

الإخلاص في الصيام:

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ [البقرة: ١٨٥].

معنى لعلكم تتقون أي كتب عليكم الصيام لتجعلوا لأنفسكم به وقاية من عذاب الله عز وجل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله رسول الله ﷺ: «الصيام جُنة وحصن حصين من النار». [صحيح الجامع (٣٨٨٠)]

يلاحظ في هذا الحديث التأكيد على أن الصيام وقاية من كل ما يُتقى ويخاف منه وكذلك حصن قوي منيع من النار.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يومًا في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض».

[صحيح الجامع ٦٣٣٣، وصحيح الترغيب ٩٨١]

هذا الفضل يأخذه من صام صومًا حقيقيًا مخلصًا لله صادقًا مع الله ومع نفسه في كل الطاعات.

أخي: إذا كانت أعظم أمنية لآخر أهل النار خروجًا منها وهو من يخرج منها حبوًا - صرف وجهه عن النار قِبل الجنة لا يسأل مولاه غير ذلك، فكيف إذا باعد الله وجهه وجعل بينه وبين النار خندقًا مسافة خمسمائة عام هذا بصيام يوم واحد نفلاً فما ظنك بصيام شهر رمضان وهي الفريضة؟

[نداء الريان ١/٤٠]

حفظ اللسان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصيام جُنة ما لم يخرقها، قيل: وبِمَ يخرقها؟ قال: «بكذب أو غيبة». قال الحافظ ابن حجر: حُكي عن عائشة وبه قال الأوزاعي إن الغيبة تفطر الصائم، وتوجب عليه قضاء اليوم.

[فتح الباري ٤/١٢٥]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه». [البخاري ١٩٠٣]

قال ابن العربي: مقتضى هذا الحديث أن من فعل ما ذكر لا يثاب على صيامه ومعناه أن ثواب الصيام لا يقوم في الموازنة بإثم الزور وما ذكر معه. [فتح الباري]

عليك وأنت صائم أن تتجنب الزور قولاً وعملاً من كذب وغيبة ونميمة وتدافع عن إخوانك المسلمين برد غيبتهم حتى يعتقك الله تعالى من النار.

عن أسماء بنت يزيد عن النبي ﷺ قال: «من ذبَّ عن عرض أخيه بالغيبة كان حقًا على الله أن يعتقه من النار». [صحيح الجامع ٦٢٤٠]. وذلك من حقيقة الصيام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الصيام من الأكل والشرب، وإنما الصيام من اللغو والرفث». [صحيح الجامع ١٠٧٥]

الدعاء:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى عند كل فطر عتقاء من النار وذلك كل ليلة». [صحيح الترغيب ٩٩١]

فرمضان شهر الدعاء كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

يقول ابن كثير: ذكر الله تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام إرشادًا إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة بل وكذا كل فطر. [تفسير ابن كثير ٢١٩/١]

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة - يعني في رمضان - وإن لكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة».

اغتنم أوقاتَ الإجابة ووعدَ النبي ﷺ بأن لك على الأقل في كل يوم وليلة دعوة مستجابة، وادع بالأدعية الجامعة التي منها:

ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا أفطر قال: «ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله». [النسائي ٢٠٦٦ ، وصححه الألباني]

تذوق معنى هذه الكلمات الجامعة وثبت الأجر إن شاء الله، ثبت أجر الصيام والقيام وكل الطاعات وذلك بمغفرة الذنوب وستر العيوب والعتق من النار ودخول الجنة مع الأطهار.

الاقتداء بأهل العتق من النار:

أولهم رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله. [تفسير ابن كثير ٤٩٠/٣]

ومنهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أبا بكر دخل على رسول الله ﷺ فقال: «أنت عتيق الله من النار» فيومئذ سمي عتيقًا». [الترمذي ٣٦٧٩، وصححه الألباني]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أصبح منكم اليوم صائمًا؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن شيع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟ قال أبو بكر: أنا. قال: من عاد منكم اليوم مريضًا؟ قال أبو بكر أنا. فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة». [مسلم]

يقول الشيخ صفوت نور الدين رحمه الله: من تمنى شيئًا عمل له، فكانت همة أبي بكر رضي الله عنه عالية في طلب ما عند الله، يبذل ما يملك لينال الرفعة، لذا حاز أعلى درجة عند الله تعالى في هذه الأمة بعد نبيها ﷺ. [مجلة التوحيد ١٤٢٠هـ رمضان ص١٦]

لاحظ في الحديث السابق أن الصديق رضي الله عنه سباق إلى كل خير وصاحب همة عالية ويطلب معالي الأمور ونحن في شهر الجود والكرم، فجد بكل الأعمال الصالحة وتاجر مع الله عز وجل حتى تحشر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

والله ولي التوفيق.

الجمعة للعبادة لا للترفيه

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله الذي جعل للخلق سيدًا وهو النبي محمد ﷺ، وجعل للأيام سيدًا وهو يوم الجمعة، وبعد:

من فضائل يوم الجمعة

١- سورة تحمل اسم الجمعة:

من فضائل يوم الجمعة أنه اليوم الوحيد من أيام الأسبوع الذي أنزل الله تعالى في حقه قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة سورة كاملة تحمل اسم الجمعة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

٢- الله يقسم بها:

قال تعالى في سورة البروج: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ٢، ٣]. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود يوم القيامة، واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة».

[صحيح الترمذي ٣٣٣٩، صحيح الجامع ٨٢٠١]

والمعنى أنه يوم شاهد علينا جميعًا بما أودعناه من أعمال صالحة وطالحة.

قال الإمام البغوي: الأكثرون من العلماء على أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة.

[تفسير البغوي: ١٠١١]

لماذا يقسم الله ببعض مخلوقاته؟

يقول الشيخ سيد سابق رحمه الله: وإنما كان ذلك لحكم كثيرة في المقسم به والمقسم عليه ومن هذه الحكم: لفت النظر إلى مواضع العبرة من هذه الأشياء بالقسم بها والحث على تاملها حتى يصلوا إلى وجه الصواب فيها. [فقه السنة ٢/٦٨]

وقعت فيه أمور عظيمة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه أُدخل الجنة، وفيه أُخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة». [مسلم ٨٥٤]

قال القاضي عياض: الظاهر أن هذه الفضائل المعدودة ليست كلها لذكر فضيلته لأن إخراج آدم وقيام الساعة لا تُعد فضيلة وإنما هو بيان لما وقع فيه من الأمور العظام وما سيقع ليتاهب العبد فيه بالأعمال الصالحة لنيل رحمة ودفع نقمة.

[شرح مسلم ٦/٤٦٠]

قال أبو بكر بن العربي: الجميع من الفضائل؛ وخروج آدم من الجنة هو سبب وجود الذرية وهذا النسل العظيم ووجود الرسل والأنبياء والصالحين والأولياء، ولم يخرج طردًا بل لقضاء أوطار ثم يعود إليها، وأما قيام الساعة فسبب لتعجيل جزاء الأنبياء والصديقين والأولياء وغيرهم وإظهار كرامتهم وشرفهم، وفي هذا الحديث فضيلة يوم الجمعة ومزيته على سائر الأيام. [عارضة الاحوذي في شرح الترمذي]

٣- الخطوة إلى الجمعة بطاعة سنة:

وعد النبي ﷺ الصادق بان من ذهب إلى صلاة الجمعة بشروط معينة فله بكل خطوة أجر طاعة سنة بصيامها وقيامها، وذلك على الله يسير، فعن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها».

[صحيح الترمذي ٤٩٦، وصحيح الجامع ٦٤٠٥]

٤- الجمعة يوم إجابة الدعاء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسال الله شيئًا إلا أعطاه إياه».

[البخاري ٩٣٥، ومسلم ٨٥٢]

٥- السعي إلى صلاة الجمعة يؤدي إلى البعد عن النار:

عن عباية بن رفاعة بن رافع قال: أدركني أبو عَبْس وأنا أذهب إلى الجمعة، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اغبرت قدماه في سبيل الله، حرمه الله على النار». [البخاري ٩٠٧]

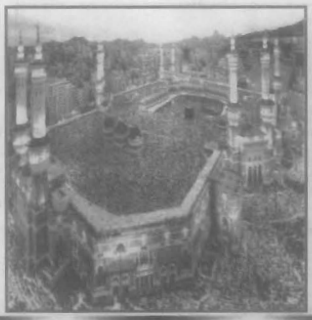

قوله ﷺ: «في سبيل الله» أي: طريق يطلب فيها رضا اللَّه. وقوله ﷺ: «حرمه الله على النار»: أي لا تمسه النار، وفي ذلك إشارة إلى عظيم قدر التحرك في سبيل اللَّه فإن كان مجرد مس الغبار للقدم يحرم عليها النار فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفد وسعه.

٦- نور الجمعة يوم القيامة:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تحشر الأيام على هيئتها وتحشر الجمعة زهراء منيرة، أهلها يحفون بها كالعروس تُهدى إلى خدرها، تضئ لها يمشون في ضوئها ألوانهم كالثلج بياضًا وريحهم كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، ينظر إليهم الثقلان لا يطرقون تعجبًا حتى يدخلوا الجنة لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون». [صحيح الترغيب ٧٠٠]

بيضاء: ناصعة البياض، يحفون بها: أي يحيطون بها خدرها: بيتها.

٧- صيامه والذهاب إلى صلاة الجمعة طريق إلى الجنة:

عن أبي سعيد رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «خمس من عملهن في يوم كتبه اللَّه من أهل الجنة، من صام يوم الجمعة، وراح إلى الجمعة، وعاد مريضًا وشهد جنازة وأعتق رقبة».

[صحيح: صححه الألباني في صحيح الجامع ٣٢٥٢]

٨- الجمعة عيد للمسلمين:

إن يومًا بهذه الصفات العظيمة والحسنات العميمة لهو يوم عيد لنا، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا يوم جعله اللَّه عيدًا للمسلمين فمن جاء إلى الجمعة فليغتسل وإن كان طيبٌ فليمس منه، وعليكم بالسواك». [صحيح الجامع ٢٢٥٨]

٩- الجمعة سيد الأيام:

استحق يوم الجمعة بهذه المواصفات السابقة وغيرها أن يكون خير الأيام وسيدها على الإطلاق، فعن أبي لبابة بن عبد المنذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند اللَّه وهو أعظم عند اللَّه من يوم الأضحى ويوم الفطر...». الحديث.

[حسنه الألباني في صحيح الجامع ٢٢٧٩، وصحيح الترغيب ٦٩٥]

برنامج عمل في يوم الجمعة

على العاقل منا أن يفكر كيف يغتنم هذه الفرص التي لا تعوض ويكون تاجرًا ناجحًا ليحصل على هذه الحسنات العظام ويعمر في الطاعة آلاف السنين.

يقول ابن القيم رحمه اللَّه تعالى: يوم الجمعة إنه اليوم الذي يُستحب أن يتفرغ فيه للعبادة، وله على سائر الأيام مزية بأنواع من العبادات واجبة ومستحبة، فالله سبحانه جعل لأهل كل ملة يومًا يتفرغون فيه للعبادة ويشتغلون فيه عن أشغال الدنيا فيوم الجمعة يوم عبادة وهو في الأيام كشهر رمضان في الشهور وساعة الإجابة فيه كليلة القدر، ولهذا من صح له يوم جمعته وسلم سلمت له سائر جمعته ومن صح له رمضان وسلم سلمت له سائر سَنَتِهِ ومن صحت له حجته وسلمت صح له سائر عمره، فيوم الجمعة ميزان الأسبوع، ورمضان ميزان السنة والحج ميزان العمر، وبالله التوفيق. [زاد المعاد ٣٧١/١]

١- صلاة الفجر في جماعة يوم الجمعة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصلوات عند اللَّه صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة». [صححه الألباني في صحيح الجامع ١١١٩]

ويُستحب أن تتوضأ في بيتك قبل الخروج إلى الصلاة:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج من بيته متطهرًا إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم...». الحديث.

حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٦٢٢٨]

٢- حكم الاغتسال يوم الجمعة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم». [البخاري ٨٧٩، ومسلم ٨٤٦]

قال ابن القيم رحمه اللَّه: الأمر بالاغتسال في يوم الجمعة هو أمر مؤكد جدًا. [زاد المعاد ٣٥١/١]

يقول العلامة ابن عثيمين رحمه اللَّه تعالى: في حديث أبي سعيد علق النبي ﷺ الوجوب بوصف يقتضي التكليف وهو قوله على كل محتلم والمحتلم هو البالغ والبلوغ مناط التكليف ولهذا نقول: إن القول الراجح من أقوال أهل العلم في هذه المسألة أن غسل الجمعة واجب على كل إنسان شتاءً أو صيفًا سواء كان به وسخ أم لا لأن كلام النبي ﷺ واضح وهذا الذي يظهر من فهم الصحابة. [شرح رياض الصالحين ٤٢٥/٣]

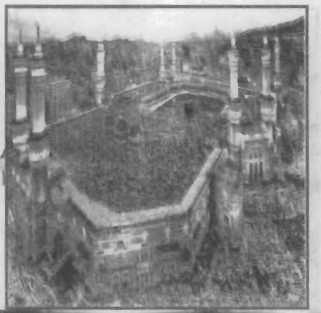

عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان الناس ينتابون يوم الجمعة من منازلهم والعوالي فيأتون في الغبار فيصيبهم الغبار والعرق، فيخرج منهم العرق فأتي رسولَ الله ﷺ إنسانٌ منهم وهو عندي فقال النبي ﷺ: «لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا». [البخاري ٩٠٢]

معنى ينتابون: يأتون مناوبة - العوالي: هي القرى حول المدينة.

كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من أهل القرى يعملون فيعرقون ويأتون في وسط الغبار دون أن يغتسلوا فكانت تخرج منهم رائحة كريهة في البدن والثوب فلذلك أوجب ﷺ الغسل.

قال الحافظ ابن حجر: من فوائد هذا الحديث أيضًا رفق العالم بالمتعلم، استحباب التنظف لمجالسة أهل الخير، واجتناب أذى المسلم بكل طريق، وحرص الصحابة على امتثال الأمر ولو شق عليهم.

[فتح الباري ٢/٤٤٩]

هل ترك الغسل يبطل صلاة الجمعة؟

يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله: لا تبطل لأن هذا ليس غسل حدث. [شرح رياض الصالحين]

متى يبدأ الغسل؟ من الأفضل الاغتسال ليوم الجمعة قبل الذهاب إلى المسجد مباشرة. والله أعلم.

٣- التبكير في الذهاب إلى الجمعة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر». [البخاري ٨٨١]

معنى غسل الجنابة: يشبه غسل الجنابة، فكأنما قرب بدنة: أي تصدق متقربًا إلى الله تعالى كأنما ذبح ناقة ووزع لحمها على الفقراء.

كبشًا أقرن: كبشًا في أكمل صورة وخص بالكبش الأقرن لأنه أقوى وأكبر حجمًا. [شرح رياض الصالحين ٣/٤٢٦]

متى تبدأ الساعة الأولى؟

يقول ابن القيم: اختلف الفقهاء في هذه الساعة على قولين:

أحدها: أنها من أول النهار، وهذا هو المعروف في مذهب الشافعي وأحمد وغيرهما.

والثاني: أنها أجزاء من الساعة السادسة بعد الزوال وهذا هو المعروف في مذهب مالك واختاره بعض الشافعية واحتجوا عليه بحجتين إحداهما: أن الرواح لا يكون إلا بعد الزوال وهو مقابل الغدو الذي لا يكون إلا قبل الزوال، قال تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢].

الحجة الثانية: أن السلف كانوا أحرص شيء على الخير ولم يكونوا يغدون إلى الجمعة من وقت طلوع الشمس، وأنكر مالك التبكير إليها في أول النهار وقال: لم ندرك عليه أهل المدينة.

قلت: ومدار إنكار التبكير أول النهار على ثلاثة أمور: أحدها على لفظة الرواح وأنها لا تكون إلا بعد الزوال.

والثاني: لفظة التهجير، وهي إنما تكون بالهاجرة وقت شدة الحر.

والثالث: عمل أهل المدينة فإنهم لم يكونوا يأتون من أول النهار. [زاد المعاد ١/٣٧٢]

نستخلص من ذلك: أن الساعة التي قبل أذان الجمعة تقسم إلى خمسة أجزاء أو ستة ويكون الأجر فيها بحسب الذهاب. والله أعلم.

في المسجد:

وصلت بحمد الله إلى المسجد ماذا أفعل؟

أ- الإخلاص ونية الاعتكاف:

وينبغي أن يكون المسلم في سعيه إلى الجمعة خاشعًا متواضعًا قاصدًا المبادرة إلى إجابة نداء الله عز وجل إلى الجمعة إياه والمسارعة إلى مغفرته ورضوانه.

ب- الحرص على الصف الأول:

يستحب أن تطلب الجلوس في الصف الأول، فإن فضله كبير، فقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «من غسل يوم الجمعة واغتسل ودنا وابتكر واقترب واستمع كان له بكل خطوة يخطوها قيام سنة وصيامها». [مسند أحمد ٢/٢٠٩]

معنى غسل: غسل رأسه، وبقوله: اغتسل: غسل سائر بدنه، وقيل: كرر للتأكيد والمبالغة.

ج- صلاة النافلة: عن سلمان الفارسي قال: قال النبي ﷺ: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى». [البخاري ٨٨٣]

قوله ﷺ: «ثم يصلي ما كتب له». لم يحدد النبي ﷺ فدل هذا على أن الجمعة ليس لها راتبة قبلها بل يصلي الإنسان ما شاء قليلاً أو كثيرًا إلى أن يحضر الإمام. [شرح رياض الصالحين ٣/٤٢٦]

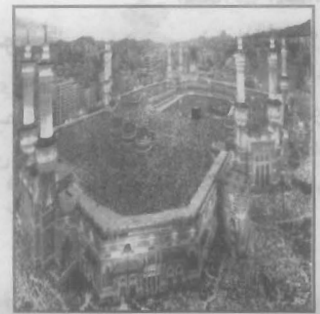

قال الحافظ ابن حجر: تبين بمجموع ما ذكرنا أن تكفير الذنوب من الجمعة إلى الجمعة مشروط بوجود ما تقدم من غسل وتنظيف وتطييب أو دهن ولبس أحسن الثياب والمشي بسكينة وترك التخطي والتفرقة بين الاثنين وترك الأذى والتنفل والإنصات وترك اللغو. [فتح الباري ٢/٤٣٣]

والحمد لله رب العالمين.

بيوت في الجنة

إعداد/ صلاح عبد الخالق محمد

الحمد لله على نعمة الإسلام، والصلاة والسلام على سيد الأنام، وبعدُ:

فيا من تبحث عن مسكن مريح، قد تجده في الدنيا وتدفع فيه الكثير من الأموال حتى تشاهده في أبهى وأحسن صورة، وتفرح لذلك، ولكن يا أسفا يأتي هازم اللذات ومفرق الجماعات «الموت» فتخرج من هذا البيت! انظر كم من السنين ستعيش في هذا البيت؟ ولكن بيت في الجنة لا يكلفك الكثير من الأموال أو الأعمال وهو بيت تعيش فيه خالدًا مخلدًا في نعيم مقيم، دائم الأفراح بعيدًا عن الأتراح، يكفيك أن الملك عز وجل هو الذي أشرف على بنائه، هيا بنا نحاول أن نتسابق لبعض بيوت الجنة وصفات ساكنيها.

١- حُسن الخلق:

عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه». [حسنه الألباني في صحيح الجامع: ١٤٦٤].

معنى «زعيم»: كفيل. والمعنى أن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم تعهد وتكفل ببيت في الدرجات الأولى من الجنة لمن ترك المراء: الجدال، ولو كان صاحب حق؛ لأن ذلك يؤدي إلى النزاع والشقاق، وتكفل ببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب في كل أموره حتى في المزاح، وببيت في أعلى الجنة لصاحب الخلق العالي الحسن.

٣- فاعل كل الخير:

عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلبًا، ولا عن الشر مهربًا يموت حيث شاء أن يموت». [صحيح الجامع: ١٤٦٥].

النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الرحمة المهداة بشهادة رب العالمين: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ [التوبة:١٢٨] يضمن ويتكفل ببيوت تكون لمن آمن به، وأسلم لله تعالى، وجاهد في سبيل الله بقدر طاقته، جاهد بنفسه وماله مخلصًا له تعالى.

عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المجاهد من جاهد نفسه في الله». [صحيح الجامع: ٦٦٧٩]. وتكفل صلى الله عليه وسلم ببيت في أعلى غرف الجنة لمن هاجر إلى الله بفعل الطاعات وترك السيئات.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه». [صحيح البخاري: ١٠]. فمن فعل ذلك لم يترك بابًا من أبواب الخير إلا اقتحمه صادقًا في ذلك.

٣- بناء المساجد:

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من بنى مسجدًا لله تعالى يبتغي به وجه الله، بنى الله له بيتًا في الجنة». أما لفظ الإمام البخاري: «بنى الله له مثله في الجنة». [متفق عليه].

وعن جابر رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة أو أصغر، بنى الله له بيتًا في الجنة». [صحيح الجامع: ٦١٢٨].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «كمفحص قطاة أو أصغر» حمل أكثر العلماء ذلك على المبالغة؛ لأن المكان الذي تفحص القطاة عنه لتضع فيه بيضها وترقد عليه لا يكفي مقدار الصلاة فيه. [فتح الباري: ١/٦٤٩].

فيا من امتن الله عليك بنعمة المال، لا تبخل وشيّد لله مسجدًا لتنال الأجر والمثوبة في الدنيا والآخرة، وذلك أن الله يجعل من يصلي في هذا المسجد في ميزان حسناتك، بل ويكرمك بأن يبني لك بيتًا في الجنة، ألا تريد بيتًا في الجنة؟! يا هذا، بيوت الدنيا من طين وحجر وتراب وحديد وخشب وجريد وقصب،

إن لم يُكنس تكثر فيه القمامة، وإن لم يُسرج، فما أشد ظلامه وإن لم يتعاهد بالبناء، فما أسرع انهدامه وإن تعاهدته، فمآله إلى الخراب وعن قريبٍ يصير كالتراب يتفرق عنه السكان، وتنتقل عنه القطان يعفو أثره ويندرس خبره ويُمحى رسمه ويُنسى اسمه، فأين أنت من دار باقية قصورها عالية أنهارها جارية، قطوفها دانية، أفراحها متوالية، لبنة من فضة ولبنة من ذهب، لا تعب فيها كلا ولا نصب وملاطها المسك الأذفر، فهل سمعت عن ملاط من مسك وحصباؤها اللؤلؤ والجواهر، فمن بنى لله بيتًا، بنى الله له بيتًا في الجنة، والجزاء من جنس العمل. [الجزاء من جنس العمل: ١/٤٨٤].

٤- سد فرجة في الصف:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سد فرجة رفعه الله بها درجة، وبُنِيَ له بيت في الجنة». [السلسلة الصحيحة: ١٨٩٢].

فخطوة لسد فرجة في الصف أعظم خطوة؛ لأنها أعظم أجرًا ترفع بها درجة في الجنة، ويُبنى لك بيتٌ في الجنة.

٥- صلاة الرواتب:

عن عمرو بن أوس قال: حدثني عنبسة بن أبي سفيان في مرضه الذي مات فيه بحديث يُتسار إليه، قال: سمعت أم حبيبة تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة، بُني له بهنّ بيت في الجنة». قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال عنبسة: فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة، وقال عمرو بن أوس: ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبسة. [مسلم ٧٢٨].

فهؤلاء الصحابة عندما سمعوا هذا الحديث لم يتركوا العمل به، فماذا تقول أنت لنفسك عندما قرأت هذا الحديث! قال الإمام النووي: قوله: يتسار إليه: أي يُسر به من السرور؛ لما فيه من البشارة مع سهولتها.

متى تُصلى الرواتب؟

عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة، بُني له بيت في الجنة؛ أربعًا قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر». [صحيح ابن ماجه: ١١٤١].

٦- صلاة الضحى:

عن أبي موسى رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى الضحى أربعًا وقبل الأولى أربعًا، بُني له بيت في الجنة». [صحيح الجامع: ٦٣٤٠].

ينبغي للإنسان أن يختتم عمره بصالح الأعمال؛ لأنه سوف يندم إذا جاءه الموت إن أمضى ساعة من دهره لا يتقرب فيها إلى الله عز وجل، كل ساعة تمر عليك وأنت لا تتقرب إلى الله، فهي خسارة؛ لأنها راحت عليك لم تنتفع بها فانتهز الفرصة

من فوائد صلاة الضحى:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه خُلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن ذكر الله وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجرًا عن طريق الناس أو شوكة أو عظمًا عن طريق الناس، وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار». [مسلم ١٠٠٧].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى». [مسلم ٧٢٠].

وعن بريدة رضي الله عنه: «فإن لم تقدر فركعتا الضحى تجزئ عنك». [صحيح الترغيب: ٦٦٤].

قال الإمام النووي: وفيه دليل عظم فضل الضحى وكبير موقعها وأنها تصح ركعتين. [شرح مسلم: ٢/٢٧٣].

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: قوله: (ويجزئ من ذلك) يعني بدلًا عن ذلك يجزئ ركعتان يركعهما في الضحى هذه نعمة كبيرة بدلًا من أن تطالب عن كل عضو من أعضائك بصدقة يكفيك أن تصلي ركعتين من الضحى، وهذا يدل على أنه ينبغي للإنسان أن يواظب عليهما أي ركعتي الضحى حضرًا وسفرًا وأقلها ركعتان، ولا حد لأكثرها، صل ما شئت، فينبغي للإنسان أن يختتم عمره بصالح الأعمال؛ لأنه سوف يندم إذا جاءه الموت إن أمضى ساعة من دهره لا يتقرب فيها إلى الله عز وجل، كل ساعة تمر عليك وأنت لا تتقرب إلى الله، فهي خسارة؛ لأنها راحت عليك لم تنتفع بها فانتهز الفرصة. [شرح رياض الصالحين: ٣/٢٥٦].

٧- زيارة المريض:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من عاد مريضًا أو زار أخًا في الله، ناداه منادٍ أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلًا». [صحيح الجامع: ٦٣٨٧].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن المسلم إن عاد أخاه لم يزل في خُرفة الجنة حتى يرجع». [صحيح مسلم]. ومعنى عاد أي زار.

والحمد لله رب العالمين

من علامات الصوم المقبول

إعداد/ صلاح عبدالخالق

الحمد لله الذي كتب علينا الصيام، وجعله من أركان الإسلام، والصلاة والسلام على خير من عبَد ربه فصلّى وصام وقام، وبعدُ:

خائف عليك

خائف عليك من أن تأتي يوم القيامة وأنت فَرِح بما قدمت من أعمال صالحة من صيام وقيام، و... فتجد أن الله عز وجل لم يقبل عبادتك أي لا ثواب لك، وأصبح رصيدك من هذه العبادات صفرًا، وعاقبك الله تعالى

على ذلك، قال الله تعالى: « وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا » [الفرقان:٢٣].

وفي تفسير القاسمي: « وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ» أي: مما كانوا يراعون به؛ ابتغاءَ السمعة والشهرة، ويرونه من مكارمهم، «فجعلناه هباءً منثورًا» أي: مثل الغبار المنثور في الجوّ، في حقارته وعدم نفعه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له مِّن قيامه إلا السهر». [صحيح الجامع: ٣٤٨٨].

«رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع». قال بعض العلماء: قيل: هو الذي يفطر على حرام، أو من يفطر على لحوم الناس بالغيبة، أو من لا يحفظ جوارحه عن الآثام، «ورب قائم» أي: متهجد في الأسحار «ليس له من قيامه إلا السهر» كالصلاة في الدار المغصوبة، وأداها بغير جماعة لغير عذر، فإنها تُسقط القضاء ولا يترتب عليها الثواب. ذكره الطيبي «فيض القدير».

فقبل أن تصل إلى هذه الدرجة من الضياع والإفلاس والحزن والحسرة؛ لا بد أيها العاقل وأنت في الدنيا، أن تبحث عن شروط العمل الصالح المقبول، وتقوم بها؛ حتى تفرح وتسعد بالصيام وكل الأعمال الصالحة في الدنيا والآخرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «للصائم فرحتان: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه». [البخاري: ١٩٠٤، ومسلم: ٢٧٠٠].

والفرح يوم القيامة عندما تجد أن الله عز وجل جسّد لك ثواب الصيام في صورة محام قوي الحجة يُدافع عنك أمام الملك سبحانه وتعالىً، فيقبل الله تعالى شفاعة الصيام وتدخل الجنة من باب الريان بإذن الرحمن بسلام، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان». [صحيح الترغيب: ٩٨٤].

من علامات الصوم المقبول

هيا بنا نبحث عن علامات قبول الصيام، والتي منها:

١- إخلاص العبادة لله وحده:

قال الله تعالى في سورة البينة: «وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ» [البينة:٥]، وقال تعالى في سورة الأنعام: «قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ» [الأنعام:١٦٢].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا، وابتُغِيَ به وجهُه». [صحيح الجامع: ١٨٥٦].

معنى ذلك أن كل الأعمال الصالحة مقبولة عند الله عز وجل بشرط أن تكون خالصةً له وحده لا شريك له، وما دون ذلك فهي مردودة وغير مقبولة، وقد تُدخِل صاحبها في دائرة الرياء (الشرك الخفي)، نسأل الله العافية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله: إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به، يدع الطعام من أجلي، ويدع الشراب من أجلي، ويدع لذته من أجلي، ويدع زوجته من أجلي». [البخاري: ١٨٩٤، ومسلم: ١١٥١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه». [البخاري: ١٩٠١، ومسلم: ٧٥٩].

أيها المسلم:

اجعل شعارك دائمًا قبل كل عبادة: «إيمانًا واحتسابًا» أي: يا رب هذا العمل خالصًا لوجهك الكريم، وطلبًا لثوابك فتقبَّلْه مني.

٢- تقوى الله تعالى في السر والعلن:

قال الله تعالى: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» [المائدة:٢٧].

إن الله عز وجل شَرع لنا الصوم لنتدرب ونتربى على مراقبة الله تعالى وخشيته في كل الأقوال والأفعال، والإكثار من الطاعات والبعد عن المعاصي والزلات، أي: تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك، فهذه هي خلاصة التقوى.

ولعظم التقوى ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم في أكثر من مائتين وخمسين آية. [المعجم المفهرس لألفاظ القرآن].

قال الله تعالى في أول آية من آيات الصيام من سورة «البقرة»: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [البقرة:١٨٣]، وأكد الله تعالى على التقوى في آخر آيات الصيام من سورة البقرة: «كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» [البقرة:١٨٧].

٣- صوم الأعضاء والجوارح عن ارتكاب المعاصي:

إذا لم يتدرب المسلم وهو صائم على ضبط جوارحه من ارتكاب المعاصي فما فائدة الصيام؟!

فمثلاً: العين لا تنظر إلى الحرام، وكذلك البطن، والفرْج، كل الأعضاء تجتهد حتى لا تقع في الحرام وتبتعد عن كل معصية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» [البخاري ١٩٠٣]. المراد بقول «الزور»: الكذب، والعمل به: أي بمقتضاه.

قال ابن المنيّر في الحاشية: بل هو كناية عن عدم القبول كما يقول المغضب لمن رد عليه شيئًا طلبه منه فلم يقم به: لا حاجة لي بكذا، فالمراد رد الصوم المتلبس بالزور وقبول السالم منه، وقريب من هذا قوله تعالى: «لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ» [الحج:٣٧]، فإن معناه: لن يصيب رضاه الذي ينشأ عنه القبول.

وقال ابن العربي: مقتضى هذا الحديث أن من فعل ما ذُكر لا يُثاب على صيامه، ومعناه: أن ثواب الصيام لا يقوم في الموازنة بإثم الزور وما ذكر معه.

كل الأعمال الصالحة مقبولة عند الله عز وجل بشرط أن تكون خالصةً له وحده لا شريك له، وما دون ذلك فهي مردودة وغير مقبولة، وقد تُدخِل صاحبها في دائرة الرياء (الشرك الخفي)، نسأل الله العافية

وقال البيضاوي: ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش، بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة، فإذا لم يحصل ذلك لا ينظر الله إليه نظر القبول، فقوله: «ليس لله حاجة» مجاز عن عدم القبول، فنفى السبب وأراد المسبب، والله أعلم. [فتح الباري: ٤/١٤٠].

وإياك أن تظن أن الصيام هو تجويع البطن عن الطعام والفرج عن الشهوة، هذا خطأ، والصواب أن الصوم المقبول: ضبط الجوارح مع الله تعالى ومع الناس.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابّك أحد أو جهل عليك، فقل: إني صائم، إني صائم». [صحيح الجامع: ١٠٨٢].

٤- الدعاء بقبول العبادات:

شهر رمضان شهر إجابة الدعاء كما بشّرنا الله عز وجل، حيث قال: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» [البقرة:١٨٥].

وبشرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن شهر رمضان شهر إجابة الدعاء، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة - يعني في رمضان - وإن لكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة». [صحيح الترغيب والترهيب: ١٠٠٢].

ماذا تريد بعد ذلك؟! فعليك أن تكثر من الدعاء وأنت صائم، بل في جميع أوقاتك، وخاصة بالأدعية الجامعة والتي منها هذا الدعاء الجامع من سورة الأحقاف: «حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ» [الأحقاف:١٥].

وقد سأل قتادة أنسًا رضي الله عنه: أي دعوة كان يدعو بها النبي صلى الله عليه وسلم أكثر؟ قال: كان أكثر دعوة يدعو بها يقول: اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار. [البخاري: ٤٥٢٢، ومسلم: ٢٦٩٠].

فهذه الدعوة جمعت ما تحبه وتتمناه في الدنيا والآخرة.

وكان السلف الصالح يدعون الله سبحانه وتعالى ستة أشهر أن يبلّغهم شهر رمضان، ثم يدعون الله ستة أشهر أن يتقبله منهم. [لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي: ص٢٩٨].

معنى ذلك أن السلف الصالح لا ينسون رمضان طوال العالم، وذلك بدعاء الملك العلام بقبول الصيام وكل الأعمال الصالحة.

٥- المداومة على العمل الصالح بعد رمضان:

شهر رمضان شهر الصيام والقيام وقراءة القرآن وصلة الأرحام، هذه الأعمال الصالحة أصبحت حجةً عليك، فمن علامة قبولها المداومة على هذه الطاعات بعد شهر رمضان، يقول ابن رجب رحمه الله تعالى: من عمل طاعة من الطاعات وفرغ منها، فعلامة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى، وعلامة ردها أن يُعقب تلك الطاعة بمعصية، ما أحسن الحسنة بعد السيئة تمحوها، وأقبح السيئة بعد الحسنة تمحقها وتعفوها.

إن معاودة الصيام بعد رمضان علامةٌ على قبول صوم رمضان، فإن الله إذا تقبل عمل عبدٍ وفّقه لعملٍ صالح بعده.

سلوا الله الثبات على الطاعات إلى الممات، وتعوذوا به من تقلب القلوب، وما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة. [لطائف المعارف: ص٣١٦].

نسأل الله القبول والثبات إلى الممات.

لا بد أيها العاقل وأنت في الدنيا، أن تبحث عن شروط العمل الصالح المقبول، وتقوم بها؛ حتى تفرح وتسعد بالصيام وكل الأعمال الصالحة في الدنيا والآخرة

الحمد لله الذي كتب علينا الصيام، وجعله من أركان الإسلام، وجعل له شهرًا ألا وهو رمضان، من صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا غُفرت له الذنوب العظام، والصلاة والسلام على أفضل من صلى وصام.

جعل الله تعالى شهر رمضان لتطهير القلوب من الخطايا والعيوب وغفران الذنوب، فهيا نتوب ونغسل الذنوب، ونخلع العيوب، ونخرج من رمضان بإذن علام الغيوب كيوم ولدتنا أمهاتنا، فقد يكون رمضان الأخير في حياتك، فاغسل ذنوبك قبل مماتك.

الذنوب سواد في القلوب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ» «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ» [المطففين: ١٤] [سنن الترمذي (٣٣٣٤) وابن ماجه(٤٢٤٤) وحسنه الألباني].

وقوله: (نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ) أَيْ جُعِلَتْ فِي قَلْبِه أَثَرٌ قَلِيلٌ كَالنُّقْطَة شَبَهُ الوسخ فِي المرآة والسَّيف ونَحوهما، وَيَخْتَلِف عَلَى حَسَب المَعْصِيَة وَقَدْرهَا، وَالحَمْل عَلَى الحَقِيقَة أَوْلَى مَنْ جَعَلَه مِنْ بَاب التَّمْثِيل وَالتَّشْبِيه؛ حَيْثُ قِيلَ شَبَّهَ القَلْبَ بِثَوْبٍ فِي غَايَة النَّقَاء وَالْبَيَاض وَالمَعْصِيَة بِشَيْءٍ فِي غَايَة السَّوَاد أَصَابَ ذَلِكَ الأَبْيَض فَبِالضَّرُورَةِ أَنَّهُ يُذْهِبُ ذَلِكَ الجَمَال مِنْهُ، وَكَذَلِكَ الإِنْسَانُ إِذَا أَصَابَ المَعْصِيَةَ صَارَ كَأَنَّهُ حَصَلَ ذَلِكَ السَّوَادُ فِي ذَلِكَ الْبَيَاضِ .[تحفة الأحوذي (١٧٨/٩)].

فالسواد على القلب يمنع الإيمان ونور الإيمان من الخروج من القلب إلى الصدر، فتجد الصدر مظلماً، كما أن المشكاة تكون مظلمة إذا كانت الزجاجة سوداء، فتجد اليد تتحرك في ظلمة، والرجل تخطو في الظلمات، والعين تنظر في الظلمات، وهكذا يتحرك كبهيمة عمياء إذا كان القلب قد اسود من المعاصي. [سلسلة التفسير لمصطفى العدوى(٣٦/٥)].

احذر هذه الدعوات المستجابات:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: (آمِينَ آمِينَ آمِينَ) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ حِينَ صَعِدْتَ الْمِنْبَرَ قُلْتَ:آمِينَ آمِينَ آمِينَ قَالَ: (إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ قُلْ: آمِينَ فَقُلْتُ: آمِينَ وَمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَبَرَّهُمَا فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ قُلْ: آمِينَ فَقُلْتُ: آمِينَ وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فأبعده الله قل: آمين فقلت: آمين) [أخرجه الطبراني (٢٠٢٢) وابن حبان في صحيحه (٩٠٧) وقال الألباني: حسن صحيح].

- فهل تعجب أخي المؤمن أن جبريل ملك الوحي يدعو في هذا الحديث، ثم يؤمّن الصادق صلى الله عليه وسلم على دعائه؟! وأي عجب ورمضان فرصة نادرة ثمينة فيها الرحمة والمغفرة، ودواعيها متيسرة، والأعوان عليها كثيرون، وعوامل الفساد محدودة، ومردة الشياطين مصفّدون، ولله عتقاء في كل ليلة، وأبواب الجنة مفتحة، وأبواب النيران مغلقة، فمن لم تنله الرحمة مع كل ذلك فمتى تناله إذن ؟!، ولا يهلك على الله إلا هالك، ومن لم يكن أهلاً للمغفرة في هذا الموسم ففي أي وقت يتأهل لها؟! ومن خاض البحر اللجاج ولم يَطهُرْ فماذا يطهره؟!

فضل رمضان:

١- تفتح أبواب الجنات:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

شهر المغفرة

رمضان شهر الصيام

إعداد/ صلاح عبد الخالق

عَلَيْه وَسَلَّمَ: « إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَة مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَت الشَيَاطِيْنُ، وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَت أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّة، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَاد: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّه عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَة » [سنن الترمذي (٦٨٢) وابن ماجه(١٦٤٢) وصححه الألباني].

٢- تحصيل التقوى:

قال تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » [البقرة: ١٨٣].

قال الإمام الرازي : « بَيَّنَ سُبْحَانَهُ بِهَذَا الْكَلَام أَنَّ الصَّوْمَ يُورِثُ التَّقْوَى لِمَا فِيه مِنَ انْكِسَارِ الشَّهْوَةِ وَانْقِمَاعِ الْهَوَى فَإِنَّهُ يَرْدَعُ عَنِ الْأَشَرِ وَالْبَطَرِ وَالْفَوَاحِشِ، وَيُهَوِّنُ لَذَّاتِ الدُّنْيَا وَرِئَاسَتَهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّ الصَّوْمَ يَكْسِرُ شَهْوَةَ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ، فَمَنْ أَكْثَرَ الصَّوْمَ هَانَ عَلَيْه أَمْرُ هَذَيْنِ وَخَفَّتْ عَلَيْه مُؤْنَتُهُمَا، فَكَانَ ذَلِكَ رَادِعًا لَهُ عَنِ ارْتِكَابِ الْمَحَارِمِ وَالْفَوَاحِشِ، وَمُهَوِّنًا عَلَيْه أَمْرَ الرِّيَاسَةِ فِي الدُّنْيَا وَذَلِكَ جَامِعٌ لِأَسْبَابِ التَّقْوَى فَيَكُونُ مَعْنَى الْآيَةِ فَرَضْتُ عَلَيْكُمُ الصِّيَامَ لِتَكُونُوا بِه مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ أَثْنَيْتُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِي. [مفاتيح الغيب (٥/٢٤٠)].

٣- مغفرة الذنوب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَ الْكَبَائِرَ» [صحيح مسلم (٢٣٣)].

الكبائر كثيرة، وأحسن ما قيل فيها: الكبيرة هي الذنب الذي جعل الله عليه حداً في الدنيا، أو توعد عليه بلعنة أو غضب أو نار أو حبوط عمل، فما كان كذلك فهو من الكبائر، وغيره من الصغائر، وعلى الإنسان أن يجتنب الكبائر ويجتنب الصغائر، ولكن الصغائر إذا لم يصرّ عليها فإن الأعمال الصالحة تكفرها، قال الله عز وجل:«إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ » [النساء:٣١]، فالأعمال الصالحة تكفر الصغائر، ولكن إذا أصرّ على الصغائر فإنها تلحق بالكبائر؛ لأن الكبائر إذا حصل معها خوف من الله ووجل، وخوف من العقوبات التي تترتب عليها تتضاءل حتى تضمحل وتصبح لا وجود لها، والصغيرة إذا أصر عليها، واستهان بها، ولم يهتم بها الإنسان، ولم يخف من مغبتها؛ تعظم وتضخم حتى تلتحق بالكبائر. [شرح سنن أبي داود للشيخ عبد المحسن العباد (١٥/٣٥٠)].

اختلف العلماء – رحمهم الله – في قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا اجتنبت الكبائر): هل معنى الحديث أن الصغائر تُكفر إذا اجتُنبت الكبائر؟ أو أنها لا تُكفر إلا بشرطين:- وهما الصلوات الخمس، واجتناب الكبائر، أو أن معنى الحديث أنها كفارة لما بينهن إلا الكبائر فلا تكفرها، وعلى هذا فيكون لتكفير السيئات الصغائر شرط واحد هو إقامة هذه الصلوات الخمس أو الجمعة إلى الجمعة أو رمضان إلى رمضان، وهذا هو المتبادر والله أعلم . [شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١/١٤٩].

ومن أسباب المغفرة:

أولاً: المُسارعة إلى التوبة:

قال تعالى:«وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ

وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ» [آل عمران: ١٣٣- ١٣٦].

قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي، فلها ثلاثة شروط: أحدها: أن يقلع عن المعصية، والندم، والعزم ألا يعود إليها أبدا، فإن فُقد أحد الثلاثة لم تصح توبته. وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي؛ فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها: فإن كانت مالاً أو نحوه ردّه إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكّنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها إن كان قد علم بهذه الغيبة، فلا بد أن تذهب إليه وتستحله، وإن لم يكن علم فلا تذهب إليه واستغفر له، وتحدث بمحاسنه في المجالس التي كنت تغتابه فيها؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات، وهذا القول أصح وهو أن الغيبة إذا كان صاحبها لا يعلم بأنك اغتبته فإنه يكفي أن تذكره بمحاسنه في المجالس التي اغتبته فيها، وأن تستغفر له تقول: اللهم اغفر له كما جاء في الحديث: (كفارة من اغتبته أن تستغفر له) [شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١٦/١)].

ثانيا: صوم رمضان:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [صحيح البخاري (١٩٠١)، صحيح مسلم (٧٥٩)] ، وزاد الإمام أحمد في مسنده (٢٢٧١٣) «وما تأخر» قال الحافظ ابن حجر:- قَدْ وَقَعَتْ هَذِهِ الزِّيَادَةُ أَيْضًا فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ وَجْهَيْنِ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ . [فتح الباري(١٣٨/٤)].

- قوله (احتسابا) لأن الصوم إنما يكون لأجل التقرب إلى الله، والنية شرط في وقوعه قربة، أي: مؤمنا محتسبا، والمراد بالإيمان الاعتقاد بحق فرضية صومه، وبالاحتساب طلب الثواب من الله تعالى، وقال الخطابي: (احتسابا) أي عزيمة، وهو أن يصومه على معنى الرغبة في ثوابه طيبة نفسه بذلك غير مستثقل لصيامه، ولا مستطيل لأيامه. [فتح الباري(١٣٨/٤)].

إن المغفرة تستدعى سبق شيء يغفر والمتأخر من الذنوب لم يأت، فكيف يغفر، والجواب عن ذلك يأتي في قوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله عز وجل أنه قال في أهل بدر: (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) ومحصل الجواب أنه قيل: إنه كناية عن حفظهم من الكبائر، فلا تقع منهم كبيرة بعد ذلك، وقيل: إن معناه أن ذنوبهم تقع مغفورة، وبهذا أجاب جماعة منهم الماوردي في الكلام على حديث صيام عرفة، وأنه يكفر سنتين سنة ماضية وسنة آتية. [فتح الباري(٢٩٦/٤)].

ثالثا: قيام رمضان (صلاة التراويح):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [صحيح البخاري (٢٠٠٩) ومسلم (٧٥٩)].

رابعا: قيام ليلة القدر:

- قال تعالى : «إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ» [القدر: ١- ٥].

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [صحيح البخاري (١٩٠١) ومسلم (٧٥٩)].

- عن عَائشة أنَّها قالَتْ: (يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ القَدْرِ مَا أَدْعُو؟ قَالَ: تَقُولِينَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي) [الترمذي(٣٥١٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع(٤٤٢٣)].

والعفوّ من أسماء الله تعالى وهو الذي يتجاوز عن سيئات عباده، الماحي لآثارها عنهم، وهو يحب العفو، فيحب أن يعفو عن عباده، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض؛ فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحب إليه من عقوبته. [لطائف المعارف (٢٢٨)].

خامسا: الدعاء:

ولكي يستجاب الدعاء في رمضان فله شروط، منها التضرع والخوف، والرجاء والخشوع، وأكل الحلال، وللدعاء أوقات يكون الغالب فيها الإجابة كليلة القدر ويوم عرفة وساعة الجمعة وجوف الليل.

رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعدُ:

فإن الله سبحانه وتعالى امتنَّ على هذه الأمة بشهر رمضان، فأنزل فيه القرآن، وفرض فيه الصيام، وجعل فيه ليلة هي خير من ألف شهر، فهو زمن التنافس في الطاعات، والمسارعة في الخيرات؛ تأسيًا برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام ومن تبعهم بإحسان، لكن في الأزمنة المتأخرة وقعت أمور خالف الناس فيها ما كان عليه السلف الصالح في تعظيم رمضان، والتأدب بآداب الصيام والقيام، ومعظم هذه الأخطاء تعود إما إلى الغفلة عن فضل هذا الشهر ومكانته، أو الغفلة عن حكمة الصيام، أو الجهل ببعض أحكام الصيام والقيام ، أو غير ذلك ، فلندخل إلى المقصود بعون الله سبحانه وتعالى دون الإطالة في المقدمات، وبالله التوفيق:

١ - أخطاء تتعلق بالاستعداد للشهر الكريم واستقباله :

نتيجة لغفلة الناس عن مكانة الشهر ومنزلته العظيمة تتفاوت أخطاؤهم في استقباله على الصور الآتية :

أ- منهم من يجعله شهرًا للمسلسلات والأفلام والمسابقات، فيستعد له قبل حلوله بوقت مبكر في الاستوديوهات وغيرها.

ب- ومنهم من يجعله شهر الرَّواج لأنواع معينة من التجارة والصناعات كتجارة الياميش وصناعة الكنافة والقطايف وغيرها، ومنهم من يستعد بكميات كثيرة من المواد التموينية، وكأن الشهر شهر طعام وشراب وليس شهر صيام، ولسنا نحرِّم ما أحل الله معاذ الله، لكن المقصود النهي عن تلك المبالغات التي تتسم بالإسراف.

جـ- وكذلك من الأسر من يستعد بتحضير المواد التموينية في أول الشهر، وينشغل في آخر الشهر بالتسوق في شراء الملابس وغيرهما؛ استعدادًا للعيد، والمقصود أن الإسراف في الانشغال بهذه الأمور ممقوت.

د- وبعيدًا عن هؤلاء وهؤلاء من الناس من يستقبل الشهر بعدم اهتمام وعدم اكتراث؛ كأنه شهر من الشهور وقد أخطأ من لا يفرق

بين رمضان وغير رمضان، وأن يجعل يوم صومه كيوم فطره.

هـ- وهناك من يعرف للشهر فضله ومكانته ولكنه لا يستقبله بتوبة نصوح، وعزم أكيد على الاستقامة من أيامه ولياليه، بل يستقبله بفتور وعدم جدية وقلة نشاط.

٢- أخطاء متعلقة بالغفلة عن الحكمة من الشهر:

من الناس من يغفل عن الحكمة الشرعية في فرض الصيام والغاية السامية والتي أشار إليها ربنا عز وجل في قوله تعالى:« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ » [البقرة: ١٨٣]، وقد أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد ربه : «والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل إني صائم». متفق عليه، وكذلك قال صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». رواه البخاري. فالصوم ليس مجرد الإمساك عن الطعام والشراب والجماع من الفجر حتى غروب الشمس كلا، فهناك حكم وأسرار، لكننا نرى كثيرًا من الناس تصوم بطنه ولا تصوم جوارحه، فيصوم عن الحلال المباح ، ويتناول ما حرم الله من المنكرات كقول الزور وفعل الزور فلا يتورع بلسانه عما حرم الله ولا يغض بصره كذلك عن المحرمات ويقع بيده ورجله في المحرمات بل ربما يفطر عند إفطاره على كسب محرم، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

- فتراه يصوم ولا يصلي فنقول له: أليس الذي فرض الصيام هو الذي فرض الصلاة؟ بل نقول له ما هو أبلغ من ذلك فالصيام قد يسقط عن الذي لا يستطيع بمرض حتى يبرئ، وقد يفطر المسافر حتى يعود، أما الصلاة لا تسقط عن أحد لا المسافر ولا المريض، بل يصلي بحسب استطاعته بل حتى من كان في مواجهة العدو في القتال، لا تسقط عنه الصلاة في جماعة ، وذلك لأهمية الصلاة ومكانتها العظيمة فهي رأس الأمر وعموده ، ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم : «بين الرجل وبين الشرك الكفر ، وترك الصلاة».

- أو تراه يصوم ويصلي في رمضان فقط، فلهذا نقول له: أليس الذي فرض الصلاة والصيام في رمضان هو الذي فرض الصلاة في كل يوم خمس مرات؟ وقال في كتابه الكريم: «حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ » [البقرة: ٢٣٨]، فلماذا هذا التناقض؟

٣- أخطاء متعلقة بالقيام :

أ- من الناس من يبحث عن الإمام الذي يصلي عشرين ركعة في أقل من عشرين دقيقة، وليس هذا حال النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة في رمضان ، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تتفطر قدماه من طول القيام ، فقالت له أمّنا عائشة رضي الله عنها: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا». متفق عليه.

وكان هذا في كل ليلة.. فعن حذيفة رضي الله عنه قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى، قلت: يصلي بها في ركعة، فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مسترسلا إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل . إلى آخر الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه.

والشاهد من الحديث الطويل الذي يصف صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في قيام الليل، وقد أوردنا جزءًا منه فقط خشية الإطالة، الشاهد هو طول القيام، فقد صلى -صلى الله عليه وسلم- في ركعة واحدة، قراءة مسترسلة أي خاشعة متأملة، فكلما وردت آية دعاء دعا، أو وردت آية ذكر الجنة سأل الله الجنة، أو ذكر النار استعاذ بالله منها، وهكذا، وكان الركوع مثل القيام، والسجود كذلك.

والمقصود أننا لا نطالب الناس بصلاة كصلاة النبي صلى الله عليه وسلم في قيام الليل لكن نقول : سددوا وقاربوا واتقوا الله ما استطعتم... الذي يصلي عشرين ركعة أو أكثر في أقل من نصف ساعة فقد خالف السنة وفاته خير كثير، وإني أسأل هؤلاء سواء كانوا أئمة أو مأمومين كيف يخشون وكيف يطمئنون في الركوع والسجود والقيام والقراءة والركعة بقيامها وركوعها وسجودها، والجلوس بين السجدتين والقيام من الركوع لا تستغرق دقيقة وخير له أن يصلي إحدى عشرة ركعة مع الطمأنينة والخشوع، والله أعلم.

ب- من الناس من يهتم بليلة السابع والعشرين دون ما سواها، يظن كثيرًا من الناس أن ليلة القدر هي ليلة السابع والعشرين من رمضان، علمًا بأنه لم يأت دليل قاطع عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم يقطع بتحديد الليلة، وأقصى ما ورد هو التماسها في العشر الأواخر أو الوتر من العشر الأواخر. قال صلى الله عليه وسلم: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان». [متفق عليه]. وقال : «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان». [رواه البخاري].

وفي جميع الأحوال فإن هدي النبي هو إحياء العشر الأواخر كما صحَّ عن أمنا عائشة رضي الله عنها قالت : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا ليله، وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر». [متفق عليه]، فالذي اجتهد في ليلة واحدة ظنًا منه أنها ليلة القدر، فقد حرم نفسه من خير كثير، والله أعلم، وخالف هدي النبي في إحياء العشر.

٤- أخطاء متعلقة بالإفطار والسحور:

أ- كثير من الناس يقع في هذا الخطأ، والصواب من هدي النبي صلى الله عليه وسلم هو تعجيل الفطر وتأخير السحور وإليك الدليل:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا يزال الناس بخير ما عجلوا» . [متفق عليه].

فتأمل رحمك الله ربط النبي صلى الله عليه وسلم بين استقامة أمته على سنته وبين تعجيلها الفطر؛ لأنها اتبعته صلى الله عليه وسلم فإنه كان يعجل الفطر ، فعن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلي (يعني المغرب) على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتميرات؛ فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء. [رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن، وحسنه الألباني في الإرواء (٩٢٢)].

وفي رواية أخرى عنه قال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قط صلى المغرب حتى يفطر ولو على شربة ماء . [رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما وصححه الألباني في الترغيب].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس؛ فقد أفطر الصائم». [متفق عليه].

فالأحاديث السابقة ترغبك في تعجيل الفطر.

ب- ومنهم من ينتظر المؤذن حتى ينتهي من الأذان ثم يبدأ في الإفطار ، ومنهم من ينتظر حتى يسمع المؤذن يقول : أشهد ألا إله إلا الله ، وكل ذلك ليس عليه دليل، والصواب أن يبدأ في الإفطار، من بداية الأذان، ولا ينشغل عن الدعاء عند الإفطار ولاعن متابعة المؤذن.

ج- ومن الناس من يبدأ الإفطار على السجائر، وينشغل عن الدعاء والذكر، ومنهم من يبدأ بالشيشة أو غير ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

د- أما تعجيل السحور:

من الناس من يتسحرون في وقت مبكر وينامون، وربما فاتتهم صلاة الفجر .

هـ- ومنهم من يترك السحور أصلاً ، وهذا قد فاتته بركة السحور فقد أخبر المعصوم بذلك فيما صح عنه : «تسحروا فإن في السحور بركة». [متفق عليه].

والأخطر من ذلك أنه وقع في مشابهة أهل الكتاب فإنهم لا يتسحرون ، قال صلى الله عليه وسلم : «فصل ما بين صيامنا وصيام أكلة أهل الكتاب أكلة السحر». [رواه مسلم].

٥- أخطاء متعلقة بتضييع الأوقات

من الناس من يسهر الليل دون فائدة بجلوسه أمام التلفاز أو مع الإنترنت ، أو في جلسات السحر ، أو الوقوف في الشوارع وعلى النواصي أو اللهو واللعب بجميع صوره وأشكاله، ثم ينام النهار، فلا فجرًا صلى ولا ظهرًا، ولا عصرًا، ويقوم متأخرًا قرب الإفطار ، وهذا تفريط ما بعده تفريط، وقلب لحقائق الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فكيف يذهب هذا لعمله إن كان من أصحاب العمل ، ولعله ينام في مكتبه ويعطل مصالح الناس ، وقد ساد الناس اعتقاد أن رمضان شهر كسل وخمول ، وما هو كذلك ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، بل تأملوا سيرة السابقين في رمضان وانتصاراتهم.

هذه بعض الأخطاء التي سمح المجال بها، وأنصح إخواني المسلمين بالحرص على تعلم أحكام الصيام وآدابه.

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال، والحمد لله رب العالمين.

نفحات رمضانية

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الصيام، والصلاة والسلام على أفضل من صلى وصام وقام، وبعد:

قال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ » [البقرة: ١٨٤].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ»[سنن النسائي (٢١٠٦) وصححه الألباني].

وماذا يحدث إذا جاء رمضان؟

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ». [سنن الترمذي (٦٨٢) سنن ابن ماجة(١٦٤٢) وصححه الألباني]، وزاد الإمام أحمد (حَتَّى يَنْقَضِيَ رَمَضَانُ) [المسند ح (١٨٧٩٥)].

٢- عَنْ عَطاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ عَرْفَجَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فِي رَمَضَانَ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ النَّارِ، وَيُصَفَّدُ فِيهِ كُلُّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ، وَيُنَادِي مُنَادٍ كُلَّ لَيْلَةٍ: يَا طَالِبَ الخَيْرِ هَلُمَّ، وَيَا طَالِبَ الشَّرِّ أَمْسِكْ » [سنن النسائى٢١٠٨ وصححه الألباني].

من خلال الأحاديث السابقة يتضح الآتي: أن الله عز وجل جهز وهيأ الأرض والسماء لاستقبال شهر رمضان تسهيلا وتحفيزًا وتحبيبًا وتشجيعًا على عبادة الصيام الشاقة على النفوس.

أولاً: الأرض تستقبل شهر رمضان:

١- حبس عدوك وتقييده بالحديد:

قال تعالى: (إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ) [فاطر: ٦]، أي: إن الشيطان لكم أيها الناس عدوٌ لدود، وعداوته قديمة لا تكاد تزول فعادوه كما عاداكم. «إِنَّما يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السعير» أي: إنما غرضه أن يقذف بأتباعه في نار جهنم المستعرة التي تشوي الوجوه والجلود، لا غرض له إلا هذا. [صفوة التفاسير(٢/٥٢٠)].

في شهر رمضان يلطف الله بأمة محمد فيغل فيه الشياطين ومردة الجن حتى لا يقدروا على ما كانوا

يقدرون عليه في غيره من تسويل الذنوب، ولهذا تقل المعاصي في شهر رمضان في الأمة. [لطائف المعارف، ص١٨١].

قال صلى الله عليه وسلم: (إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الجِنِّ) صُفدت الشياطين ومردة الجن: أي شُدَّت، وأُوثقت بالأغلال. (النهاية في غريب الأثر(٣/٥٣).

قال الله تعالى: «مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ» أي: الشياطين وهم المردة موثقون في الأغلال، مربوطون بالقيود والسلاسل. [(صفوة التفاسير(٣/٥٤)].

- تكبيلهم بالأصفاد مقرونة أيديهم إلى أرجلهم.

لماذا نشاهد المعاصي في رمضان؟

- قَالَ الْقُرْطُبِيُّ:- فَإِنْ قيل كَيْفَ نَرَى الشُّرُورَ وَالْمَعَاصِيَ وَاقِعَةً فِي رَمَضَانَ كَثِيرًا فَلَوْ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ؟

فَالْجَوَابُ:- أَنَّهَا إِنَّمَا تَقِلُّ عَنِ الصَّائِمِينَ الصَّوْمَ الَّذِي حُوفِظَ عَلَى شُرُوطِهِ وَرُوعِيَتْ آدَابُهُ.

- أَسْبَابٍ غَيْرِ الشَّيَاطِينِ كَالنُّفُوسِ الْخَبِيثَةِ وَالْعَادَاتِ الْقَبِيحَةِ وَالشَّيَاطِينِ الْإِنْسِيَّةِ.

- و فِي تَصْفِيدِ الشَّيَاطِينِ فِي رَمَضَانَ إِشَارَةٌ إِلَى رَفْعِ عُذْرِ الْمُكَلَّفِ كَأَنَّهُ يُقَالُ لَهُ: قَدْ كُفِّتِ الشَّيَاطِينُ عَنْكَ فَلَا تَعْتَلَّ بِهِمْ فِي تَرْكِ الطَّاعَةِ وَلَا فِعْلِ الْمَعْصِيَةِ. [فتح الباري(٤/١١٤)].

٢- جماعية الطاعة:

الحمد لله أننا نعيش في بلد إسلامي الغالبية العظمى صائمة، وذلك يشجع على الصيام.

ثانيًا: السماء تتزين وتفتح أبوابها في رمضان:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: « إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ...» [صحيح البخاري(١٨٩٩)].

معنى الحديث: أن أبواب السماء تفتح عند قدوم رمضان حقيقة لا مجازاً؛ احتفاءً بهذا الشهر الكريم. وترحيباً به في الملأ الأعلى، وتنويهاً بفضله وشرفه، وإعلاماً للملائكة بدخوله. [منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري(٣/٢٠٥)].

السماء تنادي عليك يا صائم أنت في موسم إجابة الدعاء، فما لك لا تكثر من الدعاء؟! فهو شهر تفتّح فيه أبواب السماء، ذكر الله عز وجل في كتابه في وسط آيات الصيام قوله عز وجل: « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» [البقرة:١٨٦] هَذِهِ الْآيَةُ الْبَاعِثَةُ عَلَى الدُّعَاءِ، مُتَخَلِّلَةٌ بَيْنَ أَحْكَامِ الصِّيَامِ، إِرْشَادٌ إِلَى الِاجْتِهَادِ فِي الدُّعَاءِ عِنْدَ إِكْمَالِ الْعِدَّةِ، بَلْ وَعِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ. [تفسير ابن كثير(١/٥٠٩)].

عن أنس. رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: ثلاثُ دَعَواتٍ لَا تُرَدُّ: دَعْوَةُ الوَالِدِ لِوَلَدِه، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ، ودَعْوَةُ المُسافِرِ. [حسنه الألباني برقم ٣٠٣٢ في صحيح الجامع. وفي الصحيحة ١٧٩٧].

ثالثًا: فتحت أبواب الجنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ، قَالَ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ» [صحيح البخاري (١٨٩٨) صحيح مسلم (١٠٧٩)].

والمعنى في فتح أبواب الجنة ما فتح الله على العباد فيه من الأعمال المستوجب بها الجنة من الصلاة والصيام وتلاوة القرآن، وأن الطريق إلى الجنة في رمضان أسهل، والأعمال فيه أسرع إلى القبول. [شرح صحيح البخاري لابن بطال ٤/٢٠].

أبواب السماء تفتح عند قدوم رمضان حقيقة لا مجازاً؛ احتفاءً بهذا الشهر الكريم ، وترحيباً به في الملأ الأعلى، وتنويهاً بفضله وشرفه، وإعلاماً للملائكة بدخوله.

ويَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فَتْحُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ عِبَارَةً عَمَّا يَفْتَحُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الَّتِي لَا تَقَعُ فِي غَيْرِهِ عُمُومًا كَالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، وَفِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَالِانْكِفَافِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ، وَهَذِهِ أَسْبَابٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ.(شرح النووي ٧/١٨٧).

وعَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ» [صحيح البخاري (١٨٩٦) صحيح مسلم (١١٥٢)].

فمن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان؛ لأن هذا الباب خاص بهم، فالريان يعني الذي يروي؛ لأن الصائمين يعطشون ولاسيما في أيام الصيف الطويلة الحارة، فيجازون بتسمية هذا الباب بما يختص بهم باب الريان. [شرح رياض الصالحين لابن عثيمين(٥/٢٧٠)].

الصائم يُعطى في الجنة ما شاء الله من طعام وشراب ونساء، قال الله تعالى: «كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ» [الحاقة:٢٤]، ويروى عن الحسن أنه قال: تقول الحوراء لولي الله وهو متكئ معها على نهر العسل تعاطيه الكأس: إن الله نظر إليك في يوم صائف، بعيد ما بين الطرفين، وأنت في ظماها حرة من جهد العطش، فباهى بك الملائكة وقال: انظروا إلى عبدي ترك زوجته وشهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي رغبة فيما عندي، اشهدوا أني قد غفرت له فغفر لك يومئذ وزوجنيك. (لطائف المعارف١٥٨).

رابعًا: غُلقت أبواب النار:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ... وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ » [صحيح سنن الترمذي: ٦٨٢، وصحيح ابن ماجة ١٦٤٢].

كذلك أبواب النار تغلق بما قطع عنهم من المعاصي، وترك الأعمال المستوجب بها النار، ولقلة ما يؤاخذ الله العباد بأعمالهم السيئة، يستنفذ منها ببركة الشهر أقوامًا ويهب المسيء للمحسن، ويتجاوز عن السيئات، فهذا معنى الغلق. [شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢٠/٤].

خامسًا: يُنادى عليك كل ليلة من رمضان:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ... وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ » [صحيح سنن الترمذي: ٦٨٢، وصحيح ابن ماجة: ١٦٤٢]. وزاد الإمام أحمد في مسنده(١٨٧٩٥) (حَتَّى يَنْقَضِيَ رَمَضَانُ).

عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ عَرْفَجَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « فِي رَمَضَانَ،.....وَيُنَادِي مُنَادٍ كُلَّ لَيْلَةٍ: يَا طَالِبَ الْخَيْرِ هَلُمَّ، وَيَا طَالِبَ الشَّرِّ أَمْسِكْ » (سنن النسائي٢١٠٨).

فَلْتُغْتَنَمِ الْفُرْصَةُ، وَيُشِيرُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ « وَيُنَادِي مُنَادٍ » أَيْ بِلِسَانِ الْحَالِ أَوْ بِبَيَانِ الْمَقَالِ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ الْمُتَعَالِ « يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ » أَيْ: طَالِبَ الْعَمَلِ وَالثَّوَابِ « أَقْبِلْ » أَيْ: إِلَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، بِزِيَادَةِ الِاجْتِهَادِ فِي عِبَادَتِهِ، وَهُوَ أَمْرٌ مِنَ الْإِقْبَالِ أَيْ تَعَالَ؛ فَإِنَّ هَذَا أَوَانُكَ، فَإِنَّكَ تُعْطَى الثَّوَابَ الْجَزِيلَ بِالْعَمَلِ الْقَلِيلِ، أَوْ مَعْنَاهُ يَا طَالِبَ الْخَيْرِ الْمُعْرِضَ عَنَّا وَعَنْ طَاعَتِنَا أَقْبِلْ إِلَيْنَا وَعَلَى عِبَادَتِنَا، فَإِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ تَحْتَ قُدْرَتِنَا وَإِرَادَتِنَا « وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ » أَيْ يَا مُرِيدَ الْمَعْصِيَةِ « أَقْصِرْ » أَيْ أَمْسِكْ عَنِ الْمَعَاصِي، وَارْجِعْ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - فَهَذَا أَوَانُ قَبُولِ التَّوْبَةِ وَزَمَانُ الِاسْتِعْدَادِ لِلْمَغْفِرَةِ، وَلَعَلَّ طَاعَةَ الْمُطِيعِينَ وَتَوْبَةَ الْمُذْنِبِينَ وَرُجُوعَ الْمُقَصِّرِينَ فِي رَمَضَانَ مِنْ أَثَرِ النِّدَاءَيْنِ، وَنَتِيجَةِ إِقْبَالِ اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَى الطَّالِبِينَ، وَلِهَذَا تَرَى أَكْثَرَ الْمُسْلِمِينَ صَائِمِينَ حَتَّى الصِّغَارَ. [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٣٦٤/٤)].

سادسًا: لله سبحانه عُتقاء من النار كل يوم وليلة من رمضان:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لله تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة - يعني في رمضان - وإن لكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة) [صحيح الجامع٢١٦٩].

فيُعتق من النار من أوبقته الأوزار واستوجب النار بالذنوب الكبار. (لطائف المعارف٢١٢).

العِتْقُ: الكَرَمُ، والجَمالُ، والنَّجابَةُ، والشَّرَفُ، والحُرِّيَّةُ. [القاموس المحيط (٩٠٦/١)]

والمعنى من أعتقه من النار صار حرًا جميلاً كريمًا، ذا شرف ونجابة.

(ولله عتقاء من النار) أي: ولله عتقاء كثيرون من النار، فلعلك تكون من زمرتهم، (وذلك) أي: المذكور من النداء والعتق. (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة لمصابيح ٤١٤/٦).

أبواب النار تُغلق في رمضان بما قطع عن العباد من المعاصي، وترك الأعمال المستوجب بها النار، ولقلة ما يؤاخذ الله العباد بأعمالهم السيئة.

ماذا ينقصك بعد ذلك؟

١- حبس عدوك الشيطان وتقييده بالحديد.
٢- جماعية الطاعة، أي: غالبية الناس صائمة.
٣- السماء تفتح أبوابها في رمضان لإجابة الدعاء.
٤- فتحت أبواب الجنة كلها كأنها تُنادي عليك.
٥- غلقت أبواب النار كلها كأنها تُحذرك وتُنذرك.
٦- يُنادى عليك كل ليلة من رمضان لتعود إلى الله.
٧- لله عُتقاء من النار كل يوم وليلة من رمضان، فكن واحدًا منهم.

فليس لك حُجة بعد هذا كله. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وقفات وعبر في الصلاة على خير البشر

إعداد
صلاح عبد الخالق

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وبعد:

فعبودية لربنا، ومحبة في نبينا صلى الله عليه وسلم، نقف مع حضراتكم هذه الوقفات حول الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

أولا: حكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

- اتفق العلماء على وجوب الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم، ثم اختلفوا فقيل تجب في العمر مرة وهو الأكثر، وقيل: تجب في كل صلاة في التشهد الأخير وهو مذهب الشافعي وإحدى الروايتين عن أحمد وقيل: تجب كلما ذكر واختاره الطحاوي من الحنفية والحليمي من الشافعية. [تفسير الخازن (٣/٤٣٥)].

ثانيا: ما الحكمة من الصلاة على النبي؟

أ- حكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تشريفهم بذلك؛ حيث اقتدوا بالله جل وعلا في الصلاة عليه وتعظيمه، ومكافأةٌ لبعض حقوقه على الخلق؛ لأنه الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت لهم، وحقٌ على مَن وصل له نعمة من شخص أن يكافئه، ولما كان الخلق عاجزين عن مكافأته صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم طلبوا من القادر الملك أن يكافئه. (صفوة التفاسير: ٢/٤٩٣).

ب- لَيْسَتْ صَلَاتُنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَفَاعَةً لَهُ؛ فَإِنَّ مِثْلَنَا لَا يَشْفَعُ لِمِثْلِهِ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا بِمُكَافَأَةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا فَإِنْ عَجَزْنَا عَنْهَا كَافَأْنَاهُ بِالدُّعَاءِ، فَأَرْشَدَنَا اللَّهُ لَمَّا عَلِمَ عَجْزَنَا عَنْ مُكَافَأَةِ نَبِيِّنَا إِلَى الصَّلَاةِ عَلَيْهِ. فتح الباري (١١/١٦٨).

> اتفق العلماء على وجوب الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم، ثم اختلفوا فقيل تجب في العمر مرة وهو الأكثر، وقيل: تجب في كل صلاة في التشهد الأخير.

ثانيا: من فضائل الصلاة على النبي:

أولا: في الدنيا ويكفي منها على سبيل المثال:

١: الصلاة من الله عز وجل:-

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا» صحيح مسلم (٤٠٨).

- قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: " صَلَاةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ. صحيح البخاري كتاب التفسير (٦/١٢٠).

- قَالَ الْقَاضِي:- مَعْنَاهُ رَحْمَتُهُ وَتَضْعِيفُ أَجْرِه كَقَوْلِه تَعَالَى (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَه عَشْرُ أَمْثَالِهَا) قَالَ: وَقَدْ يَكُونُ الصَّلَاةُ عَلَى وَجْهِهَا وَظَاهِرِهَا تَشْرِيفًا لَهُ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ (وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ). شرح النووي (١٢٨/٤).

ب- عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي صَلَاةً مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ» صحيح الترغيب (١٦٥٩).

- فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَرْبَعُ فَوَائِدَ للصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرة واحدة مخلصا لوجه الله تعالى:

١ - الملك جل في علاه يذكرك باسمك بخير عشر مرات أمام الملائكة.

٢- يرتفع رصيدك في الجنة عشر درجات؛ لأن الجنة درجات بعضها فوق بعض.

٣-يُكتب ويُزاد لك عشر حسنات.

٤-يُمحى من سيئاتك عشر سيئات.

٢- الصلاة من الملائكة:

- عن عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ» مسند أحمد (١٥٦٨٠) صحيح ابن ماجه (٧٣٩).

يُخبر تعالى عن كمال لطفه تعالى بعباده المؤمنين، وما قيض لأسباب سعادتهم من الأسباب الخارجة عن قدرهم، من استغفار الملائكة المقربين لهم، ودعائهم لهم بما فيه صلاح دينهم وآخرتهم. السعدي(٧٢٢/١).

- فضائل أخرى لصلاة الله تعالى وملائكته:

قال تعالى: (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) [الأحزاب: ٤٣].

هَذِه نِعْمَةٌ مِنَ اللَّه تَعَالَى عَلَى هَذِه الْأُمَّةِ مِنْ أَكْبَرِ النِّعَمِ وَدَلِيلٌ عَلَى فَضْلِهَا عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ. القرطبي (١٩٨/١٤).

- هو الذي يصلي عليكم، وتصلي عليكم ملائكته، والصلاة من الله رحمة بنا، ومن الملائكة استغفار لنا، كل ذلك ليخرجكم من ظلمات النفس الأمارة بالسوء. ومن ظلمات الدنيا الغرور، ومن ظلمات وسوسة الشيطان.

بما يهديكم ويرشدكم ويُثني عليكم ويُوفقكم إلى طرق النور والعلم والإسلام والخير. [التفسير الواضح (١٠١/٣)].

٣- إجابة الدعاء:

عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي، إِذَا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ فَاحْمَدِ اللَّهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ. قَالَ: ثُمَّ صَلَّى رَجُلٌ آخَرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّهَا الْمُصَلِّي ادْعُ تُجَبْ. صحيح الترمذي (٣٤٧٦).

- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ:كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم. صحيح الجامع(٤٥٢٣).

- (كل دعاء محجوب) عن القبول (حتى يُصلى) أي يصلي الداعي. (على النبي صلى الله عليه وسلم) في دعائه فإن الصلاة عليه سبب القبول

حكمةُ صلاة الملائكة والمؤمنين على النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ تشريفُهم بذلك؛ حيث اقتدوا بالله جل وعلا في الصلاة عليه وتعظيمه، ومكافأةٌ لبعض حقوقه على الخلق؛ لأنه الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت لهم.

والإجابة، وذلك أنه تعالى لا يرد الداعي بالصلاة على رسوله خائبا. التنوير شرح الجامع الصغير (١٧٤/٨).

٤- حل مشاكلك الكثيرة:

قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ». قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قُلْتُ: النِّصْفَ قَالَ «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ» سنن الترمذي (٢٤٥٧) وحسنه الألباني.

-ن الإنسان إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم يكشف الله عنه الهم، ويغفر له ذنبه، فإذا كان جل أو كل دعائه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كفاه الله عز وجل ما أهمه وغفر له ذنبه. [تفسير حطيبة (٥/ ٢٨٩)].

ثانيًا: من فضائل الصلاة على النبي في الآخرة:

١- الرحمة من الله تعالى:

قال تعالى: (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) «وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا» أَيْ: وَأَمَّا رَحْمَتُهُ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ: فَآمَنَهُمْ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَأَمَرَ مَلَائِكَتَهُ يَتَلَقَّوْنَهُمْ بِالْبِشَارَةِ بِالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَحَبَّتِهِ لَهُمْ وَرَأْفَتِهِ بِهِمْ. [تفسير ابن كثير (٦/ ٤٣٦)].

٢- شفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم:

أ- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا وَحِينَ يُمْسِي عَشْرًا أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ) صحيح الجامع (٦٣٥٧).

ب- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ. مسلم (٣٨٤) والترمذي (٥٢٣).

حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ أي: وجبت وقيل نالته. شرح النووي (٨٧/٣).

الشفاعة هي التوسط للغير بجلب المنفعة أو دفع مضرة. تفسير أحمد فصل الخطاب في الزهد (٣٠٦/٢).

- «والشفاعة الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه، وأكثرُ ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى، ومنه الشفاعة في القيامة» المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص(٢٦٣).

الصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ رَحْمَةٌ وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا تَحِيَّةٌ، فَلَمَّا طَلَبْنَا مِنَ اللَّهِ الرَّحْمَةَ لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَجَبَ بِمُقْتَضَى قَوْلِهِ: (فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا)، أَنْ يَفْعَلَ مُحَمَّدٌ مِثْلَهُ وَهُوَ أَنْ يَطْلُبَ لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ الرَّحْمَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الشَّفَاعَةِ، ثُمَّ تَوَافَقْنَا عَلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ غَيْرُ مَرْدُودِ الدُّعَاءِ، فَوَجَبَ أَنْ يُقْبَلَ اللَّهُ شَفَاعَتَهُ فِي الْكُلِّ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ. مفاتيح الغيب (٥٠٠/٣).

حقٌ على مَن وصل له نعمة من شخص أن يكافئه، ولما كان الخلق عاجزين عن مكافأته صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم طلبوا من القادر الملك أن يكافئه.

٣- غفران الذنوب:

قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ» الترمذي (٢٤٥٧).

- التحذير من ترك الصلاة على النبي:

١- عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ» مسند أحمد (١٧٣٦) وانظر

صحيح الجامع (٢٨٧٨).

البخيل أي: كامل البخل؛ لأنه بامتناعه من الصلاة عليه قد شح وامتنع من أداء حق يتعين عليه أداؤه امتثالاً للأمر ولما فيه من مكافأة جزئية لمن كان سبباً في سعادته الأبدية، بل في الحقيقة إنما شح وبخل عن نفسه، ومنعها أن يصل إليها عطاء عظيم ممن يعطي بلا حساب ولا تنقص خزائنه بالعطاء، فبهذا الشح تفوته تلك الكنوز التي لولاه لكان يكتالها بالمكيال الأوفى من غير أدنى مشقة، فلا أبخل من هذا. [دليل الفالحين (١٩٦/٧)].

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: «آمِينَ آمِينَ آمِينَ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ حِينَ صَعِدْتَ الْمِنْبَرَ قُلْتَ: آمِينَ آمِينَ آمِينَ، قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي، فَقَالَ:... وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ» (صحيح ابن حبان (٩٠٧) وقال الألباني: حسن صحيح).

إن الإنسان الذي كان يُذكر أمامه النبي صلى الله عليه وسلم ولا يُصلي عليه إذا كان حظه أنه دخل النار بسبب ذنوبه، فأبعده الله، فلا هو الذي في الدنيا عمل صالحاً يُدخله الجنة، ولا هو الذي أكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؛ فتنفعه شفاعته إذا دخل النار أن يُخرجه الله من النار إلى الجنة. [تفسير أحمد حطيبة (٧ /٢٨٩)].

أفضل هيئات الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

- هذه الصلاة تؤدى بأية صيغة كانت، وأفضلها كما قال كثير من العلماء هي الصلاة الإبراهمية التي تقال بعد التشهد الأخير في الصلاة. [فتاوى دار الإفتاء المصرية (٢٠٥/٨)].

- عن ابْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، فَقَالَ: أَلا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا: قَدْ عَرَفْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» [صحيح البخاري (٣٣٧٠) وصحيح مسلم (٤٠٦)].

مَعْنَى قَوْلِنَا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ تَعْظِيمُهُ: عَظِّمْ مُحَمَّدًا الْمُرَادُ تَعْظِيمُهُ فِي الدُّنْيَا بِإِعْلَاءِ ذِكْرِهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ وَإِبْقَاءِ شَرِيعَتِهِ وَفِي الْآخِرَةِ بِإِجْزَالِ مَثُوبَتِهِ وَتَشْفِيعِهِ فِي أُمَّتِهِ وَإِبْدَاءِ فَضِيلَتِهِ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ. فتح الباري (١١/١٥٦).

من المواطن التي نصلي فيها على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

- وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ وَوَرَدَتْ فِيهِ أَخْبَارٌ خَاصَّةٌ أَكْثَرُهَا بِأَسَانِيدَ جَيِّدَةٍ:

١- عَقِبَ إِجَابَةِ الْمُؤَذِّنِ.

٢- وَأَوَّلَ الدُّعَاءِ وَأَوْسَطَهُ وَآخِرَهُ وَفِي أَوَّلِهِ آكَدُ وَفِي آخِرِ الْقُنُوتِ.

٣- وَفِي أَثْنَاءِ تَكْبِيرَاتِ الْعِيدِ.

٤- وَعِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَالْخُرُوجِ مِنْهُ.

٥- وَعِنْدَ الاجْتِمَاعِ وَالتَّفَرُّقِ.

٦- وَعِنْدَ السَّفَرِ وَالْقُدُومِ.

٧- وَعِنْدَ الْقِيَامِ لِصَلَاةِ اللَّيْلِ.

٨-وَعِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ.

٩- وَعِنْدَ الْهَمِّ وَالْكَرْبِ

١٠- وَعِنْدَ التَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ.

١١- وَعِنْدَ قِرَاءَةِ الْحَدِيثِ وَتَبْلِيغِ الْعِلْمِ وَالذِّكْرِ.

١٢ وَعِنْدَ نِسْيَانِ الشَّيْءِ. [فتح الباري (١١/١٦٩)].

لَيْسَتْ صَلَاتُنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَفَاعَةً لَهُ؛ فَإِنَّ مِثْلَنَا لَا يَشْفَعُ لِمِثْلِهِ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا بِمُكَافَأَةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا فَإِنْ عَجَزْنَا عَنْهَا كَافَأْنَاهُ بِالدُّعَاءِ.

والحمد لله رب العالمين.

اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا

إعداد
صلاح عبد الخالق

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وبعد:

فقد أوصى الله عز وجل الرجال بالنساء، وأنزل في حقهن سورة في القرآن الكريم من أطول سور القرآن وهي سورة النساء وسورة أخرى تسمى سورة النساء الصغرى وهي سورة الطلاق، وأوصانا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بهن، فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَّرَ وَوَعَظَ، ثُمَّ قَالَ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا». [أخرجه البخاري (٣٣٣١) ومسلم (١٤٦٨)].

وقال صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: (استوصوا بالنساء خيراً)، انظروا إلى الأسلوب النبوي الكريم، قال صلى الله عليه وسلم: (استوصوا)، ولم يقل: أوصيكم بالنساء؛ فتكون الوصية مؤقتة منه فقط، ولكن قال: استوصوا، أي: ليوصي كل منكم الآخر، فتظل هذه الوصية تعمل، وتتفاعل وتتكاثر، وتمتد إلى يوم القيامة. [شرح الأربعين النووية عطية سالم (٤/٣٧)].

لماذا الوصية بالنساء يا رسول الله؟

١- لأن للمرأة طبيعة خاصة أرشد إليها النبي صلى الله عليه وسلم

، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا، كَسَرْتَهَا وَكَسْرُهَا طَلَاقُهَا». [صحيح مسلم (١٤٦٨)].

ومن المعلوم أن الخالق جل ثناؤه قد زوَّد كلاً من الرجل والمرأة بخصائص تتناسب والمهمة التي يقوم بها كل منهما، فالمرأة هي الحاضنة والمربية والحاملة والمرضعة، وهذه المهمة بحاجة إلى عواطف جياشة ومشاعر مرهفة حتى تستطيع أن تؤدي مهمتها على الوجه الأكمل، وغلبة هذه العاطفة مع ما يتكرر معها من المحيض والولادة يولد لديها بعض الضعف من الانفعال النفسي والشعور بالضيق فيضعف تحملها فتحتاج إلى مراعاة، فأرشد النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إلى طبيعة المرأة، وأنها تحتاج إلى مراعاة ومداراة، ولو أن الزوج استحضر هذه الوصية عند تعامله مع امرأته لطابت حياتهما وعاشا حياة طيبة وعيشة هنيئة بعيدة عن المشاكل والمكدرات. [فتاوى واستشارات اليوم (٢/١٠٨)].

وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم بحُسن معاشرة النساء، فقال:

«استوصوا بالنساء خيرًا». يعني: اقبلوا هذه الوصية التي أوصيكم بها، وذلك أن تفعلوا خيرا مع النساء؛ لأن النساء قاصرات في العقول وقاصرات في الدين، وقاصرات في التفكير وقاصرات في جميع شئونهن؛ فإنهن خُلقن من ضلع، وذلك أن آدم عليه الصلاة والسلام خلقه الله من غير أب ولا أم، بل خلقه من تراب، ثم قال له كن فكان، ولما أراد الله تعالى أن يبث منه هذه الخليقة خلق منه زوجه فخلقها من ضلعه الأعوج فخلقت من الضلع الأعوج والضلع الأعوج إن استمتعت به استمتعت به وفيه العوج. [شرح رياض الصالحين، للشيخ ابن عثيمين: ١/٣٢٢].

٢- وكذلك لأنها لن تستقيم للرجل على طريقة:

أ- (لَنْ تَسْتَقِيمَ): أَيْ: لَنْ تَسْتَمِرَّ وَلَنْ تَدُومَ (عَلَى طَرِيقَةٍ): أَيْ: عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ مُسْتَقِيمَةٍ بَلْ تَنْقَلِبُ عَنْ حَالِهَا مِنَ الشُّكْرِ إِلَى الْكُفْرَانِ، وَمِنَ الْإِطَاعَةِ إِلَى الْعِصْيَانِ، وَمِنَ الْقَنَاعَةِ إِلَى الطُّغْيَانِ. قَالَ الطِّيبِيُّ: فِيهِ إِشْعَارٌ بِاسْتِحَالَةِ تَقْوِيمِهَا. (مرقاة المفاتيح: ٥/٢١١٧).

ب- وإن أراد أن تستقيم فإنها لن تستقيم ولن يتمكن من ذلك، فهي وإن استقامت في دينها فلن تستقيم فيما تقتضيه طبيعتها، ولا تكون لزوجها على ما يريد في كل شيء، بل لا بد من مخالفة ولا بد من تقصير مع القصور الذي فيها. فهي قاصرة بمقتضى جبلتها وطبيعتها، فإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها، ومعنى ذلك أنك إن حاولت أن تستقيم لك على ما تريد فلا يمكن ذلك وحينئذ تسأم منها وتطلقها، فكسرها طلاقها. [شرح رياض الصالحين لابن عثيمين: ١/٣٢٢].

ج- وفي هذا الحديث مُلاطفة النِّساء والإحْسان إليهن، والصَّبرُ على عوج أخلاقهنَّ، واحتمال ضعف عقولهنَّ وكراهة طلاقهنَّ بلا سبب وأنَّه لا يُطمع باستقامتها. [شرح النووي(١٠/٥٧)].

٣- ولأنهن أسيرات عند الرجال:

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَّرَ، وَوَعَظَ، فَقَالَ: «أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ». [سنن الترمذي (١١٦٣)، وابن ماجه (١٨٥١)، وحسنه الألباني].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «هن عوان» أي: بمنزلة الأسرى؛ لأن الأسير إن شاء فكّه الذي أسره، وإن شاء أبقاه، والمرأة عند زوجها كذلك إن شاء طلقها، وإن شاء أبقاها، فهي بمنزلة الأسيرة عنده، فليتق الله فيها. [تفسير ابن عثيمين، جزء عم، ١/٩٤].

إن للمرأة طبيعة خاصة كرمها الإسلام بها، وكان من لزوم ذلك وتمامه أن أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بها فقال: (استوصوا بالنساء خيرا).

٤- ولأنهن ناقصات عقل ودين:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحًى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لُبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «ذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا». [رواه البخاري (٣٠٤) ومسلم (٧٩)].

وقوله: (أُرِيتُكُنَّ) أراني الله إياكن وذلك ليلة الإسراء. (تكثرن اللعن) تتلفظن به كثيرا حال الدعاء على أحد، واللعن هو الطرد والإبعاد عن الخير والرحمة. (تكفرن العشير) تجحدن نعمة الزوج وتنكرن إحسانه. (أذهب) أشد إذهابا. (لب) هو العقل السليم الخالص من الشوائب. (نصف شهادة الرجل) أشار بذلك إلى قوله تعالى «فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ» [البقرة ٢٨٢].

قوله: (من نقصان عقلها) أي: وجود الثانية معها لنسيانها وقلة ضبطها، وهذا يُشعر بنقص عقلها عن الرجل إجمالاً، وأما تفصيلا فقد تكون امرأة أكثر عقلا من كثير من الرجال. (من نقصان دينها). أي: إن ما يقع منها من العبادة وهي من أهم أمور الدين أنقص مما يقع من الرجل] [تعليق مصطفى البغا على صحيح البخاري ١/ ٦٨].

٥- المسئولية العظيمة للرجل تجاه المرأة:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِه، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِه، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِه وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه». [رواه البخاري(٥١٨٨)، ومسلم (١٨٢٩)].

الرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِه، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ أمام الملك، والمسئوليات كثيرة على الرجال، منها:

أ- الإنفاق والكسوة بالمعروف: قال تعالى: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ» [النساء: ٣٤]، وعَنْ جَابِرٍ أن رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أتى عَرَفَةَ، فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ: فَاتَّقُوا اللَّه فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّه وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّه، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ؛ فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ. [صحيح مسلم (١٢١٨)].

وعَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِيه، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ؟ قَالَ: «أَنْ يُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَ، وَأَنْ يَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى، وَلَا يَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا يُقَبِّحْ، وَلَا يَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ» [سنن ابن ماجه (١٨٥٠)، وصححه الألباني].

- (ولهن عليكم رزقهن) أي وجوبًا، والمراد بالرزق النفقة من المأكول والمشروب، وفي معناه سكناهن (بالمعروف) أي: على قدر كفايتهن من غير سرف ولا تقتير أو باعتبار حالكم فقرًا وغنىً، وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها، وذلك ثابت بالكتاب والسنة والإجماع. [مرقاة المفاتيح (٩/ ٢٥)].

ب- مسئولية التربية الإسلامية:

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» [التحريم: ٦].

أمر الله -والأمر للوجوب- بأن يقي المؤمنون أنفسهم النار بأفعالهم، وأهليهم بالنصح والوعظ والإرشاد، وهذا يتطلب الالتزام التام بأحكام الشرع أمرا ونهيا وترك المعاصي وفعل الطاعات، ومتابعة القيام بالأعمال الصالحة وحث الزوجة والأولاد على أداء الفرائض واجتناب النواهي ومراقبتهم المستمرة في ذلك. [تفسير المنير للزحيلي (٢٨/ ٣٢٠)].

- الصلاة: قال تعالى: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى» [طه: ١٣٢]، فأول واجبات الرجل المسلم أن يحول بيته إلى بيت مسلم، وأن يوجه أهله إلى أداء الفريضة -الصلاة- التي تصلهم بالله، وما أسعد الحياة في بيت أهله كلهم يتجهون إلى الله.

- حث أهلك على الصلاة: وأزعجهم إليها من فرض ونفل، والأمر بالشيء أمر بجميع ما لا يتم إلا به فيكون أمرا بتعليمهم ما يصلح الصلاة ويفسدها. ويكملها «وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا» أي: على الصلاة بإقامتها، بحدودها وأركانها وآدابها وخشوعها، فإن ذلك مشق على النفس، ولكن ينبغي إكراهها وجهادها على ذلك، والصبر معها دائما فإن العبد إذا أقام صلاته على الوجه المأمور به، كان لما سواها من دينه أحفظ وأقوم، وإذا ضيعها كان لما سواها أضيع. (تفسير السعدي (١/ ٥١٧).

- الأمر بالحجاب: قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» [الأحزاب: ٥٩]. هذه الآية التي تسمى آية الحجاب، فأمر الله نبيه، أن يأمر النساء عمومًا، ويبدأ بزوجاته وبناته، لأنهن آكد من غيرهن ولأن الأمر [لغيره] ينبغي أن يبدأ بأهله، قبل غيرهم. [تفسير السعدي (١/ ٦٧١)].

- قل يا محمد لزوجاتك الطاهرات أمهات المؤمنين وبناتك الفُضْلَيات الكريمات، وسائر نساء المؤمنين، قل لهنَّ يلبسن الجلباب الواسع، الذي يستر محاسنهن وزينتهن، ويدفع عنهم ألسنة السوء، ويميزهن عن صفات نساء الجاهلية «ذلك أدنى أن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ» أي: ذلك التستر أقرب بأن يُعْرفن بالعفة والتستر والصيانة، فلا يطمع فيهن أهل السوء والفساد. [صفوة التفاسير (٢/ ٤٩٣)].

والحمد لله رب العالمين.

الهمُّ الوحيدُ

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله وحده، كاشف الهم مُزيل الغم مُفرج الكرب، والصلاة والسلام على من وحد الهم فأزيل الغم وجاء الفرج فتحولت المحن إلى منح...وبعد فالهموم كثيرة فعلى سبيل المثال هموم تحسين العبادة، وهموم الدعوة إلى الله تعالى وهموم بسبب الزوجة والأولاد والعمل والجيران والرزق والمستقبل.. وهموم بسبب الموت والقبر ويوم القيامة وأهواله وما بعده من نار أوجنة... هيا نبحث عن علاج واحد لتلك الهموم ونجعلها هما واحدا حتى لا نتشتت ونستريح.

تعريف الهمّ:

(الْهَمُّ) الْحُزْنُ وَالْجَمْعُ (الْهُمُومُ) و(أَهَمَّهُ) الْأَمْرُ أَقْلَقَهُ وَحَزَنَهُ. وَيُقَالُ: هَمُّكَ مَا أَهَمَّكَ. و(الاهْتِمَامُ) الاغْتِمَامُ. وَ(هَمَّ) بِالشَّيْءِ أَرَادَهُ. مختار الصحاح (٣٢٨/١).

أنواع الهمّ:

- قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ١٨- ٢١).

أولا: هموم الدنيا:

قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ (الإسراء: ١٨). أي من كان طلبه الدنيا العاجلة، وكانت الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه، فخصها بكل جهده وعمله ونسي الآخرة، عجل الله فيها تحقيق أمله حسبما يشاء ويريد، من سعة الرزق وترف الحياة، فليس كل من طلب الدنيا ونعيمها يحصل له مراده، بل إنما يحصل لمن أراد الله وما يشاء، فالعطاء الدنيوي مقيد بالإرادة والمشيئة الإلهية. (المنير للزحيلي: ٤٣/١٥).

وفي لفظ هذه الآية فوائد:

الفائدة الأولى: أَنَّ الْعِقَابَ عِبَارَةٌ عَنْ مَضَرَّةٍ مَقْرُونَةٍ بِالْإِهَانَةِ وَالذَّمِّ فَقَوْلُهُ: (ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ) إِشَارَةٌ إِلَى الْإِهَانَةِ والذم، وقوله: (مَدْحُوراً) إشارة إلى البعد والطَّرْدِ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

الفائدة الثانية: أَنَّ مِنَ الْجُهَّالِ مَنْ إِذَا سَاعَدَتْهُ

الدُّنْيَا اغْتَرَّ بِهَا، وَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ لأَجْلِ كَرَامَتِه عَلَى اللَّه تَعَالَى، وَأَنَّه تَعَالَى بَيَّنَ أَنَّ مُسَاعَدَةَ الدُّنْيَا لا يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى رِضَا اللَّه تَعَالَى.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: قَوْلُه تَعَالَى: (لِمَنْ نُرِيدُ) يَدُلُّ عَلَى أَنَّه لا يَحْصُلُ الْفَوْزُ بِالدُّنْيَا لِكُلِّ أَحَدٍ، بَلْ كَثِيرٌ مِنَ الْكُفَّارِ وَالضُّلاَّلِ يُعْرِضُونَ عَنِ الدِّينِ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَبْقَوْنَ مَحْرُومِينَ عَنِ الدُّنْيَا وَعَنِ الدِّينِ، (فَهُمُ الأَخْسَرُونَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (مفاتيح الغيب: ٣١٦/٢٠).

عقوبة من كانت الدنيا أكبر همه:

قال تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ) (طه: ١٢٤).

«فإنَّ لَهُ مَعِيشَةَ ضَنْكًا» أيْ: في الدُّنْيا، فَلا طُمَأْنِينَةَ لَهُ، وَلا انْشِراحَ لِصَدْرِه، بَلْ صَدْرُهُ (ضَيِّقٌ) حَرِجٌ لِضَلالِه، وَإنْ تَنَعَّمَ ظاهِرُهُ، وَلَيْسَ مَا شاءَ وَأكَلَ مَا شاءَ وَسَكَنَ حَيْثُ شاءَ. (تفسير ابن كثير: ٣٢٣/٥).

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن أصبح العبدُ وأمسى والدُّنْيا همه حمله الله همومها وغمومها وأنكادها ووكله إلى نفسه فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق ولسانه عن ذكره بذكرهم وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم فهو يكدح كدح الوحش في خدمة غيره كالكير ينفخ بطنه ويعصر أضلاعه في نفع غيره». (الفوائد: ٨٤/١).

صورة حية من الضنك في الدنيا:

عن زَيْد بْنُ ثابت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم، يَقُولُ: «مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّه عَلَيْه أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْه، وَلَمْ يَأْتِه مِنَ الدُّنْيَا إلاَّ مَا كُتِبَ لَهُ» (سنن ابن ماجه (٤١٠٥) صححه الألباني).

١- من كانت الدنيا تفكيره، لأجلها يقدم خطوة، ولأجلها يتقهقر أخرى، من كانت الدنيا سبباً في قربه وبعده، وابتسامته ونطقه وصمته وكلامه، ورضاه وسخطه وحزنه ومعاتبته، فليعلم أنه يعاقب عقوبة عاجلة: أولها: تشتت الشمل، فكل ما حوله متشتت حتى وإن كان الأمر بين يديه، وزد على ذلك أن الفقر يلازمه. (دروس للشيخ سعد البريك: ٥/٢٠٤).

٢- في قوله عليه الصلاة والسلام: (جعل الله فقره بين عينيه) فمهما كان عنده من الأموال فلا قناعة تريحه، ويحس دائماً بأنه منقوصٌ مبخوس، ولو كان عنده ملايين، فالشره سيعذبه، والحرص والجشع سيحطمه، وهكذا لا يستمتع بمال. (دروس للشيخ المنجد: ٦/٤٩).

٣- هُم في هَم لازم، وتعب دائم وحسرة لا تنقضي، مهما نال الشخص منهم شيئاً منها طمحت نفسه إلى ما فوق، وهكذا في عذاب دائم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً. حالهم في الدنيا كحال شارب الخمر، كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً. ثم إن أولادهم كثيراً ما يجلبون عليهم التعاسة والشقاء؛ في عقوقهم وكفرانهم لنعمة آبائهم، وإذا لم يكن الولد مؤمناً تقياً براً كريماً فإنه يكون سبب تعاسة لأبويه. (دروس للشيخ المنجد: ٣/١٧٩).

من عقوبات من قدم الدنيا على الآخرة أن الله عز وجل يجعل فقره بين عينيه فمهما كان عنده من الأموال فإنه يشعر دائماً بأنه منقوص مبخوس.

وفي الآخرة: عقوبة بشعة وفظيعة لمن وجه كل حياته لغير الله تعالى وكانت قبلته الدنيا فقط!!!

قال تعالى: (مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (هود: ١٥- ١٦).

قال قتادة: من كانت الدنيا همَّه ونيَّته جازاه الله بحسناته في الدنيا، ثم يُفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يُعطى بها «أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار» أي هؤلاء الذين هدفهم الدنيا ليس لهم في الآخرة إلا نار جهنم وعذابها المخلَّد «وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا» أي بطل ما صنعوه من الأعمال الصالحة لأنهم قد استوفوا في الدنيا جزاءه. (صفوة التفاسير: ٧/٢).

ثانيا: هموم الآخرة:

- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ (الإسراء: ١٩).

- عَنْ أنس بْن مَالك، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّه غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ». (سنن الترمذي (٢٤٦٥) وقال الألباني: صحيح).

أ- إن كانت الآخرة همك فإنك لن يمر بك يوم إلا تذكرت فيه مصيرك ومعادك، إن كانت الآخرة همك فإنك لن ترى شيئاً من الدنيا إلا ربطته لا محالة بالآخرة، إن صعدت جسراً في الطريق تذكرت جسر جهنم، وإن لبست ثوباً تذكرت لباس أهل النار ولباس أهل الجنة، وإن شربت شراباً تذكرت شراب أهل النار وأهل الجنة، وإن أكلت طعاماً تذكرت طعام أهل النار وأهل الجنة، وإن اجتمعت بك حال أو تشتت بك أمر ستتذكر بهذا أحوال أهل النار وأحوال أهل الجنة.

ب- من كانت الآخرة همه يُعطى نعمة اجتماع الشمل فيُعطى سكينة وطمأنينة، واجتماع فكر، واجتماع أهل وأحباب وشمل واخوان، ويُجنب الشقاق والقطيعة، وتجتمع دُنياه عليه ويُكتب له القبول في الأرض، فلا يراه أحد إلا أحبه، وبالجملة يجتمع له وحوله في طاعة الله كلما أراد. (دروس الشيخ سعد البريك: ٢/٢٠٤).

ج- من كانت الآخرة همه أن جعل غناه في قلبه؛ لأنه إذا اغتنى قلبه قنع ولم يتطلع إلى الدنيا، ومع ذلك من إيقاع القناعة في قلبه لا يُحرم عليه الدنيا، بل تأتيه الدنيا وهي راغمة ذليلة، فهي التي تأتيه وليس هو الذي يجري وراءها، فهذه هي السعادة التي يبحث عنها الناس. (تفسير القرآن الكريم، المقدم: ٦/١٢٠).

- عَنْ أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ» (البخاري: ٦٤٤٦، ومسلم: ١٠٥١)

د- قال ابن القيم - رحمه الله -: «إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده تحمّل الله عنه سبحانه حوائجه كلها، وحمل عنه كلّ ما أهمّه، وفرّغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته. (الفوائد: ١/٨٤).

من كانت الآخرة همه يُعطى نعمة اجتماع الشمل فيُعطى سكينة وطمأنينة، واجتماع فكر، واجتماع أهل وأحباب وشمل وإخوان، ويُجنب الشقاق والقطيعة، وتجتمع دُنياه عليه ويُكتب له القبول في الأرض.

علاج الهموم جميعها:

هموم الدنيا بالنسبة لهموم الآخرة لا تساوي قطرة ماء في محيط واسع هكذا لابد أن يكون همك الوحيد يوم القيامة-الآخرة -لا يفارق بالك حتى تفوز بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة - قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ١٩- ٢١).

وقوله: (وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ) أي والتفاوت في الآخرة أكبر وأعظم، والتفاضل في درجات منافع الآخرة أكبر من التفاضل في درجات منافع الدنيا، فالدرجات أكبر، والتفاضل أعظم لأن الآخرة ثواب وأعواض وتفضل وكلها متفاوتة، فأهل النار في دركات سفلى متفاوتة، وأهل الجنة في درجات عليا متفاضلة، فإن الجنّة مائة درجة، ما بين كل درجتين، كما بين السماء والأرض. (المنير للزحيلي: ١٥/٤٤)

عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ مَسْعُود، قَالَ سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ الْمَعَادِ، كَفَاهُ اللَّه هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللَّه فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ» (سنن

ابن ماجه: ٤١٠٦، صحيح الجامع: ٦١٨٩).

اجعل الهمين هما واحدا:

وهو هم يوم القيامة، فمن جعل الهموم هما واحدًا هم الآخرة كفاهُ الله كل هموم الدُّنيا والآخرة. مَن اقتصَرَ عَلَى هَمٍّ واحد مِنَ الْهُمُوم وَتَرَكَ سَائِرَ الْمَطَالِب وَبَقِيَّةَ الْمَقَاصِد وَجَعَلَ كَأَنَّهُ لَا هَمَّ إِلَّا هَمٌّ وَاحِدٌ هَمَّ آخرته.

(كَفَاهُ اللَّه هَمَّ دُنْيَاهُ): الْمُشْتَمِلُ عَلَى الْهُمُوم يَعْنِي كَفَاهُ هَمَّ دُنْيَاهُ أَيْضًا (وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِه الْهُمُومُ): أَيْ: تَفَرَّقَتْ يَعْنِي مَرَّةً اشْتَغَلَ بِهَذَا الْهَمِّ وَأُخْرَى بِهَمٍّ آخَرَ وَهَلُمَّ جَرًّا (فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا) (لَمْ يُبَالِ اللَّه)أَيْ: لَا يَنْظُرُ إِلَيْه نَظَرَ رَحْمَة (فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا) أَيْ: أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا أَوِ الْهُمُوم (هَلَكَ): يَعْنِي لَا يَكْفِيه هَمُّ دُنْيَاهُ وَلَا هَمُّ أُخْرَاهُ، فَيَكُونُ مِمَّنْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ.ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ. (مرقاة المفاتيح: ٣٣١/١).

كيف تجعل الهمين هما واحدا:

١:- تحديد الهدف بتجديد الإخلاص لله رب العالمين:

أ- قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢- ١٦٣).

(قُلْ إِنَّ صَلَاتِي): أي إن كل أنواع صلاتي وعبادتي ودعائي ونسكي أي عبادتي (وقد كثر استعمال النسك في الذبح وأداء شعائر الحج والعمرة وغيرهما) وكل ما آتيه في حياتي، وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح هو لله عز وجل، أي أن كل أعمالي ومقاصدي محصورة في طاعة الله ورضوانه، فهي آية جامعة لكل الأعمال الصالحة، وعلى المسلم أن يكون قصده وعمله وكل ما يقدمه من عمل هو وجه الله تعالى، سواء في أثناء حياته، أو ما يعقبه من عمل صالح بعد مماته، هو لله، وإلى الله، وفي سبيل الله، ولطاعة الله تعالى. (المنير للزحيلي: ١٢٥/٨).

ب- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّه تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ» (سنن الترمذي (٢٤٦٦) وصححه الألباني).

- يا بن آدم تفرغ لعبادتي: أي فرغ قلبك وأقبل علي وحدي فتكون في كل أحوالك ناظراً إلى ربك سبحانه، مراقباً له خائفاً منه، تعمل ما يرضيه سبحانه وتعالى، فهذا هو التفرغ لعبادة رب العالمين، فإذا فعلت هذا فالنتيجة هي ما جاء في الحديث.

٢- المحاسبة الدائمة للنفس:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر: ١٨)، هذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدها، فإن رأى زللا تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصرا في أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وإتقانه، ويقايس بين من الله عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة. (تفسير السعدي: ٨٥٣/١).

من جعل الهموم هما واحدًا هم الآخرة كفاهُ اللَّه كل هموم الدُّنيا والآخرة. مَن اقتصَرَ عَلَى هَمٍّ واحد مِنَ الْهُمُوم وَتَرَكَ سَائِرَ الْمَطَالِب وَبَقِيَّةَ الْمَقَاصِد وَجَعَلَ كَأَنَّهُ لَا هَمَّ إِلَّا هَمٌّ وَاحِدٌ هَمَّ آخرته.

فمن منا يجعل الهموم هماً واحداً هم المعاد:

ولو أن كلاً منا في قلبه الآخرة، فسيدرك أن الله سبحانه على كل عمل يقوم به، فإنه إذا قام للصلاة تذكر: الله سيحاسبني على هذه الصلاة فيحسنها، وإذا صام أحسن الصيام، وإذا عمل أي عمل من الأعمال أتقن ذلك العمل، ولا من أجل أن يأخذ الجزاء من الناس، ليس من أجل أن يترقى، ولكن ابتغاء مرضات الله سبحانه وتعالى؛ لأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه، فإذا كانت الآخرة على بال الإنسان دائماً فإن الله سوف يكفيه أمر دنياه. (فصل الخطاب: ٩٧/١)

نسأل الله أن يصلح أحوالنا، ويوفقنا لما يحبه ويرضاه، والحمد لله رب العالمين.

ماذا تقول لربك غدًا؟!

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله مالك يوم الدين والصلاة والسلام على إمام النبيين، وبعد،

فيوم القيامة أهواله عظيمة وأخطاره جسيمة تشيب فيه الولدان وتعرق فيه الأبدان وتفر فيه من الخلان وتقابل الملك الديان وأنت حاف عُريان، فماذا تقول له يا إنسان غدا يوم القيامة!!! قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(الحشر: ١٨).

(يوم القيامة) اليوم الذي يلي يومك تقريبًا له، أو عبّر عن الآخرة بالغد، كأنّ الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد، وتنكيره لتفخيمه وتهويله. (البحر المديد: ١٦/٧).

- لابد أن تؤمن وتصدق بلقاء الله تعالى يوم القيامة:

- قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: ١- ٣). ومعنى الإيمان، الذي هو تصديقُ القَوْلِ بالعَمَل، والإيمانُ كلمةٌ جامعةٌ للإقْرَار بالله وكُتُبه ورُسُله، وتَصديقُ الإقْرَار بالفعْل. «يُؤمنون بالغَيْب» قال: يُؤمنون بالله وَمَلائكته وكُتُبه ورُسُله والْيَوْم الآخر، وجَنّته وَنَاره ولقائه، فَهَذَا غَيْبٌ كُلُّه. تفسير ابن كثير (١٦٠/١).

فمن آمن وصدق كان من أهل الهدى والفوز:

﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ٥).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ» (صحيح البخاري: ٥٠).

اللِّقَاءُ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْبَعْثِ عِنْدَ الْحِسَابِ (شرح النووي: ١٦٢/١).

البداية: يُنادى عليك باسمك واسم أبيك في أرض المحشر يوم القيامة لتقف أمام الملك الديان للحساب.

قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق: ٢١).

- تُنادي الملائكة: أين فلان بن فلان؟! فإذا تَيَقَّنْتَ أنك أنت المطلوب، وقرع النداء قلبك؛ فاصفر لونك، وتغير وجهك، وطار قلبك، وقد وُكِلَت الملائكة بأخذك أمام الخلق أجمعين، على رءوس الأشهاد، ويرفع الخلائق جميعاً أبصارهم إليك وأنت في طريقك للوقوف بين يدي الملك تتخطى الصفوف! قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ

ظُهُورِكُمْ) (الأنعام: ٩٤).

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر، يقول: «إنكم ملاقو الله حفاة عراة غرلا» (رواه البخاري: ٦٥٢٥) الغرل: ومفردها الأغرل وهو الذي لم يختن.

أسألك بالله أن تتصور هذا المشهد الذي يكاد يخلع القلوب! تتخطى الصفوف: صفوف الملائكة صفوف الجن صفوف الإنس في أرض المحشر؛ لترى نفسك واقفاً بين يدي الحق جل جلاله؛ ليكلمك الله، قال تعالى: «وقفوهم إنهم مسئولون» أي: قفوهم حتى يسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا. (تفسير ابن كثير: ٩/٧).

- عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل...) سنن الترمذي (٢٤١٦).

- عن عدي بن حاتم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة» مسلم (١٠١٦).

-أي يقف أمام الله دون حائل، ويكلمه مباشرة بدون واسطة ترجمان، لأن الله عليم بكل اللغات. منار القاري (١٥/٣).

- قال ابن هبيرة: نظر اليمين والشمال هنا كالمثل لأن الإنسان من شأنه إذا دهمه أمر أن يلتفت يمينا وشمالا يطلب الغوث قلت ويحتمل أن يكون سبب الالتفات أنه يترجى أن يجد طريقا يذهب فيها ليحصل له النجاة من النار. فتح الباري (١١/٤٠٤).

ومما يسأل فيه العبد يوم القيامة ما يأتي:

أولا: يسأل الملك عن حقوقه يوم القيامة منها:

١- الإخلاص لله تعالى في كل الأقوال والأفعال:

قال تعالى: (وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ) (البينة: ٥).

- عن أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت-فيقول الله تعالى له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جريء، فقد قيل ذاك "- ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم، وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن،- فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: - ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك،-فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال: فلان جواد فقد قيل ذاك - ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار. صحيح مسلم (١٩٠٥).

- قال تعالى: (وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا) (الفرقان: ٢٣)، (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل» أي: أعمالهم التي رجوا أن تكون خيرا لهم وتعبوا فيها، «فجعلناه هباء منثورا» أي باطلا مضمحلا قد خسروه وحرموا أجره وعوقبوا عليه وذلك لفقده الإيمان فالعمل الذي يقبله الله ما صدر عن المؤمن المخلص المصدق للرسل المتبع لهم فيه. تفسير السعدي(١/٥٨١).

- هؤلاء قاموا بأعمال عظيمة ولها أجور أثقل من الجبال ولكنهم فقدوا الأساس ألا وهو الإخلاص فانهارت عليهم في نار جهنم خسروا الدنيا والآخرة.

- وقوله صلى الله عليه وسلم في الغازي والعالم

وَالْجَوَاد وَعِقَابِهِمْ عَلَى فِعْلِهِمْ ذَلِكَ لِغَيْرِ اللَّه وَإِدْخَالِهِمُ النَّارَ دَلِيل عَلَى تَغْلِيظ تَحْرِيم الرِّيَاء وَشِدَّة عُقُوبَته وَعَلَى الْحَثّ عَلَى وُجُوب الْإِخْلَاص فِي الْأَعْمَال وفيه أن العمومات الْوَارِدَة فِي فَضْل الْجِهَاد إِنَّمَا هِيَ لِمَنْ أَرَادَ اللَّه تَعَالَى بِذَلِكَ مُخْلِصًا، وَكَذَلِكَ الثَّنَاءُ عَلَى الْعُلَمَاء وَعَلَى الْمُنْفِقِينَ فِي وُجُوه الْخَيْرَات كُلُّهُ مَحْمُولٌ عَلَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لِلَّهِ تَعَالَى مُخْلِصًا. شرح النووي(١٣/ ٥٠).

- اجعل شعارك دائما حتى تنجو قوله تعالى:- (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ) (الأنعام: ١٦٢- ١٦٣).

٢- عن الفرائض وأولها الصلاة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِه صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَته شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِه عَلَى ذَلِكَ». (سنن الترمذي: ٤١٣، سنن النسائي: ٤٦٥).

- (مِنْ عَمَلِه طَاعَاته (صَلَاتُهُ): الْفَرِيضَةُ (فَإِنْ صَلَحَتْ) صَلَاحُهَا: بِأَدَائِهَا صَحِيحَةً.أَوْ بِوُقُوعِهَا مَقْبُولَةً. (فَقَدْ أَفْلَحَ) فَازَ (وَأَنْجَحَ) فَيَكُونُ فِيه تَأْكِيدٌ، أَوْ فَازَ بِمَعْنَى خَلَصَ مِنَ الْعِقَابِ، وَأَنْجَحَ، أَيْ حَصَلَ لَهُ الثَّوَابُ، (وَإِنْ فَسَدَتْ): بِأَنْ لَمْ تُؤَدَّ أَوْ أُدِّيَتْ غَيْرَ صَحِيحَةٍ، أَوْ غَيْرَ مَقْبُولَةٍ، (فَقَدْ خَابَ) بِحِرْمَانِ الْمَثُوبَةِ (وَخَسِرَ) بِوُقُوعِ الْعُقُوبَةِ وَقِيلَ: مَعْنَى خَابَ نَدِمَ وَخَسِرَ، أَيْ صَارَ مَحْرُومًا مِنَ الْفَوْزِ وَالْخَلَاصِ قَبْلَ الْعَذَابِ. (مرقاة القاري: ٣/ ٩٩٧).

- لماذا لا تحافظ على الصلاة؟ ما الذي يمنعك؟

- تقول مشغول بقضية الرزق، لا تحمل هم الرزق؛ لأن الله الرزاق ضمن لك الرزق - قال تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ) (طه: ١٣٢).

ماذا تقول لربك؟؟

٣- السؤال عن النعيم: قال تعالى: (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) (التكاثر: ٨). ثم لتسألنَّ في الآخرة عن نعيم الدنيا من الأمن والصحة، وسائر ما يُتلذذ به من مطعم، ومشرب، ومركب ومفرش. صفوة التفاسير (٣/ ٥٧٢).

أ- لَتُسْأَلُنَّ عَنِ النَّعِيمِ: من أين نلتموه؟ وفيم أنفقتموه؟ أمن حلال وفي حلال؟ أم من حرام وفي حرام؟ هل شكرتم؟ «لتُسْئَلُنَّ» عما تتكاثرون به وتتفاخرون فهو عبء تستخفونه في غمرتكم ولهوكم ولكن وراءه ما وراءه ؛ هم ثقيل! عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعْنِي الْعَبْدَ مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيَكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ. (سنن الترمذي (٣٣٥٨) وصححه الألباني).

ب- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ، وَتَرْبَعُ، فَيَقُولُ: بَلَى، أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِه: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيه، وَيُقَالُ لِفَخِذِه وَلَحْمِه وَعِظَامِه: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِه، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِه، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّه عَلَيْه" مسلم(٢٩٦٨)

- (فيلقى العبد فيقول: أي فل) يا فلان ألم أكرمك«وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ» (الإسراء:٧٠) (وأسودك) أي: أجعلك سيدا ولم أجعلك عبدا من العبيد بل جعلتك سيداً حراً (وأزوجك)، أي: أعنتك على أن تزوجت (وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع) أي: تركتك تكون

رئيساً في قومك وكبيراً، وتربع أي: لك رباع ودور وحقول وبساتين، وغيرها في الدنيا، (فيقول العبد: بلى، قال: أفظننت أنك ملاقي؟) أي: هل اعتقدت أن هناك بعثاً ونشوراً وجنة وناراً يوم القيامة؟ قال: فيقول: لا، أخذت هذا كله ونسيتك يا رب فيقول الله عز وجل: (فإني أنساك كما نسيتني) فكما نسيت ربك سننساك في النار أي: نتركك مهملاً، لا ننظر إليك، فنعاملك معاملة المنسي، ولا ينسى ربك أحداً، ومعنى: ننساك أي: نتركك كما يُترك المنسي.

ثم الثاني مثل ذلك - ثم يلقى الثالث: فيقول له مثل ذلك، فيجيب هذا العبد، فيقول: يا رب! آمنت بك وبكتابك وبرسلك، وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع، فيقول الله عز وجل: ههنا) أي: قف مكانك، ثم يقال له: (الآن نبعث شاهدنا عليك)، فيتفكر العبد في نفسه، من سيشهد علي، فيُختم على فيه، ويُقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، فهو كذب في الدنيا ويُريد أن يكذب على الله يوم القيامة، خدع في الدنيا ويريد أن يخدع يوم القيامة فخدعه الله كما خدع الناس في الدنيا،وجعل أعضاءه تشهد عليه، قال: وذلك الذي يسخط الله عليه، والمنافق في الدرك الأسفل من النار أي: في قعر جهنم. تفسير أحمد حطيبة (٣/ ٤٠١).

- قال تعالى: (ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ) (يس: ٦٥).

ج-العبد المؤمن:

عن ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: "يُدْنَى الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّه حَتَّى يَضَعَ عَلَيْه كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِه، تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ يَقُولُ: أَعْرِفُ، يَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ مَرَّتَيْنِ، فَيَقُولُ: سَتَرْتُهَا فِي الدُّنْيَا، وَأَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ تُطْوَى صَحِيفَةُ حَسَنَاتِه. (رواه البخاري: ٤٦٨٥، ومسلم ٢٧٦٨).

(كنفه) هُوَ الْجَانِب والناحية، وَهَذَا تَمْثِيل لِجعله تَحت ظل رَحمته يَوْم الْقِيَامَة، وَقَالَ ابْن الْأَثِير: حَتَّى يضع عَلَيْهِ كنفه أَي يستره، وَقيل: يرحمه ويلطف به. عمدة القاري (١٨/ ٢٩٥)

٤-السؤال عن خمس: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّه حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرِه فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِه فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِه مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ» سنن الترمذي (٢٤١٦).

-وفي يوم القيامة تعدد الأهوال ومن ذلك الأسئلة الخمسة التي يُسأل عنها كل فرد وهي كما يلي:

السؤال الأول: كيف قضى عمره المحدود في الحياة الدنيا وهل كان مؤمنا موحدا أو كان فاسقا عاصيا؟.

السؤال الثاني: كيف مرت فترة الشباب التي عاشها؟ هل كانت في طاعة الله ومرضاته أم في معصية؟

السؤال الثالث: من أين اكتسب المال الذي هل من حلال ومباح أم من غش وخداع أم من استحلال المحرمات كالربا والخمر والملهيات بأنواعها؟

السؤال الرابع: ما هي طرق إنفاق ذلك المال؟ هل أدى حق الله فيها وكان نعم المال الصالح للرجل الصالح؟ أم أنفقت فيما لا يرضي الله عز وجل ولا يعود بالنفع.

السؤال الخامس: ماذا كانت نتيجة العلم الذي تحصل عليه؟ هل كان علما نافعا وعمل به وأدى زكاته؟ أم أعرض عنه وجعله مطية للحياة الفانية فقط وكان ممن آمن ببعضه وكفر بالبعض الآخر. المفصل في شرح آية (لا إكْرَاهَ فِي الدِّين) (٢/ ٢٠٣)

٥- السؤال عن الجوارح: قال تعالى: (إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا). (الإسراء ٣٦)، فحقيق بالعبد الذي يعرف أنه مسئول عما قاله وفعله وعما استعمل به جوارحه التي خلقها الله لعبادته أن يعد للسؤال جوابا، وذلك لا يكون إلا باستعمالها بعبودية الله وإخلاص الدين له وكفها عما يكرهه الله تعالى. تفسير السعدي (١/ ٤٥٧)

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

ماذا تقول لربك غدًا

الحلقة الثانية

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وبعد،

نواصل بفضل الله تعالى الحديث عن هذا اللقاء الصعب يوم القيامة؛ عندما تقف بين يدي ربك ليسألك عن حقوقه وحقوق خلقه، فماذا أنت قائل لربك؟

١ - السؤال عن العهود:

- هذا الحق بينك وبين الله عز وجل من العهود وبينك وبين الناس من عهود ومواثيق تُسأل لماذا لم تف بها؟

قال تعالى:(وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) (الإسراء: ٣٤).

- قوله تعالى:«وأوفوا بالعهد» أي ومما أوصاكم به أن توفوا بعهودكم التي بينكم وبين ربكم وبينكم وبين سائر الناس مؤمنهم وكافرهم فلا يحل لكم أن لا توفوا بالعهد وأنتم قادرون على الوفاء بحال من الأحوال. وقوله:«إن العهد كان مسئولاً» تأكيد للنهي عن نكث العهد إذ أخبر تعالى أن العبد سيسأل عن عهده الذي لم يف به يوم القيامة، ومثل العهد سائر العقود من نكاح وبيع وإيجار وما إلى ذلك لقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود» أي العهود. (أيسر التفاسير(١٩٣/٣)).

٢ - السؤال عن حقوق النبي صلى الله عليه وسلم:

- من أوائل الخلق الذي يسألك الله عز وجل عنه يوم القيامة هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهل قمت بحقوقه؟

- روى مسلم في صحيحه (١٢١٨) عن جابر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال في آخر خطبته يوم عرفة مخاطبا لجموع المسلمين: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللَّهُمَّ، اشْهَدْ، اللَّهُمَّ، اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

- سيسألك ربك عن نبيك محمد ماذا أجبته؟ كما قال عليه الصلاة والسلام: (إنكم مسئولون

عني، فماذا أنتم قائلون؟) فأنت مسئول بالدرجة الأولى عن نبيك وعمّا جاء به، فهل اتبعت هذا الرسول الكريم؟ هل امتثلت أمره؟ قال تعالى: « وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ » (النساء:٦٤). (دروس للشيخ مصطفى العدوى (١٤/٢٤)).

- السؤال عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في القبر: أخرج ابن حبان في صحيحه والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إن الميت إذا وضع في قبره إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه...فأخبرنا عمّا نسألك فيقول عم تسألوني فيقال له ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم يعني النبي صلى الله عليه وسلم فيقول أشهد أنه رسول الله جاءنا بالبينات من عند ربنا فصدقنا واتبعنا فيقال له صدقت على هذا حييت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى ويفسح له في قبره مد بصره فذلك قول الله تعالى «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة» (صحيح الترغيب٣٥٦١)

٣- السؤال عن حقوق الرعية:

- عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (البخاري (٨٩٣)، مسلم (١٨٢٩)).

- جَاءَ في حَدِيثِ أَنَسٍ مثل حديث بن عُمَرَ فَزَادَ في آخره فَأَعَدُّوا لِلْمَسْأَلَةِ جَوَابًا قَالُوا وَمَا جَوَابُهَا قَالَ أَعْمَالُ الْبِرِّ.أخرجه ابن عدي والطبراني في الأوسط وسَنَدُهُ حَسَنٌ.

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ (مَا مِنْ رَاعٍ إِلَّا يُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَقَامَ أَمْرَ اللَّهِ أَمْ أَضَاعَهُ)، وَلِابْنِ عَدِيٍّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَنَسٍ (إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ حَفِظَ ذَلِكَ أَوْ ضَيَّعَهُ). فتح الباري(١٣/١١٢).

- الرَّاعِي هُوَ: الْحَافِظُ الْمُؤْتَمَنُ الْمُلْتَزِمُ صَلَاحَ مَا اؤْتُمِنَ عَلَى حِفْظِهِ فَهُوَ مَطْلُوبٌ بِالْعَدْلِ فِيهِ وَالْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِ.

- قَالَ الطِّيبِيُّ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الرَّاعِيَ لَيْسَ مَطْلُوبًا لِذَاتِهِ وَإِنَّمَا أُقِيمَ لِحِفْظِ مَا اسْتُرْعِيَهُ الْمَالِكُ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَتَصَرَّفَ إِلَّا بِمَا أَذِنَ الشَّارِعُ فِيهِ.

- قَالَ الْخَطَّابِيُّ: اشْتَرَكُوا أَيِ الْإِمَامُ وَالرَّجُلُ وَمَنْ ذُكِرَ فِي التَّسْمِيَةِ أَيْ فِي الْوَصْفِ بِالرَّاعِي وَمَعَانِيهِمْ مُخْتَلِفَةٌ فَرِعَايَةُ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ - الأمير - حِيَاطَةُ الشَّرِيعَةِ بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ وَالْعَدْلِ فِي الْحُكْمِ وَرِعَايَةُ الرَّجُلِ أَهْلَهُ سِيَاسَتُهُ لِأَمْرِهِمْ وَإِيصَالُهُمْ حُقُوقَهُمْ وَرِعَايَةُ الْمَرْأَةِ تَدْبِيرُ أَمْرِ الْبَيْتِ وَالْأَوْلَادِ وَالْخَدَمِ وَالنَّصِيحَةُ لِلزَّوْجِ فِي كُلِّ ذَلِكَ وَرِعَايَةُ الْخَادِمِ حِفْظُ مَا تَحْتَ يَدِهِ وَالْقِيَامُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ خِدْمَتِهِ. فتح الباري (١٣/١١٢).

- قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ) (التحريم:٦).

- أخبر صلى الله عليه وسلم من حيث العموم بأن كل إنسان لابد أنه راع ولو على نفسه أو أهله، ولو على ولده أو امرأته أو ما أشبه ذلك، وإذا كان كذلك فإن عليه حفظ هذه الرعية ومراقبتها، والإتيان بكل ما فيه مصلحتها، وكذلك -أيضاً- يشعر بأنه مسئول عن هذه الرعية، وهذا السؤال إنما يكون حقاً في الدار الآخرة، فعليه أن يستحضر هذه المسئولية والسؤال إذا كان في الآخرة فإنه يكون من الله تعالى، ولابد أن يكون ذلك السؤال سؤال مناقشة عن هذه الرعية: لماذا أهملتها؟ ولماذا أضعت من اؤتمنت عليه؟ ولماذا لم تنصح لها؟ ولماذا لم تولها حق الحفظ وحق المراقبة؟ فهذه المناقشة لابد أن يعد لها جواباً، فكل سؤال يحتاج إلى جواب، والأسئلة كثيرة، والناقد بصير.(دروس للشيخ ابن جبرين (٣/١١)).

- عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ الْمُزَنِيِّ قال:قال: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» صحيح مسلم (١٤٢).

٤- السؤال عن حقوق العباد وأهمها الدماء:

- قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣). لم يرد في أنواع الكبائر أعظم من هذا الوعيد، بل ولا مثله، ألا وهو الإخبار بأن جزاءه جهنم، أي: فهذا الذنب العظيم قد انتهض وحده أن يجازى صاحبه بجهنم، بما فيها من العذاب العظيم، والخزي المهين، وسخط الجبار. وفوات الفوز والفلاح، وحصول الخيبة والخسار فعياذًا بالله من كل سبب يبعد عن رحمته. (السعدي (١٩٣)).

- عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»صحيح البخاري (٦٨٦٤) صحيح مسلم (١٦٧٨)

- قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ) فيه تَغْلِيظُ أَمْرِ الدِّمَاءِ وَأَنَّهَا أَوَّلُ مَا يُقْضَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَذَا لِعِظَمِ أَمْرِهَا وَكَثِيرِ خَطَرِهَا. شرح النووي(١١/١٦٧).

- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ وَأَوْدَاجُهُ تَشْخَبُ دَمًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ، قَتَلَنِي هَذَا، حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنَ الْعَرْشِ (سنن الترمذي (٣٠٢٩) وصححه الألباني).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكَبَّهُمُ اللهُ فِي النَّارِ» (سنن الترمذي (١٣٩٨)وصحيح الجامع (٥٢٤٧).

- لو اشْتَرَكَ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ (فِي دَمِ مُؤْمِنٍ) أَيْ: إِرَاقَتِهِ وَالْمُرَادُ قَتْلُهُ بِغَيْرِ حَقٍّ (لَأَكَبَّهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ) أَيْ: صَرَعَهُمْ فِيهَا وَقَلَبَهُمْ. مرقاة المفاتيح(٦/٢٢٦٨)

- فاحذر من الوقوع في هذه الكبيرة! القتل بأي طريقة أو مشاركة بأي وسيلة من قول ولو بنصف كلمة (أق) أو فعل أو إشارة أو كتابة لأن الدال على الشر كفاعله.

٥- السؤال عن آداب وحقوق تنبغي على المسلم:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي. صحيح مسلم (٢٥٦٩).

- النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بعيادة المريض، وهي سنة عظيمة متأكدة والله سبحانه يسأل العبد يوم القيامة عن تركه لزيارة المريض، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أن الله سبحانه يقول للعبد يوم القيامة: مرضت فلم تعدني. (شرح رياض الصالحين، حطيبة (٢/٨٤)).

- أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟) فالمقصود أن الإنسان إذا مرض فالله سبحانه عنده، مع أن الله فوق سماواته، بائن من خلقه سبحانه، وهو عند هذا الإنسان بسمعه وبصره وقدرته ورحمته وإجابة الدعوة، فإذا ذهبت وجدت رحمة الله سبحانه، ووجدت ملائكة الله سبحانه، ووجدت الأجر العظيم من الله سبحانه.(شرح رياض الصالحين، حطيبة (٩/٨٣)).

- إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مُعَاتِبًا لِابْنِ آدَمَ فِي تِلْكَ الْأَحْوَالِ بِمَا قَصَّرَ فِي حَقِّ أَوْلِيَائِهِ.«يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي» أَرَادَ بِهِ مَرَضَ عَبْدِهِ، وَإِنَّمَا أَضَافَ إِلَى نَفْسِهِ تَشْرِيفًا لِذَلِكَ الْعَبْدِ، فَنَزَّلَهُ مَنْزِلَةَ ذَاتِهِ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ مَنْ عَادَ مَرِيضًا لِلَّهِ فَكَأَنَّهُ زَارَ اللهَ «قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ» كَيْفَ تَمْرَضُ مَكَانَ كَيْفَ أَعُودُكَ؟! قُلْنَا: عَدَلَ عَنْهُ مُعْتَذِرًا إِلَى مَا عُوتِبَ عَلَيْهِ. وَهُوَ مُسْتَلْزِمٌ لِنَفْيِ الْمَرَضِ. «قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ

أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي»أَيْ: لَوَجَدْتَ رِضَائِي (عِنْدَهُ؟)؛ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ لِلْعَجْزِ وَالانْكِسَارِ عِنْدَهُ تَعَالَى مِقْدَارًا وَاعْتِبَارًا...(يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ) أَيْ: طَلَبْتُ مِنْكَ الطَّعَامَ. (فَلَمْ تُطْعِمْنِي؟. قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟!) أَيْ: وَالْحَالُ أَنَّكَ تُطْعِمُ وَلَا تُطْعَمُ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ قَوِيٌّ عَلَى الْإِطْلَاقِ، (قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ) أَيِ: الشَّأْنُ.«اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ» أَيْ: ثَوَابَ إِطْعَامِهِ. (عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ) أَيْ: طَلَبْتُ مِنْكَ الْمَاءَ. (فَلَمْ تَسْقِنِي قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَسْقِيكَ). (وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟!) أَيْ: مُرَبِّيهِمْ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فَضْلًا عَنِ الطَّعَامِ وَالْمَاءِ. (قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟)؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ. (مرقاة المفاتيح (٣/١١٢٣)).

٦- السؤال عن تغيير المنكر:

- عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَسْأَلَهُ: مَا مَنَعَكَ إِذَا رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ تُنْكِرَهُ؟ فَإِذَا لَقَّنَ اللَّهُ الْعَبْدَ حُجَّتَهُ قَالَ: يَا رَبِّ رَجَوْتُكَ وَفَرِقْتُ مِنَ النَّاسِ. (سنن ابن ماجه (٤٠١٧)، صحيح الجامع (١٨١٨)).

- (إن الله تعالى ليسأل العبد يوم القيامة) عن كل شيء (حتى يسأله ما منعك إذا رأيت المنكر) هو كل ما قبحه الشرع (أن تنكره) فمن رأى إنسانا يفعل معصية أو يوقع بمحرم محذورا ولم يُنكر عليه مع القدرة فهو مسؤول عنه في القيامة معذب عليه إن لم يدركه العفو الإلهي (فإذا لقن الله العبد حجته أي ألهمه إياها (قال يا رب رجوتك) أن تسامحني من الرجاء وهو التوقع والأمل (وفرقت) أي خفت (من الناس) أي من أذاهم قال البيهقي هذا فيمن يخاف سطوتهم ولا يستطيع دفعها عن نفسه وإلا فلا يقبل الله معذرته بذلك. (فيض القدير (٢/٢٦٢)).

- قال تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (آل عمران: ١١٠).

- عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ». صحيح مسلم (٤٩).

- هذه الآية الكريمة مع الحديث الشريف يتضح أن خيرية وكرامة وسعادة وتقدم الأمة الإسلامية كلها وذلك بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ كل بحسب طاقته كما حدد بذلك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- (بيده)، والتغيير باليد لمن له سلطة. مثل سلطة الحاكم على المحكومين، وسلطة الوالد على الأولاد ما لم يكبروا، وسلطة كل راع في رعيته: (كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته) فالمدير في إدارته، والناظر في مدرسته، والأستاذ في فصله، كل إنسان مسئول عمن استرعاه الله أمره.إذاً: يغيّر الإنسان المنكر بيده في حدود سلطته وسلطانه، أما إذا لم يكن في سلطانه فلا يتعطل الأمر بل ينتقل: (فإن لم يستطع بأن كان خارجاً عن سلطانه، أو لم يخول إليه فبلسانه) شرح الأربعين النووية لعطية سالم (٥٧/١١).

لذا فإن درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتمثل في ثلاثة أقسام: القسم الأول: من عنده العلم والسلطة فهذا يغير المنكر بيده، وذلك مثل ولاة الأمور، ومثل رجال الهيئات والحسبة؛ الذين نصبهم ولي الأمر للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهؤلاء يغيرون بأيديهم بالطريقة الحكيمة المشروعة. القسم الثاني: من عنده علم وليس عنده سلطة؛ فهذا يغير بلسانه، بأن يبين للناس حكم الحلال والحرام والمعروف والمنكر، ويأمر وينهى ويرشد ويعظ وينصح، هذا من الإنكار باللسان.القسم الثالث: من ليس عنده علم وليس عنده سلطة، ولكنه مسلم، فهذا عليه أن يُنكر المنكر بقلبه، بأن يكره المنكر ويُبعد نفسه عن الاجتماع بأهل المنكر؛ لئلا يؤثروا عليه. فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة (١/١٢٢).

والحمد لله رب العالمين.

ماذا تقول لربك غداً؟

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد: فتواصل بفضل الله وكرمه الحديث عن هذا اللقاء الصعب وأنت واقف في ساحة الحساب يسألك الملك عن حقوقه وحقوق خلقه والناس تريد أخذ حقها منك كاملاً يوم القصاص، فماذا أنت فاعل؟!

الحلقة الثالثة

إعداد/ صلاح عبد الخالق

يوم القيامة هو يوم إعادة الحقوق لأصحابها:

- الحقوق التي لم يحصلوا عليها في الدنيا يوم العدل الأكبر قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (غافر: ١٧)، وفي هذا رسائل للمظلوم رسائل طمأنينة بأن حقك لن يضيع مهما طال الزمن لأن كل شيء مسجل بالصوت والصورة وبالشهود.

- قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المجادلة: ٦)،

ورسائل للظالم توقف عن ظلمك، وأعط الناس حقوقهم؛ لأنك لن تستطيع أن تفلت من عقاب الله العادل المنتقم.

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ» صحيح مسلم (٢٥٨٢).

- ففي هذا الحديث أقسم النبي صلى الله عليه وسلم -وهو الصادق المصدق بغير قسم- أقسم أن الحقوق ستؤدى إلى أهلها يوم القيامة ولا يضيع لأحد حق الحق الذي لك إن لم تستوفه في الدنيا استوفيته في الآخرة، حتى إنه يُقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء الجلحاء التي ليس لها قرن، والقرناء التي لها قرن والغالب أن التي لها قرن إذا ناطحت الجلحاء التي ليس لها قرن تؤذيها أكثر، فإذا كان يوم القيامة قضى الله بين هاتين الشاتين واقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء هذا وهن بهائم لا يعقلن ولا يفهمن، لكن الله عز وجل حكم عدل أراد أن يُري عباده كمال عدله حتى في البهائم العجم فكيف ببني آدم.

(شرح رياض الصالحين لابن عثيمين: ١/ ٢٤١).

كيف يأخذ الناس حقوقهم يوم القيامة؟

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» مسلم (٢٥٨١).

- مَعْنَاهُ أَنَّ هَذَا حَقِيقَةُ الْمُفْلِسِ، وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ مَالٌ وَمَنْ قَلَّ مَالُه، فَالنَّاسُ يُسَمُّونَهُ مُفْلِسًا، وَلَيْسَ هُوَ حَقِيقَةَ الْمُفْلِسِ ؛ لأَنَّ هَذَا أَمْرٌ يَزُولُ، وَيَنْقَطِعُ بِمَوْتِه، وَرُبَّمَا يَنْقَطِعُ بِيَسَارٍ يَحْصُلُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي حَيَاتِه، وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ الْمُفْلِسِ هَذَا الْمَذْكُورُ فِي الْحَدِيثِ فَهُوَ الْهَالِكُ الْهَلاَكَ التَّامَّ، وَالْمَعْدُومُ الإِعْدَامَ الْمُقَطَّعَ، فَتُؤْخَذُ حَسَنَاتُه لِغُرَمَائِه، فَإِذَا فَرَغَتْ حَسَنَاتُه أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ، فَوُضِعَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ فَتَمَّتْ خَسَارَتُه وَهَلاَكُه وَإِفْلاَسُه. شرح النووي (٣٨٨/٨).

- إذا كان يوم القيامة كانت ثروة الإنسان ورأس ماله حسناته، قام بأعمال صالحة كثيرة وعظيمة من صلاة وصيام وزكاة وغيرها من الأعمال الصالحة التي لها حسنات أمثال الجبال الضخمة العالية البيضاء ، ومع هذا ظلم خلق الله تعالى حقوقهم وأذاهم وكل واحد من هؤلاء المظلومين يُريد حقه الذي لم يستطع أخذه في الدنيا يطلبه يوم القيامة منك أمام الملك الديان.

- قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ (الفرقان: ٢٣).

- عَنْ ثَوْبَانَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا". سنن ابن ماجه (٤٢٣٥) صحيح الجامع (٧١٧٤).

- فكل أنواع الايذاء تدخل في هذا الحديث.

- هذا الحديث يبين خطورة إيذاء الناس باللسان عن طريق السب والشتم والغيبة والنميمة والقذف، وانتهاك أعراض الناس، فيأتي:

١- «وقذف هذا» والقذف قد يكون أعم من معناه الشرعي مما يتعلق بالعرض، فيراد به القذف العام: وهو رمي الإنسان بما ليس فيه، أو يراد به القذف الخاص: وهو قذف العرض، وكلا المعنيين كثير بين الناس. دروس للشيخ سفر الحوالي (١٦/٤٨).

٢- وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا: قد انتشر الشتم بين المسلمين انتشار النار في الهشيم خاصة بين الأطفال والشباب.

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ» البخاري (٥٩٧٣).

فكل من آذيته بلسانك من سب أو قذف أو غيبة أو... يأخذ حقه حسناتك أو يُعطيك من سيئاته

وأذية الناس باليد فمثلا:

١. ضَرْبُ هَذَا:

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ ضَرَبَ بِسَوْطٍ ظُلْمًا اقْتُصَّ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». صحيح الجامع (٦٣٧٤) البخاري في الأدب المفرد (١٨٥).

- والذي يعتدي على غيره بالضرب، يقتص منه بالضرب في يوم القيامة. القيامة الكبرى (١٨٥/١).

ب- عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ يُكَذِّبُونَنِي وَيَخُونُونَنِي وَيَعْصُونَنِي، وَأَشْتُمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟

قَالَ: «يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَّبُوكَ وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافًا، لاَ لَكَ وَلاَ عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلًا لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ». قَالَ: فَتَنَحَّى الرَّجُلُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: " أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ» الأنبياء: ٤٧". فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَجِدُ لِي

وَلَهُمْ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ، أُشْهِدُكَ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ. (الترمذي (٣١٦٥) وصححه الألباني).

٢- أكل مال هذا بالباطل:

- بعض الناس لا يمنعه أن يأكل أموال المسلمين، وإن كانوا أيتاماً وغش في البيع والشراء، ويأخذ أموال الناس ولا يريد سدادها، والرشوة والسرقة، والتحايل والمعاملات المالية وفي ذلك حدث ولا حرج.

-قال تعالى: «وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» (المطففين: ١- ٦).

- عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دِينَارٌ أَوْ دِرْهَمٌ قُضِيَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ" سنن ابن ماجه (٢٤١٤)،صحيح الجامع (٦٥٤٦).

٣- سفك دم هذا:

احذر أخي المسلم يوم القيامة من تقتله في الدنيا لن يتركك في الآخرة، بل هو لك بالمرصاد يبحث عنك ويأخذك من رأسك ويقدمك للمحاكمة العادلة ليأخذ حقه من رصيدك أو يعطيك من سيئاته.

ما الحل؟

التوبة الصادقة إلى الله تعالى:

قال تعالى: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (النور: ٣١).

ومن أهم علاماتها إذا كانت في حق العباد عودة الحقوق إلى أصحابها سريعا اليوم قبل الغد لقوله صلى الله عليه وسلم، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ لأنك لا تدري متى يأتيك الموت، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ» البخاري (٢٤٤٩)، وقوله (من عرضه أو شيء) أي من الأشياء فيدخل فيه المال بأصنافه والجراحات حتى اللطمة ونحوها. فتح الباري (٥/١٠١).

أ- إن تعلق بها حق مالي كمنع الزكاة والغصب والجنايات في أموال الناس وجب مع ذلك تبرئة الذمة عنه بأن يؤدي الزكاة، ويرد أموال الناس إن بقيت ويُغرم بدلها إن لم تبق أو يستحل المستحق فيبرئه، ويجب أن يعلم المستحق إن لم يعلم به وأن يوصله إليه إن كان غائبا إن كان غصبه منه هناك، فإن مات سلمه إلى وارثه، فإن لم يكن له وارث وانقطع خبره دفعه إلى قاض ترضى سيرته وديانته فإن تعذر تصدق به على الفقراء بنية الغرامة له إن وجده. ذكره العبادي في الرقم والغزالي في غير كتبه الفقهية.

وإن كان معسرا نوى الغرامة إذا قدر فإن مات قبل القدرة فالمرجو من فضل الله تعالى المغفرة. روضة الطالبين للنووي (١١/٢٤٦).

ب- أما التحلل من الأعراض إذا ذهبت إلى شخص وقلت له: أنا اغتبتك فسامحني، فليست كل النفوس تتسع لهذا الكلام، وانما هناك أناس صدورهم متسعة يفرحون بذلك منك، ويدعون الله لك بالتوفيق وبالمغفرة، وهناك أقوام يدخل لهم الشيطان بضعف في قلوبهم فيسألونك: أمام من اغتبتنا؟ ماذا قلت في حقنا؟ ويفتحون معك مسائل فتشوش أنت عليهم فكرهم، وتزيدهم هماً إلى الهم الذي وقع عليهم بسبب اغتيابك لهم.

ففي هذا المقام ترجع المسألة إلى مسألة المفاسد والمصالح، فحيث رجي من التحلل خير قدمت على التحلل، وحيث لا يرجى من التحلل خير اكتفيت بالثناء الحسن على من اغتبته، والاستغفار له، والتصدق من أجله إن شئت، فكل ذلك عمل صالح يكفر الله به عنك خطاياك، وقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ» (هود:١١٤). دروس للشيخ مصطفى العدوي(٢٤/١١).

والحمد لله رب العالمين.

جزاء الصائمين

رمضان كريم

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الصيام؛ بها يسعد الإنسان في الدنيا ويوم الزحام، ويُظَلّ بعرش الرحمن، ويُسقَى من ماء الريان، ويدخل الجنة بسلام وأمان، والصلاة والسلام على أفضل من صلى وصام وعبد ربه وقام.

الصيام والصيف:

لا شك أن الصيام في الصيف شاق، ونشعر بألم العطش الشديد من شدة الحرارة وطول اليوم والشمس بعيدة عنا جدا، فما بالنا بالعطش الأكبر يوم القيامة وطوله الذى يصل إلى خمسين ألف سنة؟!

عن الْمِقْدَاد بْن الْأَسْوَد، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَة مِنَ الْخَلْق، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ» - قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ - قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ. صحيح مسلم (٢٨٦٤).

- عن سلمان رضي الله عنه قال: تُعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تُدنى من جماجم الناس. صحيح الترغيب (٣٦٣٨).

- شمس يوم القيامة تُعطى حر عشر سنين مع اقترابها من رءوس الخلق؛ فينفجر العرق من كل مكان في جسم الإنسان كلٌ بحسب عمله؛ فما المخرج في هذا اليوم العصيب؟ المخرج: من هذه المنجيات بإذن الله تعالى الإكثار من الصوم والتأدب بآدابه.

-إِنَّ فِي الْجَنَّة بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ:

عَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، قَالَ: « إِنَّ فِي الْجَنَّة بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَة، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ». رواه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢).

تعليق:

أ- الريان اسم علم على باب من أبواب الجنة يختص بدخول الصائمين منه، مُشتق من الري وهو مناسب لحال الصائمين، قال القرطبي اكتفى بذكر الري عن الشبع لأنه يدل عليه من حيث إنه يستلزمه قلتُ: أو لكونه أشق على الصائم من الجوع.

فتح الباري (١١١/٤).

ب- لما كان في الصوم من الصبر على ألم العطش والظمإ في الهواجر إعلامًا لمن تكلف ذلك بما يخص هذا من الدعاء من هذا الباب الذي يدل على الثواب الجزيل والله أعلم. المنتقى شرح الموطأ (٢١٨/٣).

ج- أفرد لهم هذا الباب ليسرعوا إلى الري من عطش الصيام في الدنيا إكرامًا لهم واختصاصًا؛ وليكون دخولهم في الجنة هينًا غير متزاحم عليهم عند أبوابها، فإن الزحام قد يؤدي إلى نوع من العطش. (التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٨/١٣) لابن الملقن).

د- يُقالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟

يوم القيامة يوم العطش الأكبر تُنادي الملائكة على الصائمين أين الصائمون؟ أين الصائمون؟ تعالوا تعالوا أُدخلوا الجنة من باب الريان:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: « مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» رواه البخاري (١٨٩٧)،مسلم (١٠٢٧).

- فقال أبو بكر رضي الله عنه طامعاً في فضل الله تعالى: «فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب؟»، ومعناه أنه تساءل قائلاً « فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم « أي يُوجد من المؤمنين من يُدعى من أبواب الجنة الثمانية لكثرة عباداته وتنوعها واختلافها «وأرجو أن تكون منهم»؛ لاجتهادك في كل العبادات وحرصك على جميع الخيرات. منار القاري (٢٠٤/٤).

٥- قصور الصائمين في الجنة:

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَغُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا» فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هِيَ لِمَنْ أَطَابَ الكَلاَمَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» (سنن الترمذي (٢٥٢٧)حسنه الألباني).

- الغُرف بمعنى القصور العالية لأهل الجنة وذكرنا أن الغرفة للإنسان في الدنيا بمعنى المكان العالي الذي يستريح فيه، والمكان الذي هو لأهل الشرف، فالإنسان أشرف الأماكن عنده وأعلى الأماكن عنده الذي يُسمى بالغرفة. فالجنة فيها غُرف في أعالي الجنات، ولهم قصور في أعالي الجنات، فيقول عليه الصلاة والسلام: (إن في الجنة غرفا) هذه الغرف التي لأصحابها تكون مبنية من ذهب ومن فضة، ومع ذلك فإن صاحبها إن كان بداخلها يرى خارجها من خلالها وإذا كان خارجها ينظر إلى داخلها فيرى ما يريده من داخلها. قال: (يُرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها)، كالزجاج فأنت ترى داخل الزجاج من الخارج، أما في الجنة لم يقل لنا من زجاج فالزجاج شيء رخيص في الدنيا، ولكن الجنة مبنية القصور من ذهب، ومع ذلك بلغ من شفافيته وبلغ أن يكون صاحبه بداخل هذا القصر المبني من لبنة من ذهب ولبنة من فضة أن يرى ما خارجه وهو في داخل هذا القصر، فإذا كان في الخارج وأراد أن ينظر في داخل قصره نظر واستمتع بما فيه من حور عين وغيرها! ولما قال النبي صلى الله عليه

وسلم ذلك قام أعرابي تعجب وانبهر مما سمع فقال: (لمن هي يا رسول الله؟! فقال صلى الله عليه وسلم: لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام). (تفسير أحمد حطيبة: ٤/ ٣٤٨).

٦- الحور العين للصائمين في الجنة:

الصائم يُعطى في الجنة ما شاء الله من طعام وشراب ونساء قال الله تعالى: «كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ» (الحاقة: ٢٤)، قال الحسن: تقول الحوراء لولي الله وهو متكئ معها على نهر العسل تعاطيه الكأس: إن الله نظر إليك في يوم صائف بعيد ما بين الطرفين وأنت في ظمأ هاجرة من جهد العطش فباهى بك الملائكة وقال: انظروا إلى عبدي ترك زوجته وشهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي رغبة فيما عندي اشهدوا أني قد غفرت له فغفر لك يومئذ وزوجنيك. (لطائف المعارف: ١٥٨).

٧- مع أفضل خلق الله تعالى في الجنة:

عن عَمْرِو بْنَ مُرَّةَ الْجُهَنِيَّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، أَرَأَيْتَ إِنْ شَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّه، وَصَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَأَدَّيْتُ الزَّكَاةَ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَقُمْتُهُ، فَمِمَّنْ أَنَا؟ قَالَ: «مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ» (صحيح ابن حبان وصحيح الترغيب: ١٠٠٣).

قال تعالى: «وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا» (النساء: ٦٩)، أي: هُمْ مَعَهُمْ في دار واحدة ونعيم واحد يستمتعون برؤيتهم والحضور معهم، لا يساوونهم في الدرجة، فإنهم يتفاوتون لكنهم يتزاورون.

وكل من فيها قد رزق الرضا بحاله. تفسير القرطبي (٥/ ٢٧٢).

من هم الصائمون؟!

قال الشيخ صفوت نور الدين رحمه الله تعالى: فمن هم الصائمون الذين يُرجى لهم أن يتحقق هذا الوعد لهم؟ إن الناظر في النصوص الشرعية يُمكنه أن يفهم أن اسم الصائم يطلق في إحدى ثلاث حالات:-

أولا: من مات في صومه: لحديث جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْه» مسلم (٢٨٧٨).

وعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ « لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه « ابْتِغَاءَ وَجْه اللَّه خُتِمَ لَهُ بِهَا: دَخَلَ الْجَنَّة، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْه اللَّه خُتِمَ لَهُ بِه: دَخَلَ الْجَنَّة، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَة ابْتِغَاءَ وَجْه اللَّه خُتِمَ لَهُ بِهَا: دَخَلَ الْجَنَّةَ « صحيح الترغيب (٩٨٥). فبهذا من مات صائما يُبعث يوم القيامة على هذه الهيئة الحسنة في عبادته لربه، ويتحقق له موعوده من فضله.

الثاني: من كان يُؤدي صوم الفريضة ويُكثر من النوافل فيكون له بالصوم تعلق.

الثالث: أن يكون الصوم له خُلق فهو يصوم بكفّ البطن والفرج عن قضاء الشهوة الحرام، ويصوم بكف النظر واللسان واليد والرجل والسمع والبصر وسائر الجوارح عن الآثام، ويصوم قلبه عن الهمم الدنيئة والأفكار المُبعدة عن الله تعالى؛ وذلك لحديث البخاري (١٩٠٣): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِه، فَلَيْسَ للَّه حَاجَةٌ في أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» إتحاف الأنام بأحكام الصيام ص٢٣.

اللهم أسكنا الفردوس الأعلى من الجنة، والحمد لله رب العالمين.

من هم الشهداء؟

إعداد/ صلاح عبد الخالق

- الشَّهيد: سُمِّيَ بذَلكَ لأَنَّهُ حَيّ ؛ لأَنَّ أَرْوَاحهمْ شَهدَتْ دَار السَّلَام. ولأَنَّ اللَّه تَعَالَى وَمَلَائكته عَلَيْهِمْ السَّلَام يَشْهَدُونَ لَهُ بالْجَنَّة. فَمَعْنَى شَهيد مَشْهُود لَهُ. وَقيل: سُمِّيَ شَهيدًا لأَنَّهُ يَشْهَد عنْد خُرُوج رُوحه مَا لَهُ منْ الثَّوَاب وَالْكَرَامَة وَقيل: لأَنَّ مَلَائكَة الرَّحْمَة يَشْهَدُونَهُ فَيَأْخُذُونَ رُوحه وَقيل: لأَنَّهُ شُهدَ لَهُ الْإيمَان وَخَاتمَة الْخَيْر بظَاهر حَاله. (شرح النووي: ٢٦٢/١).

أنواع الشهداء:

شهيد المعركة:

- هو الذي يُقتل في قتال ضد الكفار مُقبلاً غير مُدبر لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، دُون غرض من أغراض الدنيا.

١- عَنْ أَبي مُوسَى رَضيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إلَى النَّبيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يُقَاتلُ للْمَغْنَم، وَالرَّجُلُ يُقَاتلُ للذِّكْر، وَالرَّجُلُ يُقَاتلُ ليُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ في سَبيل اللَّه؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لتَكُونَ كَلمَةُ اللَّه هيَ الْعُلْيَا فَهُوَ في سَبيل اللَّه» صحيح البخاري (٢٨١٠).

٢- عَنْ أَبي قَتَادَةَ، عَنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَامَ فيهمْ فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الْجهَادَ في سَبيل اللَّه، وَالْإيمَانَ باللَّه أَفْضَلُ الْأَعْمَال فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، أَرَأَيْتَ إنْ قُتلْتُ في سَبيل اللَّه، تُكَفِّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «نَعَمْ، إنْ قُتلْتَ في سَبيل اللَّه، وَأَنْتَ صَابرٌ مُحْتَسبٌ، مُقْبلٌ غَيْرُ مُدْبر، إلَّا الدَّيْنَ، فَإنَّ جبْريلَ عَلَيْه السَّلَامُ قَالَ لي ذَلكَ» صحيح مسلم (١٨٨٥).

حُكمه: حُكم الشُّهداء في ثواب الآخرة وفي أحكام الدُّنيا:

١- لا يُغسَّل: قال الألباني: لا يشرع غسل الشهيد قتيل المعركة، ولو اتفق أنه كان جنبا، وفي ذلك أحاديث منها» عَنْ جَابر، قَالَ: قَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «ادْفنُوهُمْ في دمَائهمْ» - يَعْني يَوْمَ أُحُد - وَلَمْ يُغَسِّلْهُمْ. صحيح البخاري (١٣٤٦) (وفي رواية) فقال: أنا شهيد على هؤلاء، لفوهم في دمائهم، فإنه ليس جريح يجرح (في الله) إلا جاء وجرحه يوم القيامة يدمي، لونه لون الدم، وريحه ريح المسك « أحكام الجنائز (٥٤/١).

٢- حكم الصلاة على الشهيد: الشهداء الذين قُتلوا أو

ماتوا في المعركة في سبيل الله الإمام مُخيّر فيهم، إن شاء صلى عليهم، وإن شاء ترك، والصلاة أفضل. موسوعة الفقه الإسلامي (٦٧٣/٢).

شهيد الآخرة:

شَهيد في الثَّواب دُون أَحْكَام الدُّنْيَا وَهُوَ الْمَبْطُون، وَالْمَطْعُون، وَصَاحب الْهَدْم، وَمَنْ قتل دُونَ مَاله، وَغَيْرهمْ ممَّنْ جَاءَتْ الْأَحَادِيث الصَّحِيحَة بتَسْمِيَته شَهِيدًا فَهَذَا يُغَسَّل وَيُصَلَّى عَلَيْه وَلَهُ فِي الْآخِرَة ثَوَاب الشُّهَدَاء. (شرح النووي على مسلم: ٢٦٢/١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ: «إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ»، قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ» صحيح مسلم (١٩١٥).

- قال العُلَماء: وَإِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَوْتَات شَهَادَة بتَفَضُّل اللَّه تَعَالَى بسَبَب شِدَّتهَا وَكَثْرَة أَلَمهَا. (شرح النووي: ٣٩٧/٦).

- قال ابن التين: هذه كلها ميتات فيها شدة تفضل الله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأن جعلها تمحيصا لذنوبهم وزيادة في أجورهم يبلغهم بها مراتب الشهداء. (فتح الباري: ٤٤/٦).

هيا بنا نحاول أن نطوف حول بعض شهداء الآخرة لكثرة انتشارها في الآونة الأخيرة:

١- من مات بسبب مرض الطاعون شهيد:

-عن أَنَس بْنُ مَالِك رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِم» صحيح البخاري (٥٧٣٢) وصحيح مسلم (١٩١٦).

أي أن في الإصابة بالطاعون ثواباً عظيماً يُضاهي ثواب الشهادة، وأجرها لكل من يُصاب به من المسلمين إذا صبر واحتسب ورضي بقضاء الله. (منار القاري: ٢٢٦/٥)

- خطورة الطاعون وكونه من الأمراض الخبيثة المعدية، وكان يسمى بالموت الأسود وتحصل الإصابة به بواسطة البرغوث حيث يتغذى من فأر مصاب فيمتص دمه الملوث بالبكتيريا، فيلدغ الإنسان ويقذف فيه من ذلك الدم فتنتشر البكتيريا في دمه ويصاب بالطاعون. منار القاري (٢٢٥/٥).

٢- من مات بسبب بطنه:

أ- فهو شهيد: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمَبْطُونُ شَهِيدٌ» البخاري (٥٧٣٣).

- أَمَّا (الْمَبْطُون) فَهُوَ صَاحب دَاء الْبَطْن، وَهُوَ الْإِسْهَال: وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي بِهِ الِاسْتِسْقَاء وَانْتِفَاخ الْبَطْن، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي تَشْتَكِي بَطْنه، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَمُوت بِدَاءِ بَطْنه مُطْلَقًا. شرح النووي (٣٩٧/٦) - المبطون أي: الذي يموت بسبب انتفاخ البطن والسرة. الذي هو ناتج عن الكبد الوبائي، تلف الكبد وانتفاخ البطن. (البدعة وأثرها في محنة المسلمين: ٥/٤).

- المبطون: أجمع غالب العلماء أنها تشمل كل أمراض البطن المؤدية إلى الموت من الإسهال حتى السرطان، وأنتم تدرون ما في البطن من أجهزة وليس جهازا واحدا! (أرشيف ملتقى أهل الحديث ٢(٢٢٢/١٨).

ب- لا يُعذب في قبره: عَبْدَ اللَّه بْنَ يَسَار، قَالَ: رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ يَقْتُلُهُ بَطْنُهُ، فَلَنْ يُعَذَّبَ فِي قَبْرِه» سنن النسائي (٢٠٥٢) سنن الترمذي (١٠٦٤) وصححه الألباني.

- هذا فيه بشارة للإنسان الذي يمرض بمرض من الأمراض الباطنة، -أي: التي تأتي له في بطنه فينتفخ بطنه ويتألم حتى يموت على ذلك، فهذا لا يعذب في قبره، فهذا من علامات حسن الخاتمة أيضاً. شرح رياض الصالحين - حطيبة (١٣٩/٨٨)

-(لم يُعذب في قبره) لأنه لشدته كان كفارة لسيئاته. تحفة الأحوذي (١٤٧/٤).

- وهذا يحمل من أصيب بداء البطن أن يصبر ولا يجزع ويحتسب الأجر عند الله، وأن يحتسبه أهله.

- عن جَابِرَ بْنَ عَتِيكٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ؟» قَالُوا: الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ: الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدٌ» سنن أبي داود (٣١١١)، وسنن النسائي (١٨٤٦) وصححه الألباني.

- في هذا الحديث بعض أسباب الموت التي في حُكم الشهادة في سبيل الله تعالى والتي منها:

٣- صاحب ذات الجنب شهيد:

أ- (وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ) وَهِيَ قُرْحَةٌ أَوْ قُرُوحٌ تُصِيبُ الْإِنْسَانَ دَاخِلَ جَنْبِهِ ثُمَّ تُفْتَحُ وَيَسْكُنُ الْوَجَعُ وَذَلِكَ وَقْتُ الْهَلَاكِ، وَمِنْ عَلَامَاتِهَا الْوَجَعُ تَحْتَ الْأَضْلَاعِ وَضِيقُ النَّفَسِ مَعَ مُلَازَمَةِ الْحُمَّى وَالسُّعَالِ وَهِيَ فِي النساء أكثر. عون المعبود (٢٦٢/٨).

ب- الموت بذات الجنب، مرض يكون في أضلاع الإنسان كأنه خراريج داخلية في أضلاعه، فهو كالورم يعرض في الغشاء المبطن لأضلاع صدر الإنسان فيموت بسببه. شرح رياض الصالحين - حطيبة(١٣٩/٨٨).

٤- الغريق شهيد:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ غَرِقَ فَهُوَ شَهِيدٌ» مسلم (١٩١٥).

- اختلف أهل العلم فيمن ركب البحر عاصيا بركوبه، كأن كان الغالب فيه عدم السلامة، أو ركبه لإتيان معصية من المعاصي، فغرق هل يعد شهيدا أم لا؟ على قولين. فمنهم من قال: إنه لا يُعد شهيدا، ومنهم من استظهر أنه شهيد ما لم يمت وهو يُقارف المعصية. موقع الإسلام سؤال وجواب (٤٥٦١/٥).

٥- صاحب الهدم شهيد:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » صحيح البخاري (٢٨٢٩).

حكم إطلاق لفظ الشهيد على المتوفى بسبب حادث سيارة؟

يُرجى لهم الشهادة؛ لأنهم من جنس صاحب الهدم صاحب الهدم شهيد، وصاحب حادث بالسيارة الذي يصدم، أو تنقلب به السيارة حتى يموت هو من جنس صاحب الهدم، نرجو له الشهادة. فتاوى نور على الدرب (٤٧٠/١٣)

٦- الحريق شهيد:

- عن جَابِرَ بْنَ عَتِيكٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، » سنن أبي داود (٣١١١)، (وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ) أَيِ الْمُحْرَقُ وَهُوَ الَّذِي يَمُوتُ بِالْحَرْقِ. عون المعبود (٢٦٢/٨).

٧- المرأة الحامل تموت بسببه:

أ- عن جَابِرَ بْنَ عَتِيكٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدٌ. سنن أبي داود (٣١١١)

- تموت بجُمع أشهر ما قيل عنها: التي تموت حاملا جامعة ولدها في بطنها. شرح النووي على مسلم(٦٣/١٣).

ب- عن عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ يَقُولُ: عَادَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: « هَلْ تَدْرُونَ مَنِ الشُّهَدَاءُ مِنْ أُمَّتِي؟ »، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَسَكَتُوا. فَقَالَ: عُبَادَةُ أَخْبِرْنَا يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَالَ: « الْقَتِيلُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالنُّفَسَاءُ شَهِيدٌ يَجُرُّهَا وَلَدُهَا بِسُرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ » (مسند أحمد (٢٢٧٨٤) وصحح إسناده الألباني في أحكام الجنائز ص٣٩).

- المرأة تموت من الولادة وولدها في بطنها قد تم خلقه، وقيل: إذا ماتت من النفاس فهو شهيد سواء ألقت ولدها وماتت، أو ماتت وهو في بطنها. شرح البخاري لابن بطال (٤٤/٥).

٨: موت الغريب شهادة:

أ- له شاهد من حديث ابن عمر عند الدارقطني وصححه: موت الغريب شهادة. انظر فتح الباري (٤٣/٦) ويكون بهذا الشاهد حسنًا. والله أعلم.

القبس في شرح موطأ ملك بن أنس (١/ ٢١٠).
- (موت الغريب) عن وطنه (شهادة) يُعد من درجات شهداء الآخرة. التنوير في شرح الجامع الصغير (١٠/ ٤٣٧).

ب - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَاتَ بِغَيْرِ مَوْلِدِهِ قِيسَ لَهُ مِنْ مَوْلِدِهِ إِلَى مُنْقَطَعِ أَثَرِهِ فِي الْجَنَّةِ» سنن النسائي (١٨٣٢) صححه الألباني.
- هذا يكون ملكه، رجل هاجر من مصر -مثلاً- إلى آخر الدنيا، فراراً بدينه من الفتن، ومات غريباً؛ فإنه يُقاس له في الجنة من موضع مولده إلى موضع وفاته. دروس للشيخ أبو إسحاق الحويني (٣/٩٧).

١٠- الموت بداء السل:

لقوله صلى الله عليه وسلم: «القتل في سبيل الله شهادة، والنفساء شهادة، والحرق شهادة والغرق شهادة، والسل شهادة، والبطن شهادة». حسن إسناده الألباني في أحكام الجنائز، ص٣٩.

١١ - مَن مات مدافعًا عن دينه أو ماله أو أهله:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» سنن الترمذي (١٤٢١) وسنن أبي داود (٤٧٧٢) وصححه الألباني.

من فضائل الشهادة:

١- غفران الذنوب والخطايا بشرط سداد الديون.

٢- النجاة من عذاب القبر:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُقْتَلْهُ بَطْنُهُ فَلَنْ يُعَذَّبَ فِي قَبْرِهِ».

٣- الحياة في الجنة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩- ١٧٠).

- هذه الآيات الكريمة فيها فضيلة الشهداء وكرامتهم، وما منَّ الله عليهم به من فضله وإحسانه، ولفظ: «عند ربهم» يقتضي علو درجتهم، وقربهم من ربهم، «يرزقون» من أنواع النعيم الذي لا يعلم وصفه، إلا من أنعم به عليهم، ومع هذا «فرحين بما آتاهم الله من فله» أي: مغتبطين بذلك، قد قرت به عيونهم، وفرحت به نفوسهم، وذلك لحسنه وكثرته، وعظمته. تفسير السعدي (١/ ١٥٦).

٤- مع أفضل خلق الله في الجنة:

- قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ (النساء: ٦٩- ٧٠). أي: هُمْ مَعَهُمْ في دار واحدة ونعيم واحد يستمتعون برؤيتهم والحضور معهم، لا يساوونهم في الدرجة، فإنهم يتفاوتون لكنهم يتزاورون. وكل مَنْ فيها قد رُزق الرضا بحاله. تفسير القرطبي (٥/ ٢٧٢).

الاحتساب والصبر من شروط تحصيل الأجر:

- عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَهَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ» صحيح البخاري (٥٧٣٤).

يُستفاد من الحديث أيضًا أن من لم يتصف بالصفات المذكورة لا يكون شهيدا ولو وقع الطاعون ومات به فضلاً عن أن يموت بغيره وذلك ينشأ عن شؤم الاعتراض الذي ينشأ عنه التضجر والتسخط لقدر الله وكراهة لقاء الله وما أشبه ذلك من الأمور التي تفوت معها الخصال المشروطة، والله أعلم. فتح الباري (١٠/ ١٩٤).

والحمد لله رب العالمين.

الحلقة الأولى

اليقين بالله سفينة النجاة

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام أهل اليقين وبعد..

فاليقين بالله رب العالمين هو خُلق النبيين وأوليائه المتقين، وعباده الصالحين.

-قال ابن القيم رحمه الله تعالى في مدارج السالكين (٣٧٤/٢): «وَمِنْ مَنَازِلِ «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» مَنْزِلَةُ الْيَقِينِ:

- وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ مَنْزِلَةُ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ.

- وَبِهِ تَفَاضَلَ الْعَارِفُونَ. وَفِيهِ تَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ.

- وَإِلَيْهِ شَمَّرَ الْعَامِلُونَ.

- وَعَمَلُ الْقَوْمِ إِنَّمَا كَانَ عَلَيْهِ وَإِشَارَاتُهُمْ كُلُّهَا إِلَيْهِ.

- وَخَصَّ أَهْلَ الْيَقِينِ بِالْهُدَى وَالْفَلَاحِ مِنْ بَيْنِ الْعَالَمِينَ فَقَالَ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة: ٤- ٥).

- وَأَخْبَرَ عَنْ أَهْلِ النَّارِ: بِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْيَقِينِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ (الجاثية: ٣٢).

- فَالْيَقِينُ رُوحُ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ الَّتِي هِيَ أَرْوَاحُ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ. وَهُوَ حَقِيقَةُ الصِّدِّيقِيَّةِ.

- مَتَى وَصَلَ الْيَقِينُ إِلَى الْقَلْبِ امْتَلَأَ نُورًا وَإِشْرَاقًا. وَانْتَفَى عَنْهُ كُلُّ رَيْبٍ وَشَكٍّ وَسَخَطٍ، وَهَمٍّ وَغَمٍّ. فَامْتَلَأَ مَحَبَّةً لِلَّهِ. وَخَوْفًا مِنْهُ وَرِضًا بِهِ، وَشُكْرًا لَهُ، وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ، وَإِنَابَةً إِلَيْهِ. فَهُوَ مَادَّةُ جَمِيعِ الْمَقَامَاتِ وَالْحَامِلُ لَهَا.

-اليقين في اللغة: (اليقين) العلم الذي لا شك معه، و (في الفلسفة) اطمئنان

النفس إلى حكم مع الاعتقاد بصحته. (المعجم الوسيط (١٠٦٦/٢).

معنى اليقين بالله عند أهل العلم:

- اليقين معناه أن يكون مؤمنا بالله عن جزم وعن يقين، يؤمن بأن الله ربه المعبود بحق، وأنه لا يستحق العبادة سواه، وأنه خالق كل شيء وأنه الكامل، في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ويجب على المؤمن أن يحذر شر لسانه، في تنقص ربه أو نفي صفاته أو التهاون بما أوجب عليه، فيتيقن أنه سوف يجمع الناس يوم القيامة سوف يجازيهم بأعمالهم إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، ويتيقن أن الله سبحانه سوف يفي بوعده سيُدخل المؤمنين الجنة كما وعدهم ويُدخل الكفار النار كما وعدهم سبحانه وتعالى، وهكذا كل ما أخبر الله به ورسوله في القرآن أو بالأحاديث الصحيحة يكون المؤمن مؤمنا بذلك يصدق بذلك ولا يشك في ذلك. (فتاوى نور على الدرب لابن باز(٢٠١/٤).

أولا: من فوائد اليقين في الدنيا:

اليقين بالله تعالى سفينة النجاة من ركب فيها نجا، ومن تركها غرق في بحر الظلمات والفتن.

وإليك بعض الفوائد في الدنيا:

١- النصر والتأييد والحفظ في وقت الشدائد:

- الأمثلة على ذلك كثيرة جداً منها:

أ- النبي صلى الله عليه وسلم والصديق في الغار:

- قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠).

- عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا» رواه البخاري (٣٦٥٣) ومسلم (٢٣٨١).

- هذا صاحب أعلى يقين عرفته الأرض، حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي ما ترك سبباً من الأسباب إلا وأخذ به يوم الهجرة، ومع ذلك تأصلت كل هذه الأسباب في لحظة، فالتف المشركون حول الغار، وهنا يقول الصديق رضوان الله عليه للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله! لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، وهنا يُعلم النبيُ صلى الله عليه وسلم الصديق والأمة من بعده درساً من أغلى دروس اليقين، فليخرج أبو جهل وليخرج المشركون عن بكرة أبيهم؛ ليقلبوا الحجارة، بل ولينقبوا بين حبات الرمال عن النبي وصاحبه، فورب الكعبة لن يصلوا إليهما أبداً، لماذا؟ لقول الحبيب: (إن الله معنا) دروس للشيخ محمد حسان (١٣/٦٣).

ب- موسى عليه السلام بين البحر وفرعون وجنوده:

- وقف موسى عليه الصلاة والسلام البحر أمامه والعدو وراءه ومعه أمة خرجت ذليلة لله، مُستجيبة لأمر الله، فوقف أمام البحر فلما قال له بنو إسرائيل «إِنَّا لَمُدْرَكُونَ» قال واليقين معمور به قلبه ومليءٌ به فؤاده: «قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ» كلا؛ لا أدرك ولا أهان ومعي الواحد الديان، ففي طرفة عين تنزلت أوامر الله «أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ»، وإذا بتلك الأمواج المتلاطمة العظيمة تنقلب في طرفة عين إلى أرض يابسة، وإذا به على أرض لا يخاف دركاً فيها ولا يخشى، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ (الشعراء: ٦١- ٦٦)، سبحان الله! بحر عظيم؛ وفي طرفة عين تنقلب أمواجه إلى صفحة لا يجد فيها رذاذ الماء، ويضرب لهذه الأمة المستضعفة الموقنة بالله جل وعلا طريقاً في ذلك البحر لا يخاف دركاً ولا يخشى، كل ذلك باليقين بالله. (دروس للشيخ

محمد المختار الشنقيطي(٣/٢٧).

ج: أم موسى عليهما السلام:

- أم موسى كان اليقين يملأ قلبها بما عند الله تبارك وتعالى، قال الله عنها: « وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا » (القصص:١٠) أي: من كل شيء إلا من محبة ابنها فقد ملأت شغاف قلبها، وبرغم هذا ألهمها الله عز وجل بقوله: « وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ » (القصص:٧)، ومعلوم أن المرأة إذا خافت على ولدها تضمه إلى صدرها، فما بال أم موسى تُلقيه إلى البحر؟! وذلك ليقينها بما عند الله عز وجل، فهي مثل عالٍ في اليقين، وفي التوكل على الله عز وجل، وفي الثقة به سبحانه وتفويض الأمر إليه.

-كانت نتيجة اليقين بالله أن نجى الله تعالى وليدها من القتل بل عاد إليها لتربيه في أمان؛ قال الرحمن:(فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (القصص: ١٣).

٢- الهدى والفلاح:

قال تعالى: (ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝١ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ) (لقمان: ٤-٥)، كأن الهدى مركب ينجون به من الهلاك، أو سفينة ينجون بها من الغرق؛ فهم متمكنون غاية التمكن من الهدى؛ لأنهم عليه؛ و«من ربهم» أي خالقهم المدبر لأمورهم؛ والربوبية هنا خاصة متضمنة للتربية الخاصة التي فيها سعادة الدنيا والآخرة. (تفسير القرآن للعثيمين (٩/٣).

أهل اليقين كتب الله تعالى لهم الهداية والتوفيق والفوز والنجاح في كل ما يُحبونه من أمور الدنيا والآخرة.

٣- صلاح الأمة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « صَلَاحُ أَوَّلِ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِينِ،وَهَلَاكُ آخِرِهَا بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ. صحيح الجامع (٣٨٤٥).

- فصلاح أمر هذه الأمة كان بالزهد واليقين، أي: بالزهد في الدنيا، واليقين فيما عند الله سبحانه.بأن يكون الإنسان زاهداً، وفي قلبه يقين بأن ما كتب له لا بد أن يأتيه، وأنه لن تفلت منه الدنيا التي كتبها الله عز وجل له. ولذلك فهو لا يَحسد الناس؛ لأن الشيء الذي آتاه الله عز وجل لغيره لو أراد أن يؤتيه إياه لآتاه، فهو على يقين بأن الله لو أراد أن يُعطيه هذا الشيء لأعطاه إياه، فلا ينظر إلى غيره نظرة حسد، ولا يتسخط لأن الله أعطى هذا الشيء لغيره، ولم يؤته هو؛ لأنه واثق بأن الله لن يؤتيه إلا الخير، ولا يمنع عنه إلا الضير.فكان صلاح الأوائل بسبب زهدهم ويقينهم. (٣/٥٢). فصلاح أول هذه الأمة وآخرها بالزهد واليقين بالله تعالى.

٤: باليقين بالله تعالى تهون مَصائب الدنيا:

- عن ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لأَصْحَابِهِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا،وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا» (سنن الترمذي (٣٥٠٢) وحسنه الألباني).

- وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا: لأن الدنيا فيها مَصائب كثيرة، لكن هذه المصائب إذا كان عند الإنسان يقين أنه يكفر بها من سيئاته ويرفع بها من درجاته إذا صبر واحتسب الأجر من الله هانت عليه المصائب وسهُلت عليه المحن مهما عظمت سواء كانت في بدنه أو في أهله أو في ماله ما دام عنده اليقين التام فإنه تهون عليه المصائب. (شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٣٦٢/٤).

٥- الإمامة في الدين:

قال الله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا

لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) (السجدة: ٢٤)، «وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» أي: وصلوا في الإيمان بآيات الله، إلى درجة اليقين، وهو العلم التام، الموجب للعمل، وإنما وصلوا إلى درجة اليقين، لأنهم تعلموا تعلمًا صحيحًا، وأخذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين. فما زالوا يتعلمون المسائل، ويستدلون عليها بكثرة الدلائل، حتى وصلوا لذلك، فبالصبر واليقين، تُنَالُ الإمامة في الدين. (تفسير السعدي (١/٦٥٦).

٦- اليقين في الله أفضل من العافية:

قَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، عَلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الأَوَّلِ عَلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: «اسْأَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ» (سنن الترمذي (٣٥٥٨).

- معنى العفو: محو الذنب، ومعنى العافية: السلامة من الأسقام والبلاء، ثم إنه جمع بين عافيتي الدنيا والدين لأن صلاح العبد لا يتم في الدارين إلا بالعفو واليقين فاليقين يدفع عنه عقوبة الآخرة والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه. (فيض القدير (٤/١٤٢)

٧- إجابة الدعاء:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ. (سنن الترمذي (٣٤٧٩) صحيح الجامع (٢٤٥).

- فتح الله الكريم باب الأمل في إجابة الدعاء وذلك لمن تيقن في وعد الله، وأحسن الظن بالله، وتأدب بآداب الدعاء والتي منها حضور القلب؛ لأن القلب هو ملك الأعضاء، وإذا لم يحضر القلب ولم نراع آداب الدعاء كان الدعاء نوعًا من العبث. وليعلم أن الدعاء كله خير وأنه مُجاب.

٨- أهل اليقين ينتفعون بالآيات والبراهين:

- قال تعالى: (وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ) (الذاريات: ٢٠). في الأرض آيات للمُوقنين أي: دلائل واضحة وعلامات ظاهرة من الجبال والبر والبحر والأشجار والأنهار والثمار، وفيها آثار الهلاك للأمم الكافرة المكذبة لما جاءت به رسل الله ودعتهم إليه، وخص الموقنين بالله لأنهم الذين يعترفون بذلك ويتدبرون فيه فينتفعون به. (فتح القدير (٥/١٠١)

٩-راحة البال من الرزق والآجال:

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقًا قَالَ: قَالَ الْمَلَكُ: أَيْ رَبِّ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ « صحيح مسلم (٢٦٤٦).

- قيل للحسن البصري رحمه الله: ما سرّ زهدك في الدنيا يا تقيّ الدين؟! فقال: «أربعة أشياء: علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأنّ قلبي، وعلمت أن عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به، وعلمت أن الله مطّلع عليّ فاستحييت أن يراني على معصية، وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء ربّ العالمين».

ومن ثمرات اليقين بالرزق: البعد عن الحسد والبعد عن أكل الحرام، والقناعة وتفريغ الهم للآخرة.

١٠- تجنب الأمراض النفسية:

- من أعظم ثمرات اليقين بالله تجنب الأمراض النفسية من قلق وخوف وفزع وهم وغمّ قد تؤدي إلى الهلاك وخسارة الدنيا والآخرة كل هذا من قضايا محسومة مُنتهية مثل: قضية الرزق والأجل والنفع والضر والمستقبل كله من عند الله وحده.

- قال إبراهيم بن أدهم لمن رآه مهموماً: إني سائلك عن ثلاث فأجبني: قال سل. قال: هل يجري في ملك الله شيء لا يريده الله؟ قال: لا قال: هل يَنقص من رزقك شيء كتبه لك الله؟ قال: لا، قال: هل يَنقص من أجلك لحظة قدرها الله لك في الحياة؟ قال: لا. قال: فعلام الهمّ إذاً؟.

والحمد لله رب العالمين.

اليقين بالله سفينة النجاة (٢)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد أهل اليقين..

وبعدُ: هيا بنا نحاول أن نركب سفينة النجاة فى وسط أمواج الفتن المتلاطمة التى لا تنتهي حتى ننجو بسلام وأمان ونصل إلى شواطئ الجنة.

اعلم أخى فى الله: أن اليقين بالله للمسلم كالماء والهواء ، فإذا حقق المسلم اليقين بالله حصل السعادة وذاق النعيم فى الدنيا والآخرة.

إعداد/ صلاح عبد الخالق محمد

وقد تكلمنا عن فضائل اليقين بالله فى اللقاء السابق وملخصه:

-أعظم زاد للسائر إلى الله عز وجل اليقين بالله، فهو المثبت على صراط الله حتى يَلقى العبد ربه، فإذا ادلهمت الخُطوب، واحلولك الظلام، وعبست في وجهك الأيام تصدى لذلك اليقين بالله، فصار الحزن فرحاً، والضيق سعة، والعسر يسراً. فأعظم باليقين للمؤمن من دواء، وأنعم به من شفاء. دروس للشيخ محمد المختار الشنقيطي (١٢/٢٧).

ومن الآثار الحسنة لليقين بالله:

أولاً: النجاة من أهوال القبر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ، فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ، غَيْرَ فَزِعٍ، وَلاَ مَشْعُوفٍ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ فِي الإِسْلاَمِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَصَدَّقْنَاهُ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ اللَّهَ؟ فَيَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللَّهَ، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا، وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، وَيُقَالُ لَهُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مُتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السُّوءُ فِي قَبْرِهِ، فَزِعًا مَشْعُوفًا، فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا

الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلاً، فَقُلْتُهُ، فَيُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا، يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مُتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى " سنن ابن ماجه (٤٢٦٨)، صحيح الجامع (١٩٦٨).

(عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ) هَذَا مَقْعَدُكَ لأَنَّكَ كُنْتَ فِي الدُّنْيَا عَلَى الْيَقِينِ فِي أَمْرِ الدِّينِ (وَعَلَيْهِ مُتَّ) (وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ): يَعْنِي كَمَا تَعِيشُ تَمُوتُ وَكَمَا تَمُوتُ تُحْشَرُ (إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى): لِلتَّبَرُّكِ أَوْ لِلتَّحْقِيقِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ (يوسف: ٩٩). (مرقاة المفاتيح: ١/ ٢٢١).

فى هذا الحديث بشارات لأهل اليقين منها:

١- الأمن من عذاب القبر: لا فزع ولا خوف لأهل اليقين، بل هم فى أمن وأمان، واليقين سفينة النجاة

٢- شهادة الملائكة بأنك عشت فى الدنيا على اليقين ومت على اليقين وتبعث على اليقين

ثالثا: السعادة والنعيم يوم القيامة:

هيا بنا نواصل ركوب سفينة النجاة باليقين بالله حتى نصل بسلام وأمان إلى شواطئ الجنة

> اليقين بالله هو المثبت على الصراط يوم تزل الأقدام.

قال الله تعالى: «وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ» (البقرة: ٤، ٥).

- وقال الله تعالى: «وبالآخرة هُمْ يُوقِنُونَ» "الآخرة": اسم لما يكون بعد الموت، وخصه (بالذكر)، لأن الإيمان باليوم الآخر، أحد أركان الإيمان؛ ولأنه أعظم باعث على الرغبة والرهبة والعمل. تفسير السعدى (١/ ٤٠).

فمن حقق اليقين بالآخرة قولا وعملا نال الهداية على الصراط المستقيم، والهداية والفوز بالسعادات ومنها:

١- وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ: أَيِ الْمُنْجِحُونَ الْمُدْرِكُونَ مَا طَلَبُوا عِنْدَ اللَّهِ بِأَعْمَالِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، مِنَ الْفَوْزِ بِالثَّوَابِ، وَالْخُلُودِ فِي الْجِنَّاتِ، وَالنَّجَاةِ مِمَّا أَعَدَّ اللَّهُ لأَعْدَائِهِ مِنَ الْعِقَابِ. تفسير الطبرى (١/ ٢٥٠)

٢- البشارة بالجنة: عن أَبِي هريرة رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «اذهَبْ فَمَن لَقِيتَ وَرَاءَ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إله إلاَّ اللَّه، مُسْتَيقِنًا بِهَا قَلبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ». صحيح مسلم(٥٢).

- هذه بشارة عظيمة أن من شهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه دخل الجنة؛ لأن الذي يقول هذه الكلمة مستيقنا بها قلبه لابد أن يقوم بأوامر الله، ويجتنب نواهي الله، لأنه يقول لا معبود بحق إلا الله، أما من قالها بلسانه ولم يوقن بها قلبه- والعياذ بالله- فإنها لا تنفعه، فهاهم المنافقون. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/ ٨٧٠).

- ما قيمة هذا القيد: (مستيقناً بها قلبه)؟ يَستحيل لرجل يستيقن أن الله تبارك وتعالى وحده لا شريك له ثم يُشرك به، ويَستحيل على رجل يعتقد اعتقاداً جازماً أن الله تبارك وتعالى هو المشرّع وله الحكم والأمر ثم يَحتكم إلى غيره، ويَستحيل على رجل مس الإيمان قلبه أن يَعصي الله تبارك وتعالى مستمرئاً للمعصية، هذا كله مستحيل. (دروس للشيخ أبى اسحاق الحوينى: ١٠/ ١٢٠).

٣- هو من أهل الجنة:

عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ

إلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ " قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». (صحيح البخارى: ٦٣٠٦).

- (سيد الاستغفار) أي أفضل أنواع الأذكار التي تطلب بها المغفرة هذا الذكر الجامع لمعاني التوبة كلها، والاستغفار طلب المغفرة، والمغفرة الستر للذنوب والعفو عنها. قال الطيبي: لما كان هذا الدعاء جامعا لمعاني التوبة كلها استعير له اسم (السيد) وهو في الأصل الرئيس الذي يُقصد في الحوائج ويُرجع إليه في الملمات. من قالها من النهار مُوقنا بها (أي مُخلصا من قلبه مُصدقا بثوابها)، فمات من يومه ذلك قبل أن يُمسي (أي يَدخل في المساء) فهو من أهل الجنة، أي ممن استحق دخولها مع السابقين الأولين أو بغير سبق عذاب). (فيض القدير: ١٥٧/٤).

- اليقين الكامل يَحصل للعبد بأربعة أمور هي:

الأول: أن يعلم العبد بأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا تصريف ولا تدبير لجميع

> من اليقين: أن يعلم العبد أنه لا حول ولا قوة إلا بالله وحده.

المخلوقات إلا بأمر الله وحده، فكل المخلوقات والموجودات ليس بيدها شيء. والأشكال والأسباب، والبواعث والنتائج، لا تأتي ولا تحصل ولا تفعل إلا بأمر الله وإذنه وإرادته سبحانه، ولا ينفع شيء في الكون ولا يضر إلا بإذن الله.

الثاني: أن يتيقن العبد أن الله هو القادر وحده لا شريك له، وأن قدرته مطلقة، وأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يحتاج لغيره في إرادته وأفعاله، وأنه خالق كل شيء، وبيده الأمر كله، وهو المعبود الذي يستحق العبادة وحده دون سواه وهذا معنى (إلا الله).

الثالث: أن السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة هي بالإيمان والتقوى، ولا يمكن أن ينالها الإنسان في حياته إلا باقتدائه بالأسوة الحسنة محمد- صلى الله عليه وسلم- في جميع أحواله، كما قال سبحانه: « لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » (الأحزاب: ٢١).

- فقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيفية الاستفادة من خزائن الله بالإيمان والتقوى، وإن كانت الأسباب طريقاً آخر. فعلمنا كيفية العبادة وأوقاتها، وكيفية المعاشرات والمعاملات وأداء الحقوق والحلال والحرام، وكل ما تحتاجه الإنسانية لسعادة الدارين.

الرابع: أن جميع الأجسام والأشكال والأسباب والأعمال لا تفيد بغير طريق ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم، فالتجارة والصناعة والزراعة، والوظائف والمعاملات، والحكم والولايات هي وأصحابها في خطر دائم إن لم يكونوا جميعاً على طريق محمد- صلى الله عليه وسلم. موسوعة فقه القلوب (٧٩٦/١)

كيف نقوى اليقين بالله فى قلوبنا؟

- قَالَ سَهْلٌ: الْيَقِينُ مِنْ زِيَادَةِ الإِيمَانِ، وَلاَ رَيْبَ أَنَّ الإِيمَانَ كَسْبِيٌّ. وَالتَّحْقِيقُ: أَنَّهُ كَسْبِيٌّ بِاعْتِبَارِ أَسْبَابِهِ. مدارج السالكين (٣٧٥/٢). ومنه:

١- دعاء الله تعالى:

- عن ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلاَءِ الدَّعَوَاتِ لأَصْحَابِهِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ

مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا» (سنن الترمذي (٣٥٠٢)، وحسنه الألباني).

(ومن اليقين) أي وارزقنا من اليقين بك (ما يهون) أي يسهل (علينا مصائب الدنيا) بأن نعلم أن ما قدرته لا يخلو عن حكمة ومصلحة واستجلاب مثوبة، وأنك لا تفعل بالعبد شيئا إلا وفيه صلاحه. (فيض القدير: ١٢/٥).

٢- تربية النفس والأولاد على اليقين بالله:

عنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» سنن الترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني

- في هذا الحديث يعلم النبي صلى الله عليه وسلم الأمة كلها أن كل شيء في هذه الحياة إنما هو بقدر الله تعالى، فيوقن المسلم بأن كل شيء مكتوب ومقدر، فيزداد يقينا وتثبيتا بأنه وحده بيده النفع والضر، وأن هذا أمر مكتوب في اللوح المحفوظ.

٣- صحبة أهل اليقين:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ؛ فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ " حَسَّنَهُ الأَلْبَانِي صَحِيحِ الجَامِعِ: ٢٢٢٣، سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ ٢٣٧.

قال تعالى: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا» (الكهف: ٢٨).

> أهل اليقين مفاتيح للخير في كل زمان ومكان.

٤- الإكثار من ذكر الموت:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ يَعْنِي الْمَوْتَ فَإِنَّهُ مَا ذَكَرَهُ أَحَدٌ فِي ضِيقٍ إِلاَّ وَسَّعَهُ اللَّهُ وَلاَ ذَكَرَهُ فِي سَعَةٍ إِلاَّ ضَيَّقَهَا عَلَيْهِ". (صحيح الجامع: ١٢١١).

- قال القرطبي: ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية والتوجه في كل لحظة إلى الآخرة الباقية ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالين ضيق وسعة، ونعمة ومحنة، فإن كان في حال ضيق ومحنة فذكر الموت يسهل عليه ما هو فيه من الاغترار بها والركون إليها. (فيض القدير: ١٠٩/٢).

٥- الإكثار من الاستغفار:

- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " تَعَلَّمُوا سَيِّدَ الاسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ "صحيح البخاري (٦٣٠٦)، والسنن الكبرى للنسائي. (١٠٢٢٨) واللفظ له.

فأكثروا من هذا الدعاء والحمد لله رب العالمين.

الشتاء والدعاء

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وبعد...

فمعلوم أن فصل الشتاء تحدث فيه -بإذن الله تعالى- ظواهر مناخية، مثل الريح والرياح والبرق، والرعد والأمطار، وقد علمنا النبي المختار صلى الله عليه وسلم آدابًا وأدعية وأذكارًا تُقال في مثل هذه الحالات؛ حتى تعود علينا بالنفع والأجور الكثيرة.

إعداد/ صلاح عبد الخالق محمد

أولا: الرياح والريح:

١- الرياح والريح في كتاب الله:

- جاءت كلمة الرياح في القرآن الكريم في عشر آيات كلها رحمة وعطايا وخيرات فمثلا قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ (الروم: ٤٦).

- وجاءت كلمة الريح في القرآن الكريم في عشرين آية معظمها عذاب وعقاب وخراب فمثلا: قوله تعالى

﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (الأحقاف: ٢٤- ٢٥).

٢- فزع النبي صلى الله عليه وسلم من الريح:

أ- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما هبَّت الريح إلا جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال «اللَّهُمَّ اجْعَلْها رَحْمَةً وَلا تَجْعَلْها عَذَابًا، اللَّهُمَّ اجْعَلْها رياحًا، وَلا تَجْعَلْها ريحًا». (صحيح أخرجه الإمام الشافعي في «الأم»: ١/ ٢٥٣).

ب- عن عَائشَةَ، زَوْجَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، تَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إذَا كَانَ يَوْمُ الرِّيح وَالْغَيْم، عُرِفَ ذَلكَ في وَجْهه، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإذَا مَطَرَتْ سُرَّ به، وَذَهَبَ عَنْهُ ذَلكَ، قَالَتْ عَائشَةُ: فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: «إنِّي خَشيتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابًا سُلِّطَ عَلَى أُمَّتي»، وَيَقُولُ، إذَا رَأَى الْمَطَرَ: «رَحْمَةٌ» صحيح مسلم (٨٩٩).

ج - كان أنَس بْنَ مَالك، يَقُولُ: «كَانَت الرِّيحُ الشَّديدَةُ إذَا هَبَّتْ عُرِفَ ذَلكَ في وَجْه النَّبيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ» صحيح البخاري(١٠٣٤).

- معنى الحديث: يقول أنس رضي الله عنه: كانت الريح الشديدة إذا هبت عُرف ذلك في وجه النبي صلى الله عليه وسلم أي: أصابه فزع شديدٌ وظهرت آثار الخوف والقلق على وجهه الشريف، خشية أن تكون تلك الريح إعصاراً مدمِّراً، أو عقوبة سماوية، كتلك التي وقعت لقوم هود، فكانت عليهم عاصفة شديدة، قلعت أشجارهم وهدّمت ديارهم، كما قال تعالى في وصف ما أحدثته فيهم من كوارث (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا)، حتى أنها كانت ترفع المرأة بين السماء والأرض كأنها جرادة، وكانت ترميهم بالحجارة فتدق أعناقهم، ولهذا كان صلى الله عليه وسلم إذا اشتدت الريح يخشى أن تُصاب أُمَّتَه بما أصيب به أولئك.

ويُستفاد من الحديث: أنه يُستحب استشعار الخوف عند هبوب الرياح والعواصف الشديدة، وذلك من الفطنة؛ لأنّ الريح كثيراً ما تكون دماراً خراباً وعذاباً، كما تدل عليه الحوادث المتكررة على مر العصور والأزمان. منار القاري (٢/ ٢٩٠).

- ماذا أفعل مع الريح؟

١- لا تسب ولا تشتم الريح:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِنَّهَا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَالْعَذَابِ، وَلَكِنْ سَلُوا اللَّهَ مِنْ خَيْرِهَا وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا» صحيح سنن ابن ماجه (٣٧٢٧)، وأبي داود (٥٠٨٨).

- قال الشافعي رحمه الله: لا ينبغي لأحد أن يسبَّ الرياحَ؛ فإنها خلقٌ لله تعالى مطيع، وجندٌ من أجناده، يجعلها رحمةً ونقمةً إذا شاء. الأذكار للنووي (١/١٨٠).

- لا تشتموها-أي الريح - ولا تلعنوها للحوق ضرر فيها؛ فإنها خلق من خلق الله مقهور مدبر، وإنما تهب بمشيئة الله وقدرته، فلا يجوز سبّها فيرجع السب إلى من خلقها وسخرها.

- النهي عن سب الريح؛ لكونها إنما تهب عن إيجاد الله لها وأمره إياها، فلا تأثير لها إلا بأمر الله، فمسبتها مسبة لله تعالى واعتراض عليه، وهو قدح في التوحيد. حاشية كتاب التوحيد (١/٣٥٦).

- قَوْلُهُ: (فَإِنَّهَا مِنْ رُوحِ اللَّهِ) قيلَ: الرُّوحُ النَّفْسُ وَالْفَرَجُ وَالرَّحْمَةُ فَإِنْ قيلَ: كَيْفَ يَكُونُ الرِّيحُ مِنْ رَحْمَتِهِ مَعَ أَنَّهَا تَجِيءُ بِالْعَذَابِ. قُلْتُ: إِذَا كَانَ عَذَابًا لِلظَّلَمَةِ فَيَكُونُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَيْضًا الرُّوحُ بِمَعْنَى الرَّائِحِ أَيِ الْجَائِي مِنْ حَضْرَةِ اللَّهِ بِأَمْرِهِ تَارَةً لِلْكَرَامَةِ وَأُخْرَى لِلْعَذَابِ فَلَا يَعِيبُ فَإِنَّهُ تَأْدِيبٌ وَالتَّأْدِيبُ حَسَنٌ.حاشية السندي (٢/٤٠٤).

> الريح كثيراً ما تكون دماراً وخراباً وعذاباً، كما تدل عليه الحوادث المتكررة على مر العصور والأزمان.

٢- اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء:

- عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أَرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أَرْسِلَتْ بِهِ» صحيح مسلم (٨٩٩).

- أرشدهم صلى الله عليه وسلم بالرجوع إلى خالقها وآمرها الذي أزمَّة الأمور كلها بيده، ومصدرها عن قضائه أن يسألوه خيرها وخير ما فيها، والاستعاذة به من شرها وشر ما فيها، فما استُجلبت نعمه بمثل طاعته وشكره، ولا استدفعت نقمه بمثل الالتجاء إليه والتعوذ به والاضطرار إليه ودعائه، شرع الله لعباده أن يسألوه ما ينفعهم، ويستعيذوا به من شر ما يضرهم، ففيه عبودية الله وحده، والطاعة له، والإيمان به، واستدفاع الشرور به، والتعرض لفضله ونعمته، وهذه حال أهل التوحيد. حاشية كتاب التوحيد (١/٣٥٦).

ثانيا: البرق والرعد:

١- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ (الرعد: ١٢).

البرق: يخاف منه الصواعق والهدم وأنواع الضرر، على بعض الثمار ونحوها ويطمع في خيره ونفعه. تفسير السعدي (١/٤١٤).

البرق: ضوء قويّ يَلمعُ في السَّماء على أثر تفريغ كَهربائيّ في السَّحاب. (معجم اللغة العربية المعاصرة: ١/١٩٢).

٢- قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (الرعد: ١٣).

- يسبّح الرعد له تسبيحاً مقترناً بحمده والثناء عليه وتسبيحُ الرعد حقيقةٌ دلَّ عليها القرآن فنؤمن بها وإن لم نفهم تلك الأصوات فهو تعالى لا يخبر إلا بما هو حقٌّ كما قال﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٤). صفوة التفاسير (٢/٧١).

- الرعد:صوتٌ يُدوّي في السَّماء عقب وميض البرق، وهو ناتج عن اصطكاك السحاب» (معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/٩٠٧).

ومن الآداب والأدعية والأذكار في البرق والرعد:

أ- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ،

أَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ؟ قَالَ: «مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ» فَقَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ؟ قَالَ: «زَجْرَةُ بِالسَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أُمِرَ» قَالُوا: صَدَقْتَ. سنن الترمذي (٣١١٧) صححه الألباني.

ب- عن عبد الله بن الزبير: أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث، وقال: «سبحان الذي يسبّح الرعد بحمده. والملائكة من خيفته»، (الرعد: ١٣) ثم يقول: «إن هذا لوعيد شديد لأهل الأرض» صحيح الأدب المفرد. (٥٦٠).

ج - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سَفَرٍ، فَأَصَابَنَا رَعْدٌ وَبَرْقٌ وَبَرَدٌ، فَقَالَ لَنَا كَعْبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الرَّعْدَ: سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ - ثَلَاثًا - عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الرَّعْدِ، فَقُلْنَا فَعُوفِينَا. أخرجه الطبراني وحسنه ابن حجر كما في الفتوحات الربانية لابن علان (٤ / ٢٨٦).

ثالثا: الأمطار: من الآداب المختصة بالمطر، منها:

١- لا يدري متى يجيء المطر إلا الله سبحانه:

أ - قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (لقمان: ٣٤).

في الحديث: اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش، وإقامة الصلاة، ونزول الغيث.

ب - عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ، وَلاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الأَرْحَامِ، وَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ المَطَرُ » صحيح البخاري(١٠٣٩).

- « مفتاح الغيب خمس «وإنما وصف هذه الخمسة وسماها مفتاح الغيب، لأنها أهم الأمور الغيبية التي حجبها الله عن علم الإنسان وإدراكه الحسي والعقلي، ولأن بعض الكهنة والعرافين يدّعي العلم بها، ولهذا ذكرها - صلى الله عليه وسلم -، ونفى أن يعلم بها أحد، فقال: « لا يعلمها إلّا الله.

- أما معرفة الإنسان بنزول المطر بواسطة الأرصاد الجوية فإن ذلك بعد ظهور العلامات، وليس غيباً، وكذلك معرفة الطبيب بالجنين ذكراً أو أنثى فإنه بعد التخلق وليس غيباً. منار القاري (٢/٢٩٢).

٢ - الدعاء إذا رأى المطر:

أ- روى الشافعي في « الأم » عن مكحول، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش، وإقامة الصلاة، ونزول الغيث» صحيح الجامع (١٠٢٦).

ب- لحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا رأى المطر قال: «اللهم صيّبا نافعًا» صحيح البخاري (١٠٣٢).

- معنى الحديث: تحدثنا عائشة رضي الله عنها: «أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا رأى المطر قال: صَيِّباً نافعاً « أي: يسأل الله تعالى ويتضرع إليه أن يجعل هذا المطر كثيراً غزيراً نافعاً للإنسان والحيوان سقيا رحمة، تُنْبِتُ بها الأرض أعشابها، وتخرج من خيراتها، وتدر المواشي من ألبانها، لا سقيا عذاب تهدم وتغرق.

ويستفاد منه: استحباب الدعاء عند نزول الأمطار، كما كان - صلى الله عليه وسلم - يدعو؛ لأن الدعاء عندها مستجاب. منار القاري (٢/٢٩٠).

٣ - ما يفعل إذا أصابه المطر:

قال تعالى: (وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا) (الفرقان: ٤٨).

عن أنس رضي الله عنه قال: أصابنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطر، قال: فحسر رسول الله صلى

الله عليه وسلم ثوبه حتى أصابه من المطر، فقلنا يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال: «لأنه حديث عهد بربه» صحيح مسلم (٨٩٨).

- قَوْلُهُ حَسَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَوْبَهُ حَتَّى أَصَابَهُ الْمَطَرُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: (لأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ) مَعْنَى حَسَرَ: كَشَفَ، أَيْ كَشَفَ بَعْضَ بَدَنِهِ وَمَعْنَى حَدِيثُ عهد بربه أَيْ بِتَكْوِينِ رَبِّهِ إِيَّاهُ، ومعناه أَنَّ الْمَطَرَ رَحْمَةٌ وَهِيَ قَرِيبَةُ الْعَهْدِ بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى لَهَا فَيُتَبَرَّكُ بِهَا. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ لِقَوْلِ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ عِنْدَ أَوَّلِ الْمَطَرِ أَنْ يَكْشِفَ غَيْرَ عَوْرَتِهِ لِيَنَالَهُ الْمَطَرُ، وَاسْتَدَلُّوا بِهَذَا، وَفِيهِ أَنَّ الْمَفْضُولَ إِذَا رَأَى مِنَ الْفَاضِلِ شَيْئًا لَا يَعْرِفُهُ أَنْ يَسْأَلَهُ عَنْهُ لِيُعَلِّمَهُ فَيَعْمَلَ بِهِ وَيُعَلِّمَهُ غيره. (شرح النووي: ١٩٦/٦).

٤- إذا كثر المطر وزاد عن حده:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَوْمَ جُمُعَةٍ، فَقَامَ النَّاسُ، فَصَاحُوا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَحَطَ الْمَطَرُ، وَاحْمَرَّتِ الشَّجَرُ، وَهَلَكَتِ الْبَهَائِمُ، فَادْعُ اللَّهَ يَسْقِينَا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا» مَرَّتَيْنِ، وَايْمُ اللَّهِ، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً مِنْ سَحَابٍ، فَنَشَأَتْ سَحَابَةٌ وَأَمْطَرَتْ، وَنَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ، لَمْ تَزَلْ تُمْطِرُ إِلَى الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ، صَاحُوا

عندما كان ينزل المطر كان النبي صلى الله عليه وسلم يحسر ثوبه ليتبلل ويقول: «حديث عهد بربه».

إِلَيْهِ تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يَحْبِسْهَا عَنَّا، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا» فَكَشَطَتِ الْمَدِينَةُ، فَجَعَلَتْ تُمْطَرُ حَوْلَهَا وَلاَ تُمْطَرُ بِالْمَدِينَةِ قَطْرَةٌ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَإِنَّهَا لَفِي مِثْلِ الإِكْلِيلِ. صحيح البخاري(١٠٢١).

(احمرت الشجر) تغير لونها من الخضرة إلى الحمرة من شدة اليبس. (فكشطت) انكشفت. (الإكليل) كل ما أحاط بالشيء والعصابة تزين بالجواهر) قد سمى الله كثرة المطر أذىً فقال: (إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ) (النساء: ١٠٢).

- فيه من الفقه: استعمال أدب النبي، (صلى الله عليه وسلم)، المهذب وخلقه العظيم؛ لأنه لم يدع الله ليرفع الغيث جملة لئلا يرد على الله فضله وبركته وما رغب إليه فيه، وسأله إياه فقال: (اللهم على رءوس الجبال والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر) ؛ لأن المطر لا يضر نزوله في هذه الأماكن وقال: - قال: (اللهم حوالينا ولا علينا)، فيجب امتثال ذلك في نعم الله إذا كثرت ألا يسأل أحد قطعها وصرفها عن العباد. شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٣/٣).

الذكر بعد نزول المطر: عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ « صحيح البخاري (١٠٣٨) صحيح مسلم (٧١).

- قال العلماء: إن قال مسلم: مُطرنا بنوْء كذا، مريداً أن النَّوْءَ هو الموجد والفاعل المحدثُ للمطر، صارَ كافراً مرتدّاً بلا شكّ، وإن قاله مُريداً أنه علامة لنزول المطر، فينزل المطر عند هذه العلامة، ونزوله بفعل الله تعالى وخلقه ، لم يكفر. واختلفوا في كراهته، والمختار أنه مكروه، ولأنه من ألفاظ الكفار، وهذا ظاهر الحديث، ونصَّ عليه الشافعي رحمه الله في « الأمّ » وغيره، والله أعلم.

ويُستحبّ أن يشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة، أعني نزول المطر. (الأذكار للنووي: ١٨٢/١).

والحمد لله رب العالمين.

شهر الصبر رمضان

الحمد لله على نعمة الصبر، وسبحان من بيده الخلق والأمر، والصلاة والسلام على مُعلم الصبر. وبعدُ: فلا شك أن شهر رمضان أعظم جامعة لتعليم الناس الأخلاق الحميدة والتي منها خلق الصبر الحصن الحصين ضد الشدائد والأزمات.

وأصل الصبر: الحبْس فسُمِّي الصومُ صَبراً لما فيه من حَبْس النَّفس عن الطعام والشَّراب والنِّكاح. النهاية في غريب الحديث الأثر (٩/٣).

إعداد/ صلاح عبد الخالق

وحقيقة الصبر: هو خُلُقٌ فاضل من أخلاق النفس يمنع صاحبه من فعل ما لا يَحْسُنُ، ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها. عدة الصابرين (١٦/١).

حديث القرآن عن الصبر:

- قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّه تَعَالَى: «الصَّبْرُ في القُرْآن في نَحْو تِسْعِينَ مَوْضِعًا». مدارج السالكين (١٥١/٢).

مَن هذه الآيات مثلاً: قوله تعالى: «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ» (ص: ٤٤). «إِنَّا وَجَدْنَاهُ» أي: أيوب «صَابِرًا» أي: ابتليناه بالضر العظيم، فصبر لوجه الله تعالى «نِّعْمَ الْعَبْدُ» الذي كمل مراتب العبودية، في حال السراء والضراء، والشدة والرخاء. (تفسير السعدي: (٧١٤/١).

حديث السنة عن الصبر:

جاء عن رَسُول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر أحاديث كثيرة جدًا منها:

عَنْ أَبِي مَالِك الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَان، وَالحَمْدُ للَّه تَمْلأ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّه وَالحَمْدُ للَّه تَمْلآن- أَوْ تَمْلأ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَات وَالأَرْض، وَالصَّلاَةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاس يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا» صحيح مسلم (٢٢٣).

جامع أنواع الصبر:

وأوصى النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أبا أمامة البَاهلي فقال: «صُمْ شَهْرَ الصَّبْر رَمَضَانَ، صُمْ شَهْرَ الصَّبْر وَثَلاَثَةَ أَيَّام مِنْ كُلِّ شَهْر...» (صحيح الجامع: ٣٧٩٤).

أنواع الصبر ثلاثة:

وأفضل أنواع الصبر: الصيام؛ فإنه يجمع الصبر على الأنواع الثلاثة؛ لأنه صبر على طاعة الله عز وجل، وصبر عن معاصي الله، وفيه أيضا صبر على الأقدار المؤلمة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي شهر الصيام شهر الصبر. جامع العلوم والحكم (٢١٩/١).

أولا: الصبر على طاعة الله تعالى:

أما الصبر على طاعة الله فلأن الإنسان يحمل نفسه على الصيام مع كراهته له أحيانًا يكرهه لمشقته، لا لأن الله فرضه، لو كره الإنسان الصوم؛ لأن الله فرضه لحبط علمه لكنه كرهه لمشقته، ولكنه مع ذلك يحمل نفسه عليه فيصبر عن الطعام والشراب والنكاح لله عز وجل. (شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١٣٩٣/١)).

١- الصبر على مشقة الصيام:

لا شك أن الصوم فيه مشقة كبيرة على النفوس لذلك هيأ الرحمن سبحانه النفوس لاستقبال هذه الطاعة قائلا: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ» (البقرة: ١٨٣- ١٨٤).

في هذا النداء العذب من الملك إلى عباده المؤمنين: يا عبادي، الصوم فيه خير كثير لكم، منها التقوى التي فيها السعادة والنجاة، وهذا يحتاج إلى صبر فما هي إلا أيام معدودات وتنتهي أيام الصيام

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه» رواه البخاري (١٩٠١) مسلم (٧٥٩).

٢- الصبر على صلاة التراويح:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الإِمَام حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَة» سنن الترمذي (٨٠٦) صحيح الجامع (١٦١٥).

والمعنى: (إن الرجل إذا صلى) أي التراويح في أول الليل في رمضان. (مع الإمام حتى ينصرف) أي: يفرغ الإمام من الصلاة ويرجع. (حسب له قيام ليلة) أي كاملة. مرعاة المفاتيح (٣١٨/٤).

- فاتق الله في عمرك، وأقبل على صلاة التراويح يقبل الله عليك، أن تُحسبَ لك عند الله ليلة، فكل ليالي العمر هَدَر وضياع لا قيمة لها إلا أن تقومها لله عز وجل؛ فعندها يُحسب لك عند الله قيام ليلة واحتساب هذا الأجر عند الله عظيم؛ فاصبر على إمامك حتى ينصرف ولا تستعجل فتخسر ليلتك. أسرار المحبين في رمضان (٢٠٠/١).

٣- الصبر على الاعتكاف:

شَرَعَ اللهُ الاعْتِكَافَ الَّذي مَقْصُودُهُ وَرُوحُهُ عُكُوفُ القَلْبِ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَجَمْعِيَّتُهُ عَلَيْهِ، وَالخَلْوَةُ بِهِ، وَالانْقِطَاعُ عَنِ الاشْتِغَالِ بِالخَلْقِ، وَالاشْتِغَالِ بِهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ بِحَيْثُ يَصِيرُ ذِكْرُهُ وَحُبُّهُ، وَالإِقْبَالُ عَلَيْهِ في مَحَلِّ هُمُومِ القَلْبِ وَخَطَرَاتِهِ، فَيَسْتَوْلِي عَلَيْهِ بَدَلَهَا، وَيَصِيرُ الهَمُّ كُلُّهُ بِهِ، وَالخَطَرَاتُ كُلُّهَا بِذِكْرِهِ، وَالتَّفَكُّرُ في تَحْصِيلِ مَرَاضِيهِ وَمَا يُقَرِّبُ مِنْهُ فَيَصِيرُ أُنْسُهُ بِاللهِ بَدَلاً عَنْ أُنْسِهِ بِالخَلْقِ، فَيَعُدُّهُ بِذَلِكَ لأُنْسِهِ بِهِ يَوْمَ الوَحْشَةِ في القُبُورِ حِينَ لاَ أَنِيسَ لَهُ، وَلاَ مَا يَفْرَحُ بِهِ سِوَاهُ، فَهَذَا مَقْصُودُ الاعْتِكَافِ الأَعْظَمِ. زاد المعاد (٨٢/٢).

٤- الصبر على قيام ليلة القدر:

وهذا يتضح من أقواله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ليلة القدر تحروا، التمسوا.

٥- الصبر على كل الطاعات في شهر رمضان دون تعجل.

ثانيا الصبر عن المعاصي:

لأن المعاصي كثير منها تهواها النفوس وتريدها، فيحمل نفسه على الصبر فيصبر ويحبسها عن هذا الشيء، ويرجو بذلك الأجر من الله، فيصبر خوفاً من الله ورجاءً في ثوابه.

١- الصبر عن معاصي اللسان:

الصبر عن معاصي اللسان والفرج من أصعب أنواع الصبر لشدة الداعي إليهما وسهولتهما فإن معاصي اللسان فاكهة الإنسان كالنميمة والغيبة، والكذب والمراء، والثناء على النفس تعريضًا وتصريحًا، وحكاية كلام الناس، والطعن على من يبغضه، ومدح من يحبه، ونحو ذلك فتتفق قوة الداعي وتيسر حركة اللسان فيضعف الصبر. عدة الصابرين (٧٠/١).

ومما صح في ذلك:

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلهِ حَاجَةٌ في أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» صحيح البخاري(١٩٠٣).

قَالَ ابنُ العَرَبِيِّ: «مُقْتَضَى هَذَا الحَدِيثِ أَنَّ مَنْ فَعَلَ مَا ذُكِرَ لاَ يُثَابُ عَلَى صِيَامِهِ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ ثَوَابَ الصِّيَامِ لاَ يَقُومُ في المُوَازَنَةِ بِإِثْمِ الزُّورِ وَمَا ذُكِرَ مَعَهُ. وَقَالَ البَيْضَاوِيُّ: لَيْسَ المَقْصُودُ مِنْ شَرْعِيَّةِ الصَّوْمِ نَفْسَ الجُوعِ وَالعَطَشِ، بَلْ مَا يَتْبَعُهُ مِنْ كَسْرِ الشَّهَوَاتِ وَتَطْوِيعِ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ لِلنَّفْسِ المُطْمَئِنَّةِ، فَإِذَا لَمْ يَحْصُلْ ذَلِكَ لاَ يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِ نَظَرَ القَبُولِ، فَقَوْلُهُ لَيْسَ لِلهِ حَاجَةٌ مَجَازٌ عَنْ عَدَمِ القَبُولِ، فَنَفَى السَّبَبَ وَأَرَادَ المُسَبَّبَ وَاللهُ أَعْلَمُ. فتح الباري(١١٧/٤).

٢- الصبر عن رؤية المنكرات وسماعها: المقصود بالصبر عنها بجميع أنواعها التي تبث السموم في العسل، وتنفق المليارات في جذب الناس إليها لصد الناس عن طاعة الله تعالى والوقوع في أوحال المعاصي، وتضييع الأوقات والأعمار في معصية الله تعالى، فاصبر وانتبه وابتعد عن خطوات شياطين الإنس قبل أن تندم لأنك لا تدري لعله يكون آخر رمضان في حياتك.

ثالثا: الصبر على أقدار الله المؤلمة:

الصبر على أقدار الله وذلك أن الإنسان يصيبه في أيام الصوم-ولاسيما في الأيام الحارة والطويلة-؛ من الكسل والملل والعطش ما يتألم ويتأذى به ولكنه صابر لأن ذلك في مرضاة الله. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١٣٩٣/١).

خلاصة شهر الصبر:

إنه في شهر رمضان صبرٌ يجر إلى صبر، ونصرٌ يقود إلى نصر؛ فلئن كان الصيام قد علمك -أيها المسلم- أن تصبر اليوم طائعًا مختارًا في وقت الأمن والرخاء، فأنت غدًا أقدرُ على الصبر والمصابرة في البأساء والضراء وحين البأس، ولئن كان الصيام قد علمك كيف تنتصر اليوم على نفسك، فلقد أصبحت به أجدر أن تنتصر غدًا على عدوك، وتلك عاقبة التقوى، التي أراد الله أن يرشحك لها بالصيام. أسرار المحبين في رمضان (١٥٤/١).

من فضائل وفوائد الصبر:

١- قال تعالى: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ» (الزمر: ١٠)، من كثرة الأجور المضاعفة للصابرين لا حد لها ولا عد ولا وزن لها ولا مكيال، بل تُغرف غرفًا لكثرتها.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» صحيح البخاري (١٤٦٩).

٢- جعل سبحانه الصبر سبب محبته ومعيته، ونصره وعونه، وحسن جزائه، وكفى بذلك شرفًا وفضلاً. فقال سبحانه: «وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ» (آل عمران: ١٤٦)، وقال سبحانه: «وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» (الأنفال: ٤٦).

٣- السعادة والنعيم في الجنة: قال تعالى: «جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ» (الرعد: ٢٣-٢٤).

اللهم اجعلنا من المقبولين الفائزين.

الإحسان إلى اليتيم خُلقٌ كريم

الحلقة (٣)

كيف تؤمِّن مستقبل ذريتك (أولادك وبناتك) بعد موتك؟

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على أفضل الأيتام وبعدُ:

كيف تؤمن مستقبل ذريتك (أولادك وبناتك) بعد موتك؟

سؤال لا بد أن نبحث له عن إجابات؛ لأن الموت يأتي فجأة، وتصبح ذريتك في عداد الأيتام وأنت مسئول أمام الملك سبحانه عن ذريتك وقبل أن نصل إلى مرحلة الضياع، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَفَى بِالمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ من يقُوتُ) (صحيح سنن أبي داود ١٤٨٥، صحيح الجامع: ٤٤٨١).

وكلمة (كفى إثماً) تدل على عظم هذا الإثم، أي: يكفيه من الإثم أن يضيع زوجته وأولاده. (دروس للشيخ أبي إسحاق الحويني: ٧/٢١).

إذا كان هذا في تضييعهم من جهة الدنيا من الأكل والشرب و... فكيف بتضييعهم من جهة الدين؟! هذا أعظم وأشد.

لا بد من الخوف على الذرية:

قال تعالى: (وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ) (النساء: ٩).

وهكذا تمس اللمسة الأولى شغاف القلوب. قلوب الآباء المرهفة الحساسية تجاه ذريتهم الصغار. بتصور ذريتهم الضعاف مكسوري الجناح لا راحم لهم ولا عاصم. (تفسير الظلال: ١/٥٨٨).

نشعر من خلال هذه الآية بأنه لا بد من الخوف على الذرية من بعدنا وكم من أناس شعروا بهذا فبكوا بكاءً شديدًا عند مرض الموت خوفًا على أولادهم من بعدهم.

من طرق حماية الذرية أثناء الحياة وبعد الموت:

أولاً: حُسن اختيار المنبت الصالح:

قال تعالى: (نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ) (البقرة: ٢٢٣). حَرْثٌ لَكُمْ أَيْ مَزْرَعٌ وَمَنْبَتٌ لِلْوَلَدِ، وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّشْبِيهِ، فَفَرْجُ الْمَرْأَةِ كَالأَرْضِ، وَالنُّطْفَةُ كَالْبَذْرِ، وَالْوَلَدُ كَالنَّبَاتِ الْخَارِجِ. (مفاتيح الغيب: ١/٤٢١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: « تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ» (رواه البخاري (٥٠٦٠) ومسلم (١٤٦٦).

(فاظفر بذات الدين تربت يداك)، وهذا يدل على أن الدين يُغني عن هذه الأشياء كلها، فكم من امرأة فقيرة، ولكن الله سبحانه وتعالى أغناها بالدين! وكم من امرأة ضعيفة، ولكن الله قوّاها وجعل عزّها بدينها! وكم من امرأة يراها الإنسان فيزدريها، ولكن الله جعل فيها قلباً يخافه ويخشاه فيحبها سبحانه! فمثل هذه المرأة الصالحة قد يُكرم الله بها الإنسان فتُخرج له أولاداً صالحين تقر عينه بهم، وخاصة عند المشيب والكبر. (شرح زاد المستقنع: ٤/ ٢٧٠).

قيل لعمر بن عبد العزيز لما حضرته الوفاة: هلا تركت شيئاً للصبية والأولاد والذرية؟ فقال: إن كانوا صالحين فلن يُضيعهم الله، وإن كانوا عُصاة فلن أضع لهم مالاً يتقوون به على معصية الله، قال الراوي: فوالله لقد رأيت كل واحد منهم حمل على مائة بعير في سبيل الله بأحلاسها وأقتابها وسلاحها؛ لأن غناء الله عطاء لا ينقطع، ومدد لا ينتهي، وجود لا ساحل له. (دروس للشيخ سعد البريك: ٤/ ٢٩).

ثانيًا: الاستعاذة والتسمية قبل الزرع:

- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ، فَقَالَ: بِاسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا». (رواه البخاري (٥١٦٥) ومسلم (١٤٣٤).

أ- في مُرْسَلِ الْحَسَنِ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ: «إِذَا أَتَى الرَّجُلُ أَهْلَهُ فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا، وَلاَ تَجْعَلْ لِلشَّيْطَانِ نَصِيبًا فِيمَا رَزَقْتَنَا فَكَانَ يُرْجَى إِنْ حَمَلَتْ أَنْ يَكُونَ وَلَدًا صَالِحًا». فتح الباري (٩/ ٢٢٩).

ب- « لم يضره شيطان أبداً » أي فإن ذلك الولد يكون في عصمة الله محفوظاً من الشيطان مدة حياته، فلا يمسّه بأذى. (منار القاري: ٥/ ١١٧).

ثالثًا: تقوى الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء: ٩).

أ- «خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ»، فَإِنْ كَانَ لَكَ خَوْفٌ عَلَى صِغَارِكَ وَأَوْلَادِكَ الْمَحَاوِيجِ الْمَسَاكِينِ فَاتَّقِ اللهَ فِي أَعْمَالِكَ كُلِّهَا لاَ سِيَّمَا فِي أَوْلاَدِ غَيْرِكَ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَحْفَظُكَ فِي ذُرِّيَّتِكَ وَيُيَسِّرُ لَهُمْ مِنَ الْحِفْظِ وَالْخَيْرِ وَالتَّوْفِيقِ بِبَرَكَةِ تَقْوَاكَ مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ بَعْدَ مَوْتِكَ وَيَنْشَرِحُ بِهِ صَدْرُكَ. (الزواجر عن ارتكاب الكبائر: ١/ ٢٣).

ب- فمن أراد أن يحفظ الله سبحانه وتعالى ذريته من بعده إذا خشي الموت أو غير ذلك؛ فأعظم ذخيرة يدخرها لهم هي أن يتقي الله سبحانه وتعالى في حال حياته، وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فهذه هي أعظم وثيقة تأمين على الأولاد والذرية، وهي ليست المال، وليست العقارات، وليست أمور الدنيا، ولكن حفظهم بتقوى الله سبحانه. (لماذا نصلي للمقدم (٣/٢).

د- من معاني كلمة التقوى في القرآن:

ورد لفظ التقوى في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

١- الخوف والخشية كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (الحج: ١).

٢- العبادة كما في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ

أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ) (النحل: ٢).

٣- ترك المعصية كما في قوله تعالى: (وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (البقرة: ١٨٩).

٤- التوحيد كما في قوله تعالى: (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) (الحجرات: ٣).

٥- الإخلاص كما في قوله سبحانه: (ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ) (الحج: ٢٣).(نضرة النعيم (٤/١٠٨٠).

رابعًا: القول السديد: قال الله تعالى: (وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا) (النساء: ٩).

رابعاً: معرفة أن الجزاء من جنس العمل:

قال تعالى: (وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا) (النساء: ٩)، فكافل اليتيم اليوم إنما يعمل لنفسه لو ترك ذرية ضعافاً، فكما تُحسن إلى اليتيم اليوم يُحسَن إلى أيتامك في الغد، وكما تدين تُدان. (فضل كفالة اليتيم للسدحان: ١/١٤).

خامساً: احفظ الله يحفظك في ذريتك:

-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ. (سنن الترمذي ٢٥١٦، وصححه الألباني).

« احْفَظِ اللهَ » يَعْنِي: احْفَظْ حُدُودَهُ، وَحُقُوقَهُ، وَأَوَامِرَهُ، وَنَوَاهِيَهُ، وَحِفْظُ ذَلِكَ: هُوَ الْوُقُوفُ عِنْدَ أَوَامِرِهِ بِالامْتِثَالِ، وَعِنْدَ نَوَاهِيهِ بِالاجْتِنَابِ، وَعِنْدَ حُدُودِهِ، فَلاَ يَتَجَاوَزُ مَا أَمَرَ بِهِ، وَأَذِنَ فِيهِ إِلَى مَا نَهَى عَنْهُ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَهُوَ مِنَ الْحَافِظِينَ لِحُدُودِ اللهِ. (جامع العلوم والحكم: ١/٤٦٢).

- «احفظ الله يحفظك»، الله عز وجل يحفظ أوليائه في أنفسهم، وفي أهليهم، وفي أموالهم، وفي جوارحهم، وفي أعراضهم، يحفظهم من مكر الأعداء، وكيد الحاقدين، وتدبير المارقين. (فصل الخطاب في الزهد: ١/٣٩٦).

وبالنظر في قصة الغلامين بسورة الكهف: وصلاح أبيهما، قال تعالى: (وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) (الكهف: ٨٢).

لا بد أن العبد الصالح قد أقام الجدار بأسلوب مناسب؛ حيث توقع للجدار عمرًا افتراضيًّا للجدار بحيث إذا بلغ اليتيمان الرشد وقع الجدار أمامهما؛ ليرى كلاهما الكنز، لقد تم بناء الجدار على مثال القنبلة الموقوتة بحيث إذا بلغا الرشد ينهار الجدار ليأخذا الكنز. إنه توقيت إلهي أراده الله؛ لأن والد اليتيمين كان صالحًا، اتقى الله فيما تحت يده فأرسل الله له جنودًا لا يعلمهم ولم يرتبهم ليحموا الكنز لولديه اليتيمين. (تفسير الشعراوي: ١/١٣٧٨).

- فيه تنبيه على أن سَعْي الخضر وموسى عليهما السلام في ذلك كان لصلاح أبيهما، وفيه دليل على أن الله

تعالى يحفظ أولياءه في ذريتهم.

وقيل: كان بينهما وبين الأب الذي حُفظا به سبعة أجداد. قال محمد بن المنكدر: (إنَّ اللَّه لَيَحْفَظُ بالرَّجُلِ الصَّالِحِ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِه وَالدُّوَيْرَاتِ الَّتي حَوْلَهُ فَمَا يَزَالُونَ في حِفْظ منَ اللَّه وَسِتر)، وقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّب لابْنِه: لأَزِيدَنَّ في صَلاتي منْ أَجْلِكَ، رَجَاءَ أَنْ أُحْفَظَ فيكَ، ثُمَّ تَلاَ هَذِه الآيَةَ «وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا». (تفسير البحر المديد: ٤/٢٦٧).

سادساً: اترك ورثتك أغنياء:

- عَنْ سَعْد رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَعُودُني وَأَنَا مَرِيضٌ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ: لي مَالٌ، أوصي بِمَالي كُلِّه؟ قَالَ: «لاَ» قُلْتُ: فَالشَّطْرُ؟ قَالَ: «لاَ» قُلْتُ: فَالثُّلُثُ؟ قَالَ: «الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثيرٌ، أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ منْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ في أَيْدِيهِمْ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، حَتَّى اللُّقْمَةَ تَرْفَعُهَا في في امْرَأَتكَ، وَلَعَلَّ اللَّه يَرْفَعُكَ، يَنْتَفعُ بِكَ نَاسٌ، وَيُضَرُّ بِكَ آخَرُونَ» (رواه البخاري (٢٧٤٢) ومسلم (١٦٢٨).

لاحظ معي قول النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: (أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ منْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ)؛ هَذَا نَصٌّ في أَنَّ ادِّخَارَ شَيْءٍ للْوَرَثَة بَعْدَ أَدَاءِ الْحُقُوقِ الْمَاليَّة الْوَاجبَة منْ زَكَاةٍ وَغَيْرِهَا خَيْرٌ منْ عَدَمِ التَّرْكِ. (الموسوعة الفقهية الكويتية (٢/٣٤٨).

- (أن تدع) أي أن تذر وتترك و(العالة) جمع العائل وهو الفقير، و(يتكففون الناس) أي يمدون إلى الناس أكفهم للسؤال. (الكوكب الدري في شرح البخاري (٢٠/٣).

سابعاً: القيام بواجب تربية الأولاد:

القيام بالمسئولية التربوية من الآباء والأمهات تجاه الذرية واجب؛ حتى ينشأ الأبناء جيلاً نافعًا له ولوالديه وللناس جميعًا، والقرآن العظيم غني بالنصائح الأبوية الكثيرة لإصلاح الدنيا والآخرة، ونشر السعادة والأمن في كل مكان منها مثلاً نصائح لقمان الحكيم، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (لقمان: ١٣).

والسنة النبوية الصحيحة عامرة بوصايا عظيمة. فيها الهدى والنور والسعادة والسرور، منها حديث ابْن عَبَّاس، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلمَاتٍ، احْفَظ اللَّه يَحْفَظْكَ... (سنن الترمذي: ٢٥١٦).

وبذلك تكون -بإذن الله تعالى- أمنت مستقبل ذريتك الأخلاقي. وإياك وإهمال رعيتك، عن مَعْقل بْن يَسَار الْمُزَنِيّ قال: قال رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَا منْ عَبْد يَسْترْعيه اللَّه رَعيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لرَعيَّته، إلاَّ حَرَّمَ اللَّه عَلَيْه الْجَنَّةَ» (صحيح مسلم: ١٤٢).

ثامناً: الدعاء الدائم بصلاح الذرية:

قال تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُوا۟ يُوعَدُونَ) (الأحقاف: ١٥- ١٦).

«وَأَصْلحْ لي في ذُرِّيَّتي» أي: اجْعَلْ ذُرِّيَّتي صَالحينَ. قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْد اللَّه: الْمَعْنَى اجْعَلْهُمْ لي خَلَفَ صدْق، وَلَكَ عَبيدَ حَقٍّ. وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ اجْعَلْهُمْ أَبْرَارًا لي مُطيعينَ لَكَ. وَقَالَ ابْنُ عَطَاء: وَفِّقْهُمْ لصَالح أَعْمَال تَرْضَى بهَا عَنْهُمْ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَليٍّ: لاَ تَجْعَلْ للشَّيْطَان وَالنَّفْس وَالْهَوَى عَلَيْهِمْ سَبيلاً. (تفسير القرطبي: ١٦/١٩٥).

اللهم أصلح لنا في ذرياتنا واجعلهم قرة عين لنا يا رب العالمين.

فَلاَ تُسَوِّدُوا وَجْهِي

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الإسلام، وكفى بها نعمة، والصلاة والسلام على سيد الأنام، وبعد:

بين مناسبتين:

المناسبة الأولى: دخولنا في أشهر الحج:

- قال تعالى: «ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ» (البقرة: ١٩٧).

المراد بالأشهر المعلومات عند جمهور العلماء: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة، فهي التي يقع فيها الإحرام بالحج غالبا. (تفسير السعدي: ١/ ٩١).

المناسبة الثانية: الصيف وجوه الحار الذي يزداد فيه العرق والأرق، فنحتاج إلى الماء لنطفئ العطش في الدنيا، والحر الأكبر والعطش الأعظم يوم القيامة.

نحاول الربط بين المناسبتين من خلال هذه الوصايا النبوية التي جاءت في أكبر تجمع للصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم حيث بلغ مائة وثلاثين ألفا تقريبًا.

الهدف من هذه الوصايا: السعادة:

١- **في الدنيا:** قال تعالى: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (آل عمران: ٣١).

٢- **في الآخرة:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» (صحيح البخاري: ٧٢٨٠).

من خطب يوم الحج الأكبر: عن عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ مُرَّةَ قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ مَخْضَرَمَةٍ فَقَالَ: "أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ يَوْمُكُمْ هَذَا؟" قَالَ: قُلْنَا يَوْمُ النَّحْرِ، قَالَ: صَدَقْتُمْ يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ، أَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ شَهْرُكُمْ هَذَا؟ "قُلْنَا: ذُو الحِجَّةِ، قَالَ: "صَدَقْتُمْ شَهْرُ اللَّهِ الأَصَمُّ، أَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ بَلَدُكُمْ هَذَا؟" قَالَ: قُلْنَا: المَشْعَرُ الحَرَامُ، قَالَ: " صَدَقْتُمْ "، قَالَ: " فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلاَ وَإِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ أَنْظُرُكُمْ، وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ، فَلاَ تُسَوِّدُوا وَجْهِي، أَلاَ وَقَدْ رَأَيْتُمُونِي وَسَمِعْتُمْ مِنِّي وَسَتُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، أَلاَ وَإِنِّي مُسْتَنْقِذٌ رِجَالاً أَوْ نَاسًا، وَمُسْتَنْقَذٌ مِنِّي آخَرُونَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ" (مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٣٤٩٧) المحقق: الأرناءوط إسناده صحيح، صحيح ابن ماجه (٣٠٥٧).

- هذا الحديث جمع وصايا كثيرة وتحذيرات كبيرة، ومن هذه التحذيرات (فَلاَ تُسَوِّدُوا وَجْهِي)، وجاءت هذه الوصية في حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن مشهد عجيب من مشاهد يوم القيامة.

يوم القيامة يوم العطش الأكبر:

لا شك أن يوم القيامة شديد الأهوال التي لا يتخيلها ولا يتحملها إنسان، من هذه الأهوال العطش الشديد والذي من أسبابه ما يلي:

١- اقتراب الشمس من الرؤوس:

عن سُلَيْم بْنُ عَامِر، حَدَّثَنِي المِقْدَادُ بْنُ الأَسْوَدِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ»- قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ- قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ. (صحيح مسلم: ٢٨٦٤).

قَالَ ابْنُ الْمَلَكِ: إِنْ قُلْتَ: إِذَا كَانَ الْعَرَقُ كَالْبَحْرِ يُلْجِمُ الْبَعْضَ، فَكَيْفَ يَصِلُ إِلَى كَعْبِ الآخَرِ، يُقَالُ يُمْسِكُ اللَّهُ تَعَالَى عَرَقَ كُلِّ إِنْسَانٍ بِحَسَبِ عَمَلِهِ؛ فَلاَ يَصِلُ إِلَى غَيْرِهِ مِنْهُ شَيْءٌ، كَمَا أَمْسَكَ جَرْيَةَ الْبَحْرِ لِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. (مرقاة المفاتيح: ٥/٣٥١٧).

٢- حمل الذنوب على الظهر:

- قال تعالى: « لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ » (النحل: ٢٥). وقال تعالى: « وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ» (الأنعام: ٣١).

٣- وجاءت جهنم غاضبة:

قال تعالى: « وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى» (الفجر: ٢٣- ٢٤).

-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا» مسلم (٢٨٤٢).

"يُؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، أربعة مليارات وتسعمائة مليون ملك (٤,٩٠٠,٠٠٠,٠٠٠) يجرون جهنم، ويزداد الحر حرًا، ولا ينجو إلا من عصم الله".

(دروس الشيخ المنجد: ٢/٧).

٤- الزحام الشديد:

كل الناس من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة واقفون مجتمعون في مكان واحد. قال تعالى: « يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ » (المطففين: ٦). وهذا يؤدي إلى شدة العطش.

هذه الأهوال المفزعة وغيرها تؤدي إلى عرق شديد وعطش أكيد، وهم وغم يكثر ويزيد، وفي وسط هذه الأهوال نجد حوضًا واسعًا جدًا به ماء يقف أمامه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

- ففي الحديث يقول صلى الله عليه وسلم: "أَلاَ وَإِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَنْظُرُكُمْ، وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ".

- (أنا فرطكم على الحوض-أي: سأسبقكم- يوم القيامة لأقف على الحوض. قوله: (أنا فَرَطُكُمْ على الْحَوْضِ) الفرط الذي يتقدَّم الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها، وفيه بشارة لهذه الأمة فهنيئًا لمن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فرطه. (عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢٣/١٣٧).

من صفات حوض النبي صلى الله عليه وسلم:

- هيا بنا لنتعرف على حوض النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة لنعلم صفات هذا الحوض والتي منها:

١- مساحة الحوض:

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ...» (صحيح البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢).

معنى الحديث: يقول النبي-صلى الله عليه وسلم- " حوضي مسيرة شهر " يعني مقدار ما يسير المسافر شهراً كاملاً، وفي رواية: " وزواياه سواء " أي أنه مربع مستوي الزوايا والجوانب كما في حديث أبي ذر: "عرضه مثل طوله" أخرجه مسلم. (منار القاري ٥/٣٠٥).

٢- رائحة ماء الحوض:

- عن عَبْد الله بْن عَمْرو بْن الْعَاص: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: «حَوْضي مَسيرَةُ شَهْر.. وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ» (رواه مسلم: (٢٢٩٢).

" وريحه أطيب من المسك " أي أحلى رائحة وأجمل طيباً من رائحة المسك. (منار القاري: ٣٠٥/).

٣- لون ماء الحوض:

عَنْ ثَوْبَانَ، أَنَّ نَبِيَّ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِه فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ...» (صحيح مسلم: ٢٣٠١).

٤- برودة ماء الحوض:

عَنْ عَبْد الله بْن عُمَرَ رَضِيَ الله عَنهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " حَوْضي أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، مَنْ شَرِبَ منْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.. (صَحَّحَهُ الْعَلاَّمَة أَحْمَد شَاكِر في الْمُسْنَد بِرَقْم: (٦١٦٢) الْعَلاَّمَةُ الأَلْبَانِيُّ في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦١٦).

هذا الماء البارد مناسب جدًا لشدة الحر والعطش.

٥- طعم ماء الحوض:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ حَوْضي.. وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ. (صحيح مسلم: ٢٤٧).

-بِالله عليكَ هل شربت عسل نحل أصلياً نقياً مخلوطا باللبن، فما طعم ذلك؟ ولكن هذا المثال للتقريب، وماء الحوض أطعم وألذ بكثير جدًا.

٦- ما عدد آنية الحوض؟:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه لآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلاَ في اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ» (صحيح مسلم: ٢٣٠٠).

قَالَ أَنَسٌ: قَالَ نَبِيُّ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: «تُرَى فِيهِ أَبَارِيقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ» (صحيح البخاري (٦٥٨٥)، وصحيح مسلم (٢٣٠٣)).

- يتضح من هذين الحديثين أن الصادق صلى الله عليه وسلم يُقسم أن عداد آنية الشرب من الحوض أكثر من عدد نجوم السماء أي تبلغ آلاف آلاف الملايين والأباريق واحد من ذهب والآخر من فضة كرمًا للضيافة.

٧- أين يأتي ماء الحوض؟

من حديث ثوبان أَنَّ نَبِيَّ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: قال.. يَغُتُّ فيه ميزَابَان يَمُدَّانه مِنَ الْجَنَّة، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَب، وَالآخَرُ مِنْ وَرِق» (صحيح مسلم: ٢٣٠١)).

قَالَ الْهَرَوِيُّ: وَمَعْنَاهُ يَدْفُقَان فيه الْمَاءَ دَفْقًا مُتَتَابِعًا شَدِيدًا، وَقِيلَ يَصُبَّان فيه دَائِمًا صَبًّا شَدِيدًا، أَيْ: لاَ يَنْقَطِعُ جَرَيَانُهُمَا. (شرح النووي لمسلم: ٦٣/١٥).

المعنى: يأتي ماء الحوض من أنهار الجنة من خلال أنبوبين كبيرتين أحدهما من ذهب والأخرى من فضة، المياه سريعة قوية شديدة لا تتوقف ولا تنقطع أبدًا عن الجريان، والله أعلم.

٨- أين مكان الحوض؟

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: " بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى. (صحيح البخاري: ٦٥٨٥).

هذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط. (التذكرة للقرطبي: ٧٠٣/١).

فلا تسودوا وجهي:

قَوْلُهُ: (فَلاَ تُسَوِّدُوا) بِأَنْ تَكْثُرُوا الْمَعَاصِيَ فَلاَ تَصْلُحُوا لأَنْ يُفْتَخَرَ بِمِثْلِكُمْ. (حاشية السندي على سنن ابن ماجه: ٢٤٨/٢).

- فلا تسودوا وجهي" يشير إلى أنه صلى

الله عليه وسلم يستحي من سيئات أمته إذا عرضت عليه" (لطائف المعارف: ١/ ٩٠).

٩- من المحروم المطرود من أمام الحوض؟

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: "كُلُّ مَنْ أَحْدَثَ فِي الدِّينِ فَهُوَ مِنَ الْمَطْرُودِينَ عَنِ الْحَوْضِ كَالْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَسَائِرِ أَصْحَابِ الأَهْوَاءِ، وَكَذَلِكَ الظَّلَمَةُ الْمُسْرِفُونَ فِي الْجَوْرِ وَطَمْسِ الْحَقِّ، وَالْمُعْلِنُونَ بِالْكَبَائِرِ، قَالَ: وَكُلُّ هَؤُلاَءِ يُخَافُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا مِمَّنْ عَنَوْا بِهَذَا الْخَبَرِ، وَاللهُ أَعْلَمُ". (شرح النووي لمسلم: ٣/ ١٣٧).

- عَنْ سَهْلٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونَنِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ؟ فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. رواه البخاري (٦٥٨٤) ومسلم (٢٢٩٠)).

(فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا): كُرِّرَ لِلتَّأْكِيدِ، أَيْ: بُعْدًا وَهَلاَكًا وَالْجُمْلَةُ دُعَاءٌ بِالْعَذَابِ. (مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٥٣٨)).

١٠- من السعيد الذي يشرب من الحوض؟

إذا أردت أن تكون من السعداء الذين يشربون من الحوض بإذن الله تعالى فعليك القيام بعبادات منها ما يأتي:

أولاً: الإخلاص لله تعالى في كل طاعة:

- قال تعالى: « قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ » (الأنعام: ١٦٢- ١٦٣).

- عن عبد الله بن مسعود: يُحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأعرى ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا فمن أطعم لله أطعمه، ومن سقا لله سقاه، ومن كسا لله كساه، ومن عمل لله كفاه، ومن نصر الله أراحه الله في ذلك اليوم. (التذكرة: ١/ ٢٥٤).

ثانيًا: الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » (الأحزاب: ٢١).

يَرِدُ النَّاسُ الحوض كالغمام، فتردهم الملائكة سبعون ألف ملك، مع كل ملك مرزبة من حديد يذودونهم عن الحوض إلا أهل السنة، من أراد أن يشرب فليتبع سنة محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه سيشرب لا محالة إذا صدق في المتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام. (دروس للشيخ عائض القرني: ٨٩/ ٢٧).

ثالثًا: المحافظة على الوضوء وإقامة الصلاة:

أ- قال تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (النور: ٥٦).

ب- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ وَإِنِّي لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا، مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ» (صحيح مسلم: ٢٤٧).

- قال الإمام النووي: "اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الأَحَادِيثَ مُصَرِّحَةٌ بِاسْتِحْبَابِ تَطْوِيلِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ، أَمَّا تَطْوِيلُ الْغُرَّةِ فَقَالَ أَصْحَابُنَا: هُوَ غَسْلُ شَيْءٍ مِنْ مُقَدَّمِ الرَّأْسِ، وَمَا يُجَاوِزُ الْوَجْهَ زَائِدٌ عَلَى الْجُزْءِ الَّذِي يَجِبُ غَسْلُهُ لاِسْتِيقَانِ كَمَالِ الْوَجْهِ، وَأَمَّا تَطْوِيلُ التَّحْجِيلِ فَهُوَ غَسْلُ مَا فَوْقَ الْمِرْفَقَيْنِ وَالْكَعْبَيْنِ، وَهَذَا مُسْتَحَبٌّ بِلاَ خِلاَفٍ بَيْنَ أَصْحَابِنَا، وَاخْتَلَفُوا فِي قَدْرِ الْمُسْتَحَبِّ عَلَى أَوْجُهٍ أَحَدُهَا أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ الزِّيَادَةُ فَوْقَ الْمِرْفَقَيْنِ وَالْكَعْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ تَوْقِيتٍ، وَالثَّانِي يُسْتَحَبُّ إِلَى نِصْفِ الْعَضُدِ وَالسَّاقِ، وَالثَّالِثُ يُسْتَحَبُّ إِلَى الْمَنْكِبَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَأَحَادِيثُ الْبَابِ تَقْتَضِي هَذَا كُلَّهُ. (شرح مسلم: ٣/ ١٣٤)

اللهم اسقنا من حوض نبيك صلى الله عليه وسلم شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدا آمين..

والحمد لله رب العالمين.

الشحاذة بين الاحتراف والاحتياج

الحلقة الثانية

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن أحكام الشحاذة، وفي هذا العدد نتناول بعض أحكامها، وأسبابها، ووسائل علاجها، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

ظاهرة التسول في المساجد:

أ- أَصْلُ السُّؤَالِ مُحَرَّمٌ فِي الْمَسْجِدِ وَخَارِجَ الْمَسْجِدِ إلاَّ لِضَرُورَةٍ، فَإِنْ كَانَ بِهِ ضَرُورَةٌ، وَسَأَلَ فِي الْمَسْجِدِ وَلَمْ يُؤْذِ أَحَدًا بِتَخَطِّيهِ رِقَابَ النَّاسِ وَلاَ غَيْرِ تَخَطِّيهِ، وَلَمْ يَكْذِبْ فِيمَا يَرْوِيهِ وَيَذْكُرُ مِنْ حَالِهِ، وَلَمْ يَجْهَرْ جَهْرًا يَضُرُّ النَّاسَ مِثْلَ أَنْ يَسْأَلَ وَالْخَطِيبُ يَخْطُبُ، أَوْ وَهُمْ يَسْمَعُونَ عِلْمًا يَشْغَلُهُمْ بِهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ، جَازَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠٦/٢٢).

ب- بالنسبة للذي يكذب ويصطنع فلا إشكال أنه آذى المصلين في بيت الله عز وجل وكذب، وأخذ أموال الناس بالباطل، ومن سأل الناس تكثراً لم تزل المسألة فيه حتى يلقى الله عز وجل وليس في وجهه مزعة لحم. والسؤال لا خير فيه ما لم يضطر إليه الإنسان لدَيْن أو نحو ذلك؛ فإنه يسأل، أما هذا الشكل الموجود بمجرد انتهاء الناس من الصلاة يقوم ويصيح ويلغط، فالحقيقة لو مُنع هؤلاء برفق وقيل لهم: اذهبوا إلى باب المسجد، فالمساجد ما بُنيت من أجل عرض حال المرضى وحالات المدينين لكان أولى.

ولقد كان الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يربط على بطنه الحجر، ولربما صُرع في المسجد، كما كان حال أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه، ومع ذلك ما جعلوا المساجد لهذا. شرح زاد المستقنع للشنقيطي (٣٨٦/١٨).

ج- دخل هشام بن عبد الملك- خليفة المسلمين- الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله، فقال له: يا سالم سلني حاجة. فقال له: إني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله. فلما خرج خرج في أثره فقال له: الآن قد خرجت فسلني حاجة فقال له سالم: حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: بل من حوائج الدنيا. فقال له سالم: ما سألتُ مَن يملكها فكيف أسأل مَن لا يملكها. صفة الصفوة (٩١/٢).

مَنْ تَحِلُّ لَهُ الْمَسْأَلَةُ

١- عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلاَلِيِّ، قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: " يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إِلاَّ لأَحَدِ ثَلاَثَةٍ رَجُلٍ، تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ- أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ- وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلاَثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلاَنًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ- أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ- فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتٌ يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا " صحيح مسلم (١٠٤٤).

- "قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ": الْقِوَامُ وَالسِّدَادُ هُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ وَهُوَ مَا يُغْنِي مِنَ الشَّيْءِ وَمَا تُسَدُّ بِهِ الْحَاجَةُ. شرح النووي (١٣٣/٧).

ذكر صلى الله عليه وسلم أن المسألة لا تحل إلا لواحد من ثلاثة:

١- رجل تحمل حمالة، يعني التزم مالاً في ذمته لإصلاح ذات البين، فهذا يُعطى وله أن يسأل حتى يصيبها، ثم يمسك ولا يسأل.

٢- ورجل آخر أصابته جائحة اجتاحت ماله، كنار وغرق وعدو وغير ذلك، فيسأل حتى يُصيب قواماً من عيش.

٣- والثالث: رجلٌ كان غنياً فافتقر بدون سبب ظاهر، وبدون جائحة معلومة، فهذا له أن يسأل، لكن لا يُعطى حتى يشهد ثلاثة من أهل العقول من قومه بأنه أصابته فاقة، فيُعطى بقدر ما أصابه من الفقر.

فهؤلاء الثلاثة هم الذين تحل لهم المسألة وما سوى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «فما سواهن من المسألة يا قبيصة، سحت يأكلها صاحبها سحتاً». والسحت هو الحرام، وسمي سحتاً؛ لأنه يسحت بركة المال، وربما يسحت المال كله، فيكون عليه آفات وغرامات تسحت ماله من أصله، والله الموفق. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٣/٣٩٣).

٢- عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال: إن المسألة لا تصلح إلا لثلاث؛ لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع. صحيح الترغيب (٨٣٤).

-(إن المسألة) أي الطلب من الناس أن يعطوه من أموالهم شيئًا (إلا لأحد ثلاثة لذي دم موجع) يعني ما يتحمله الإنسان من الدية فإن لم يتحملها وإلا قتل فيوجعه القتل (أو لذي غرم مفظع) شديد شنيع والمراد به ما استدانه لنفسه وعياله (أو لذي فقر مدقع) أي شديد يفضي بصاحبه إلى الدقعاء وهي اللصوق بالتراب من شدة الفقر. فيض القدير (٢/٣٨٩).

حكم الشحاذة (التسول):

في" مجموع فتاوى ابن باز " (١٤/٣٢٠) ذكر حديث قبيصة السابق، ثم قال: " فهذا الحديث قد أوضح فيه النبي صلى الله عليه وسلم أنواع المسألة المباحة، وأن ما سواها محرم، فمن كان عنده ما يسد حاجته من راتب وظيفة، أو تجارة، أو غلة وقف أو عقار، أو كسب يدوي من نجارة، أو حدادة، أو زراعة أو نحو ذلك، حرمت عليه المسألة. أما من اضطر إليها: فلا حرج عليه أن يسأل بقدر الحاجة، وهكذا من تحمل حمالة لإصلاح ذات البين، أو النفقة على أهله وأولاده، فلا حرج عليه أن يسأل لسد الغرامة".

أسباب الشحاذة (التسول):-

- للشحاذة أسباب عديدة لا يمكن حصرها في محور واحد، ولكن الدافع الوحيد لها هو الحصول على المال وبمرور الزمن يتحوّل التسوّل نفسه إلى دافع وباعث، وإن وصل المتسوّل إلى حد الاكتفاء والإشباع أو ترقّى ليُصبح من طبقة الأثرياء فنراه يبقى ملازماً للتسوّل إلى نهاية العمر.

من أسباب الشحاذة:

أولاً: ضعف الثقة برزق الله تعالى:

الله جل وعلا ضمن الرزق لجميع مخلوقاته، فقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (هود: ٦)، وقال سبحانه: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ (الذاريات: ٢٢-٢٣).

ثانيًا: الفقر: وهو عدم الحصول على مستلزمات الحياة الأساسية كالمأكل والمشرب والملبس، بسبب البطالة وعدم وجود مهنة أو حرفة لدى الشخص المتسوّل، أو أن له حرفة ولكنها لا تكفي لسد احتياجاته، لكثرة عياله أو لارتفاع أسعار المواد الغذائية ومتطلبات الحياة.

ثالثًا: الكسل: وهو حبّ الراحة، وعدم بذل الجهد العقلي والعضلي باتخاذ عمل معين أو حرفة معينة فيجد المتسوّل له مجالاً للحصول على المال اللازم دون تعب أو جهد يبذله، وغالباً ما يكون المال المحصّل أكثر بكثير مما لو اتخذ عملاً عضلياً أو عقلياً.

رابعًا: فقدان المعيل: فاليتيم والأرملة الفاقدان للعائل قد يختاران التسوّل بسبب حرمانهما من المعيل الذي يوفّر لهما مستلزمات الحياة المادية والروحية، فيفتقدان المال والإشراف والتوجيه التربوي الذي يربّيهما على عزّة النفس وكرامتها ويمنعهما من اتخاذ الأعمال الوضيعة ومن إذلال النفس بالتسوّل وغيره.

اللَّهُمَّ اكْفِنا بِحَلالِكَ عَنْ حَرامِكَ، وَأَغْنِنا بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ.

الشحاذة بين الاحتراف والاحتياج

الحلقة الثالثة

إعداد: صلاح عبد الخالق

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن أحكام الشحاذة، وفي هذا العدد نتناول ما تبقى من أسبابها، ووسائل علاجها، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

خامسًا: التربية الخاطئة في مرحلة الطفولة:

وتعليم الأطفال على طلب الحاجة إلى الغير، وبطلب العون من كل أحد قد يحصل الأنس بالتسوّل: فقد يتسوّل البعض للحصول على المال، ولكن بمرور الزمن يحدث لديهم أنس بالتسوّل نفسه، فيصبح المتسوّل ثريّاً، أو قد يجد من يكفيه من المال من ابن أو من قريب أو ما شابه ذلك، ولكنه لا يترك التسوّل لاعتياده عليه، ولحدوث حالة الأنس بينه وبين التسوّل.

سادسًا: توارث الظاهرة من الآباء وانتقالها إلى الأبناء: فأغلب المتسوّلين يصحبون أطفالهم أثناء التسوّل، لتصبح مهنتهم هي التسوّل بعد التعوّد عليها وعدم وجود الرادع لهم.

سابعًا: سوء توزيع الثروات داخل المجتمع: وقلّة التراحم والاقتصار على بذل اليسير من المال غير الكافي لسدّ حاجة المحتاجين، أو الذي لا يصل إلى مستحقيه بشكل عادل؛ فالمتسوّل قد لا يجد من يعطف عليه لإشباع حاجاته الأساسية من مأكل وملبس ومسكن فيوزّع طلباته على كل الناس، ليجمع منهم اليسير، وليعطيه كل شخص جزءًا يسيرًا من المال، حتى يحصل بتجميعها مبلغاً لا بأس به.

من وسائل علاج مشكلة الشحاذة (التسول):

١- اللجوء إلى الله تعالى: التوجّه إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والإلحاح به مع توفير شروطه، فإن الدعاء المصحوب بالسعي للحصول على العمل وعلى الرزق يحقق للإنسان طلبه في الحصول عليه فيستغني عن الآخرين ولا يضطرّ إلى التسوّل.

أ- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ..» سنن الترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني.

ب- عَنِ عبد اللَّهِ بن مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلم من نزلت به فاقة فأنزلها بالنَّاس لم تسد فاقته، وَمَن نزلت بِهِ فاقة فأنزلها بِاللَّهِ فيوشك اللَّهُ لَهُ برزق عَاجِل أَو آجل. صحيح الجامع (٦٥٦٦) يُوشِكُ: أَيْ يُسْرِع.

ج- عَنْ عَلِيٍّ، أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ مُكَاتَبَتِي فَأَعِنِّي، قَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ صِيرٍ دَيْنًا أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ، قَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ. حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٣٥٦٣).

- قوله: "وأغنني بفضلك عمَّن سواك" أي: واجعل فضلَكَ وهو ما تَمُنُّ به عليَّ من نعمة وخير ورزق مغنيًا لي عمَّن سواك، فلا أفتقر إلى غيرك، ولا ألتجئُ إلى أحد سواك. فقه الأدعية والأذكار(٣/٢٠٠).

٢- الاستغناء عن الناس: عن سهل بن سعد الثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتاني جبريل فقال: يا محمدُ عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقُه،

واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به، واعلم أن شرفَ المؤمن قيامُهُ بالليل وعزَّه استغناؤه عن الناس). صحيح الجامع (٧٣).

٣- العمل والبعد عن الكسل: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ، فَيَحْطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنَ النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلاً، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ» صحيح مسلم (١٠٤٢).

٤- القناعة: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ» صحيح مسلم (١٠٥٤).

قد أفلح الإنسان الذي دخل في هذا الدِّين، فأسلم نفسه، وأسلم وجهه، وأسلم قلبه لله رب العالمين، يحكم فيه بما يشاء، ويفعل فيه ما يريد، ولا يعترض على الله، فإذا رزقه الكفاف-أي: على قدر الحاجة، لا زيادة ولا نقصان- ورزقه الله سبحانه وتعالى القناعة مع الرزق الذي ساقه إليه، فإنه يقنع. شرح رياض الصالحين - حطيبة (٣٦/٢).

٥- الأخذ بنظام الأسر المنتجة: فبدلاً من إعطاء المتسول مبلغاً من المال فيُمكن توفير فرصة عمل له أو تعليمه حرفة أو فتح محل له ليُصبح عضواً منتجاً، ويُمكن أن يقوم بعض رجال الأعمال ببعض هذه المشاريع الخيرية في إطار الدور الاجتماعي الذي يقع على عاتق أصحاب رؤوس الأموال.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: «أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟» قَالَ: بَلَى، حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، قَالَ: «ائْتِنِي بِهِمَا»، قَالَ: فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟» قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ، قَالَ: «مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلاَثًا»، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ، وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ: «اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ»، فَأَتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُودًا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ، وَلاَ أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا» فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا، وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، " سنن أبي داود (١٦٤١) والترمذي (١٢١٨) وقال حسن.

٦- إنشاء قاعدة بيانات للأسر الفقيرة: البيانات تتضمن كافة المعلومات الاقتصادية والاجتماعية عن كل فرد من أفراد الأسرة، حتى يُمكن توجيه المساعدات والمعونات النقدية والعينية بصورة شهرية أو متكررة أو طارئة أو استثنائية.

٧- تفعيل دور المواطن: في الوقاية من ظاهرة التسول، وذلك بعدم التبرع لأي شخص يطلب أو يستجدي المال في الشارع أو على أبواب المساجد أو المستشفيات أو غيرها من الأماكن العامة، بل يتم توجيه هذه الأموال وإيداعها في صناديق خاصة توزع حصيلتها على الأسر المعوزة من واقع البيانات الرسمية.

٨- تحقيق التكافل الاجتماعي:

تكفل الإسلام أصحاب الحاجات ومن على شاكلتهم ولم يتركهم هملاً وعُرضة لآفة الفقر والحرمان من قِبَل المجتمع المسلم الذي ينتمون إليه ويُحسَبون عليه، بوسائل كثيرة، من زكاة مفروضة وصدقات وكفارات.

اللَّهُمَّ اكْفِنَا بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنَا بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ.

قضاء حوائج الناس

الحلقة الأولى

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد:

الحوائج: ما يحتاجه الإنسان ليكمل به أموره.

ومن أمثلة قضاء حوائج الناس: نَفْعهمْ بِمَا تَيَسَّرَ مِنْ عِلْم أَوْ مَال أَوْ مُعَاوَنَة أَوْ إِشَارَة بِمَصْلَحَة أَوْ نَصِيحَة، أَوْ تَكْشفُ عنهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعاً أَوْ..

عَنْ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، أَيُّ النَّاس أَحَبُّ إِلَى اللَّه؟ وَأَيُّ الأَعْمَال أَحَبُّ إِلَى اللَّه؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: أَحَبُّ النَّاس إِلَى اللَّه أَنْفَعُهُمْ للنَّاس، وأَحَبُّ الأَعْمَال إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ سُرُورٌ تُدْخلُهُ على مُسْلم، أَوْ تَكْشفُ عنهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعاً، ولأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي الْمُسْلم فِي حَاجَة أَحَبُّ إِلَيَّ من أن أعتكف فِي هَذَا الْمَسْجد شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّه عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظاً ولَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأ اللَّه قَلْبَهُ رِضًى يَوْمَ القيامة، ومن مشى مَعَ أَخِيه الْمُسْلم فِي حَاجَته حَتَّى يُثْبِتَهَا لهُ أَثْبَتَ اللَّه تَعَالَى قَدَمَهُ يَوْمَ تَزِلُّ الأَقْدَامُ». (السلسلة الصحيحة: ٩٠٦).

إعداد/ صلاح عبد الخالق

أولاً: ثمار عاجلة في الدنيا:

أبشر يا من تقوم بقضاء حوائج الناس ونفعهم بقدر استطاعتك بثمار عاجلة فورية تراها أمام عينيك تحس بها وتسعد بها في الدنيا منها:

أولا: محبة الملك عز وجل:

في الحديث السابق: «أَحَبُّ النَّاس إِلَى اللَّه أَنْفَعُهُمْ للنَّاس، وأَحَبُّ الأَعْمَال إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ سُرُورٌ تُدْخلُهُ على مُسْلم، أَوْ تَكْشفُ عنهُ كُرْبَةً أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا أَوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعاً».

ثانيا: تشريف الله لك:

شرف عظيم أن جعلك الله تعالى تقوم بقضاء حوائج الناس ونفعهم، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا يَخْتَصُّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ». (صحيح الجامع: ٢١٦٤).

ثالثا: تجارة مع الله تعالى بالملايين:

قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: (ولأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي الْمُسْلم فِي حَاجَة أَحَبُّ إِلَيَّ من أن أعتكف فِي هَذَا الْمَسْجد شَهْرًا). سبحان الله العظيم مجرد المشي مع أخيك المسلم لقضاء حاجة له، أو تحاول حل مشكلة له قُضيت أم لم تُقضَ أحب إليه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ من الاعتكاف في مسجده شهرًا كاملاً.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْف صَلاَة فِيمَا سِوَاهُ، إِلاَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ» (رواه البخاري ١١٩٠، ومسلم ١٣٩٤).

المسجد النبوي الصلاة فيه بألف صلاة، فشخص يعتكف شهراً في المسجد النبوي سيصلي (١٥٠) صلاة تقريباً، والاعتكاف ليس فيه (١٥٠) صلاة فقط، بل فيه تسبيح وتهليل وأجر الاعتكاف نفسه فكم سيكون الأجر؟ أجر هائل، اعتكاف في المسجد النبوي فيه (١٥٠) صلاة، وتسبيح بعد كل صلاة، وذكر لله والصلوات التي تكون بين الأذان والإقامة وأجر الاعتكاف نفسه، وقراءة القرآن، أجر هائل جدًا وعظيم لا يُتصور! تمشي مع أخيك المسلم في حاجته، فتأخذ أكثر من أجر الاعتكاف في المسجد النبوي شهراً، فهذه المسألة تحتاج إلى تفكير؛ لأن تصورها صعب. (دروس للشيخ محمد المنجد: ٩/٧٠).

رابعا: سداد ديونك اليومية:

اعلم جيدًا أنه عليك في كل يوم ديون عليك سدادها!

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ،

وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» (رواه البخاري: ٢٩٨٩، ومسلم: ١٠٠٩).

ب- عن عَائِشَةَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثمِائَةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ، وَحَمِدَ اللَّهَ، وَهَلَّلَ اللَّهَ، وَسَبَّحَ اللَّهَ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثمِائَةِ السُّلَامَى، فَإِنَّهُ يُمْشِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ» (رواه مسلم: ١٠٠٧).

(كل سلامى) أي: مفصل، والإنسان فيه ثلاثمائة وستون مفصلاً، فأنت تتصدق بصدقة عن كل مفصل، يعني: كل يوم ثلاثمائة وستون صدقة تخرجها لله سبحانه وتعالى شاكراً له حامداً على ما أخذت من النعم، وتعرف النعم حين ترى المريض، أو ترى رجلاً يده مشلولة، لا يعرف كيف يحركها، أو لا يستطيع أن يرفع اللقمة إلى فيه، وبذلك تعرف نعمة الله عز وجل عليك، فيفترض عليك أن تشكر الله على كل مفصل. لكن يَصعب على الإنسان أن يَتصدق عن كل مفصل على حدة، ولذلك علمنا النبي صلى الله عليه وسلم ما هو أسهل من ذلك: (تعدل بين اثنين صدقة) يعني: حين تُصلح بين الاثنين بالعدل فهذا من الصدقة. (تُعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة) حين تُعين الإنسان في حمل متاعه على دابته، لك في ذلك أجر وتدل الرجل على طريقه وتهديه صدقة، وتعين الأعمى وتدله على الطريق صدقة، وتعين الأخرق الذي لا يقدر على صنع الشيء الذي في يده صدقة. (شرح رياض الصالحين، حطيبة: ٤/٨).

خامسًا: علاج همومك ومشكلاتك:

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ....» (صحيح مسلم: ٢٦٩٩).

هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ جَامِعٌ لأَنْوَاعٍ مِنَ الْعُلُومِ وَالْقَوَاعِدِ وَالآدَابِ، وَفِيهِ: فَضْلُ قَضَاءِ حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ وَنَفْعِهِمْ بِمَا تَيَسَّرَ مِنْ عِلْمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ مُعَاوَنَةٍ أَوْ إِشَارَةٍ بِمَصْلَحَةٍ أَوْ نَصِيحَةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. (شرح النووي: ١٧/٢١).

ب- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ» (رواه البخاري ٢٤٤٢، ومسلم: ٢٥٨٠).

الله في عون العبد وحاجته ما كان العبد في عون أخيه:

- الجزاء من جنس العمل كما يسَّرت وسهَّلت وقضيت مصالح الناس ونفعتهم يُيسر الله عليك كل عسير يُقابلك من حيث لا تدري فتجد إنسانًا تعرفه أو لا تعرفه سخره الله تعالى لك يقوم بحل مشاكلك، ويقضي لك مصالحك؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ) أَيْ: سَهَّلَ عَلَى فَقِيرٍ، وَهُوَ يَشْمَلُ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ، أَيْ: مَنْ كَانَ لَهُ دَيْنٌ عَلَى فَقِيرٍ فَسَهَّلَ عَلَيْهِ بِإِمْهَالٍ أَوْ بِتَرْكِ بَعْضِهِ أَوْ كُلِّهِ (يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ) أَيْ: فِي الدَّارَيْنِ.

(مرقاة المفاتيح: ١/٢٨٦).

قال تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ) (الليل: ٥- ٧).

والأمثلة على ذلك لا تُحصى منها:

١- مثال من القرآن العظيم قال تعالى: (وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝٢٤ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ۖ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ۝٢٦ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ) (القصص: ٢٣- ٢٧).

عندما وصل موسى عليه السلام إلى مدين هاربًا من بطش فرعون وجد بئرًا يسقي الناس منه مواشيهم ووجد امرأتين تقفان بعيداً عن الرجال

بمواشيهم فسألهما عن السبب فرق لحالهما فسقى لهما لوجه الله تعالى فجاء الفرج سريعًا من عند الله تعالى: «فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا»؛ يسر الله على موسى عليه السلام فشعر بالأمان وتزوج ابنة الرجل الصالح.

٢- قصة وعبرة:

حكى أحد الدعاة ذلك فقال: اقترب مني أستاذ جامعي وقال لي: والله إني منذ سنتين وأنا أسافر إلى لندن لأتعالج؛ لأني أعاني من مرض في القلب، جلست في يوم من الأيام مع صاحب لي إلى جوار رجل يعمل جزاراً، ونظرت فرأيت امرأة كبيرة فقيرة إلى جوار هذا الجزار الذي يبيع اللحم، تنقب عن قطعة لحم على الأرض أو على عظمة صغيرة، فشد انتباهي هذا المشهد، وناديت على المرأة وقلت لها: سبحان الله! ماذا تصنعين تبحثين عن قطع اللحم النيئ المرمي على الأرض؟ فقالت: والله إن أبنائي في شوق لقطعة من اللحم وما ذاقوا اللحم منذ ستة أشهر فبكيت وقمت على الفور، وقلت لهذا الجزار: يا أخي! هذه المرأة ستأتيك في كل أسبوع فأعطها من اللحم ما تريد، وأنا أحاسبك على كل ما تأخذه عاماً بعام، فقالت المرأة: أحتاج إلى كيلو واحد فقط، فقال هذا الرجل: كلا. بل أعطها اثنين، فسعدت المرأة وبكت، ورفعت رأسها إلى السماء، وتضرعت بالدعاء، وأخرج الرجل من حافظة نقوده مبلغاً من المال ليكفي هذه المرأة عاماً بكامله، وعادت المرأة إلى بيتها سعيدة، وسعد الأبناء بهذا اللحم الوفير.

وعاد الرجل إلى بيته، دخل ووجهه يتلألأ، يشعر بشيء غريب في جسده كله، فقالت له زوجته: ما شاء الله! أراك نشيطاً، وقالت له ابنته: ما الذي غير وجهك يا أبي؟! فقص عليها القصة فبكت الأم وبكت البنت، وقالت البنت: أسأل الله يا أبي! أن يسعدك بشفاء مرضك كما أسعدت هذه المرأة الفقيرة وأولادها.

يقول: بعد أيام قليلة بدأت أشعر بتحول كامل في بدني كله. يقول: وبالرغم من ذلك أصر الأحبة أن أسافر إلى لندن لأجري الجراحة. فلما ذهب إلى هنالك، ونام بين يدي طبيبه الخاص، صرخ طبيبه وقال: عند أي الأطباء في مصر قد أجريت جراحتك؟ قال: لقد تاجرت مع الله فأغناني الله وشفاني.

سادسًا: كلاَّ وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا:

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: «وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: « فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (العلق: ١- ٣)، «فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلاَّ وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. (صحيح البخاري: ٣).

هذه الزوجة الصالحة تقف بجوار زوجها في أصعب الأمور، وتقسم بالله أنه لا يُخزيك أبدًا؛ بسبب نفعك للناس من صلة الأرحام وكفالة الأيتام وإكساب المعدومين، وتعين أصحاب الحاجات من الفقراء.

سابعًا: حُسن الخاتمة:

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ». (صحيح الجامع: ٣٧٩٦).

المعروف هو ما يُسديه العبد لأخيه من خير فيقيه مصارع السوء أي: يُحفظ منها، فصانع المعروف يُختم له بخاتمة حسنة، ومن يُختم له بذلك يكون عند موته بأحسن حال. (مجلة البحوث الإسلامية: ٨٧/٢٢٣).

نسأل الله أن يعيننا على الإحسان وبذل المعروف وأن يقينا شح أنفسنا؛ إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين.

قضاء حوائج الناس

الحلقة الثانية

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى.. وبعدُ..

فقد تحدثنا في العدد الماضي عن بعض جزاء قضاء حوائج الناس في الدنيا، ومنها مثلاً: الحصول على محبة الله، وتشريف الله لك، وتجارة مع الله، وسداد ديونك، وعلاج همومك، وتيسير أمورك، وحسن الخاتمة.

ونتابع بفضل الله الحديث عن ثواب قضاء حوائج الناس في الآخرة.

إعداد/ صلاح عبد الخالق

إن في يوم القيامة أهوالاً لا تخطر على بال ولا يتخيلها عقل، منها قوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ» (الحج: ١).

- وفي السنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاس يَوْمَ القِيَامَة وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّه النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيد وَاحِد، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْب مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ. رواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤).

من جزاء قضاء حوائج الناس ونفعهم في الآخرة مثلاً:

١ تفريج كربات يوم القيامة:

أ- عن عَبْدِاللَّه بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَة أَخِيه كَانَ اللَّه فِي حَاجَتِه، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِم كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّه عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَة، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِر يَسَّرَ اللَّه عَلَيْه فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّه فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَاللَّه فِي عَوْن العَبْد مَا كَانَ العَبْد فِي عَوْن أَخِيه». رواه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠).

ب- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّه عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ..» صحيح مسلم (٢٦٩٩).

- الْكُرْبَةُ: هِيَ الشِّدَّةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تُوقِعُ صَاحِبَهَا فِي الْكَرْبِ، وَتَنْفِيسُهَا أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُ مِنْهَا، مَأْخُوذٌ مِنْ تَنْفِيسِ الْخِنَاقِ، كَأَنَّهُ يُرْخِي لَهُ الْخِنَاقَ حَتَّى يَأْخُذَ نَفَسًا، وَالتَّفْرِيجُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنْ يُزِيلَ عَنْهُ الْكُرْبَةَ، فَتُفْرَجُ عَنْهُ كُرْبَتُهُ، وَيَزُولُ هَمُّهُ وَغَمُّهُ، فَجَزَاءُ التَّنْفِيسِ التَّنْفِيسُ، وَجَزَاءُ التَّفْرِيجِ التَّفْرِيجُ.

- قَوْلُهُ: «كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» كُرَبُ الدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى كُرَبِ الآخِرَةِ كَلاَ شَيْءَ، فَادَّخَرَ اللَّه جَزَاءَ تَنْفِيسِ الْكَرْبِ عِنْدَهُ، لِيُنَفِّسَ بِهِ كُرَبَ الآخِرَةِ. جامع العلوم والحكم (٢/٢٨٧).

- من نفَّس عن مؤمن كربة، ولو بالكلام الطيب، ولو بالتسلية والمواساة والتعزية؛ تنفس عنه بأن تُعينه بمالك أو بعملك أو بالشفاعة له عند إنسان فتزيل عنه الكربة، وتيسر عليه أمراً كان عسيراً عليه، فأجرك يوم القيامة أن يكشف الله عز وجل عنك كربة من كربات يوم القيامة، وفي الدنيا ييسر عليك سبحانه وتعالى. (شرح رياض الصالحين، حطيبة: ٣/٩٦).

٢- تيسير الحساب:
- قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.
- عَنْ أَبِي مَسْعُود، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ»، قَالَ: « قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ» رواه مسلم (١٥٦١).
- وَفِي هَذِهِ الأَحَادِيثِ فَضْلُ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ وَالْوَضْعِ عَنْهُ إِمَّا كُلَّ الدَّيْنِ وَإِمَّا بَعْضُهُ مِنْ كَثِيرٍ أَوْ قَلِيلٍ، وَفَضْلُ الْمُسَامَحَةِ فِي الاقْتِضَاءِ وَفِي الاسْتِيفَاءِ سَوَاءٌ اسْتُوْفِيَ مِنْ مُوسِرٍ أَوْ مُعْسِرٍ وَفَضْلُ الْوَضْعِ مِنَ الدين، وأنه لا يحتقر شيء مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ فَلَعَلَّهُ سَبَبُ السَّعَادَةِ وَالرَّحْمَةِ. شرح النووي (١٠/٢٢٤).
٣- فِي ظِلِّ عرش الرحمن:
أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ لَهُ، أَظَلَّهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ» سنن الترمذي (١٣٠٦).
ب- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» صحيح البخاري (٦٠٦).
هؤلاء من السعداء يوم القيامة؛ منهم من قضى مصالح الناس كالإمام العادل وأهل المحبة في الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأهل الصدقات في ضيافة الملك يوم القيامة.
٤- النجاة من كرب الصراط:
- عنْ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ومن مشى مَعَ أخيه المُسْلم في حاجته حَتَّى يُثبتها له أثبت الله تَعَالَى قَدَمَهُ يَوْمَ تَزِلُّ الأَقْدَامُ». صحيح الجامع (١٧٦).
- الصراط جسر ممدود على ظهر جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر عليه خطاطيف وكلاليب وأشواك مأمورة بالخطف، لا تثبت عليه الأقدام إلا من ثبتهم الرحمن فكما أنك ثبت قدمك وصبرت حتى تقضي حاجة الآخرين ثبت الله قدميك على الصراط حتى تدخل الجنة بسلام وأمان.
٥- مغفرة الذنوب: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ، فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ» رواه مسلم (٢٢٤٥). والركية البئر، والبغي هي الزانية، والموق هو الخف.
غفر الله الرحيم لهذه الزانية لرحمتها بالكلب ونفعه، فمن باب أولى مغفرة ذنوب من ينفع الناس.
آداب قضاء حوائج الناس:
هناك آداب كثيرة ينبغي أن يحافظ عليها كل من يقضي حاجات الناس وينفعهم منها:
١- الإخلاص لوجه الله تعالى:
- قال تعالى: «لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» (النساء: ١١٤)، «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ» أَيْ: مُخْلِصًا فِي ذَلِكَ مُحْتَسِبًا ثَوَابَ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ «فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» أَيْ: ثَوَابًا كَثِيرًا وَاسِعًا. (تفسير ابن كثير: ٢/٤١٢).
- عن عبد الله بن مسعود: «يُحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأعرى ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا، فمن أطعم لله أطعمه، ومن سقى لله سقاه، ومن كسا لله كساه، ومن عمل لله كفاه. التذكرة (١/٢٥٤).
- عند بداية عمل أي معروف قل في نفسك: «لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا» (الإنسان: ٩).
٢- عدم المن والأذى:
-قال تعالى: « الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » (البقرة: ٢٦٢).
- الْمَنُّ وَالأَذَى مُبْطِلاَنِ لِثَوَابِ الصَّدَقَةِ كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى: « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ » (البقرة: ٢٦٤).
الْمَنُّ: ذِكْرُ النِّعْمَةِ عَلَى مَعْنَى التَّعْدِيدِ لَهَا وَالتَّقْرِيعِ بِهَا؛ مِثْلَ أَنْ يَقُولَ: قَدْ أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ وَنَعَشْتُكَ وَشِبْهَهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمَنُّ: التَّحَدُّثُ بِمَا أَعْطَى حَتَّى يَبْلُغَ ذَلِكَ الْمُعْطَى فَيُؤْذِيَهُ. وَالْمَنُّ مِنَ الْكَبَائِرِ.
الأَذَى: السَّبُّ وَالتَّشَكِّي، وَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الْمَنِّ، لأَنَّ الْمَنَّ جُزْءٌ مِنَ الأَذَى لَكِنَّهُ نَصَّ عَلَيْهِ لِكَثْرَةِ وُقُوعِهِ. تفسير

القرطبي (٣٠٨/٣).

٣- المداومة على قضاء حوائج الناس:

قال تعالى: «وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم» (محمد: ٣٨).

- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا يَخْتَصُّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ» صحيح الجامع(٢١٦٤).

- (إن لله تعالى أقوامًا يختصهم بالنعم) من نعمة المال أو الجاه أو العلم ولا تنحصر نعمة الله. (لمنافع العباد) لأجل نفع العباد على أيديهم. (ويقرها) يبقيها. (فيهم ما بذلوها) مدة بذلهم إياها. (فإذا منعوها نزعها منهم) سلبها عنهم. (فحولها إلى غيرهم) ليقوموا بنفع العباد بها؛ فإن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. (التنوير شرح الجامع الصغير: ٣٦/٤).

٤- تعجيل المعروف:

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ» صحيح مسلم (٢١٩٩).

لا تتردد ولا تتأخر في الخير ونفع الناس، فخير البر عاجله.

٥- الصبر والعفو:

- قال تعالى: «وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (النور: ٢٢).

- هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق لما منع مسطح بن أثاثة وهو ابن خالته، وكان رجلاً فقيراً من المهاجرين ووقع مسطح في عرض بنت أبي بكر السيدة عائشة فغضب عليه أبو بكر وحلف أن يمنعه ما كان يعطيه من طعام وشراب، فأنزل الله تعالى هذه الآية «ولا يأتل» أي ولا يحلف أصحاب الفضل والإحسان والسعة في الرزق والمعاش «أن يُؤتوا أولى القربى» أي أن يعطوا أصحاب القرابة، «والمساكين والمهاجرين في سبيل الله» كمسطح، «وليعفوا» أي وعليهم أن يعفوا عما صدر من أولئك الأقرباء من الفقراء والمهاجرين، «وليصفحوا» أي يعرضوا عما قالوه فلا يذكروه لهم ولا يذكرونهم به فإنه يحزنهم ويسوؤهم ولاسيما وقد تابوا.

- نزلت لتصحح للصديق هذه النظرة وتُوجِّه انتباهه إلى جانب الخير الباقي عند الله لا عند الناس. (تفسير الشعراوي: ١٠٢٢٨/١٦).

٦- ستر المعروف وتصغيره:

- للمعروف شروط لا يتم إلا بها ولا يكمل إلا معها؛ فمنها ستره عن إذاعته وإخفاؤه عن إشاعته، قال بعض الحكماء: إذا اصطنعت المعروف فاستره، وإذا اصطنع إليك فانشر لما جُبلت عليه النفوس من إظهار ما أخفي، وإعلان ما كتم، ومن شروطه تصغيره عن أن تراه مستكبرًا، وتقليله عن أن يكون عنده مستكثرا لئلا يصير مذلاً بطرا أو مُستطيلاً أشرًا. قال العباس: لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال؛ تعجيله، وتصغيره وستره، ومنها مجانبة الامتنان به وترك الإعجاب بفعله لما فيه من إسقاط الشكر وإحباط الأجر، ومنها أن لا يحتقر منه شيئًا وإن كان قليلاً نزرًا إذا كان الكثير معوزًا وكنت عنه عاجزًا». فيض القدير (٢٧٣/٤).

آداب لمن صُنِعَ له معروف:

الشكر والدعاء: ينبغي لك أن تقدم الشكر لمن قدم إليك معروفًا وتدعو له:

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ» سنن الترمذي (١٩٥٤) وصحيح الجامع (٦٥٤١).

ب- عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ «سنن الترمذي (٢٠٣) وصححه الألباني.

(فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ) أَيْ: بَالَغَ فِي أَدَاءِ شُكْرِه، وَذَلِكَ أَنَّهُ اعْتَرَفَ بِالتَّقْصِيرِ وَأَنَّهُ مِمَّنْ عَجَزَ عَنْ جَزَائِهِ وَثَنَائِهِ فَفَوَّضَ جَزَاءَهُ إِلَى اللَّهِ لِيَجْزِيَهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى. مرقاة المفاتيح (٢٠١٢/٥).

ج- عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ» سنن النسائي (٢٥٦٧).

- «فكافئوه»؛ أي: فأحسنوا إليه مثل ما أحسنَ إليكم. قوله: «فإن لم تجدوا ما تكافئوه»؛ يعني: فإن لم تجدوا من المال ما تكافئوه فكافئوه بالدعاء. قوله: «حتى تروا أن قد كافأتموه»؛ يعني: كرّروا الدعاءَ له حتى تعلموا أن قد أدَّيتم حقَّه. المفاتيح في شرح المصابيح (٥٥٣/٢).

والحمد لله رب العالمين.

من دروس تحويل القبلة

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله، وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد:

فحادثة تحويل قبلة الصلاة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، بغض النظر عن تاريخ هذا التحويل؛ إذ تعددت أقوال العلماء في تاريخ تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام. وأرجح الأقوال أنه كان في نصف شهر رجب من السنة الثانية للهجرة على الصحيح، وبه قال الجمهور، كما نص عليه الحافظ ابن حجر في الفتح.

وفي هذا المقال نحاول تدبر بعض فوائد هذا الحدث الجليل، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إن تحويل القبلة نعمة كبيرة أخبرنا الله تعالى عنها في خواتيم الآيات التي تحدثت عن تحويل القبلة في سورة البقرة فقال: «وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (البقرة: ١٥٠).

وإن اليهود ليحسدوننا على تحويل القبلة، فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّهُمْ - اليهود- لاَ يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الإِمَامِ: آمِينَ" مسند أحمد (٢٥٠٢٩) وصححه شعيب الأرناءوط.

وعن أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولُ: «صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ صُرِفْنَا نَحْوَ الْكَعْبَةِ» رواه البخاري (٤٤٩٢) ومسلم (٥٢٥).

- وفي تحويل القبلة دروس وعظات كثيرة نحاول أن نتعرف على بعض منها فيما يلي:

أولاً: الاستعداد النفسي للمحن يخفف من شدتها:

من المعلوم أن الاستعداد النفسي لتقبل المحن والابتلاءات له أهمية كبيرة في التخفيف من شدتها، وهذا منهج رباني فيه الرحمة بخلقه فقبل أن ينزل الله تعالى البلاء والشدائد أخبرنا بأنها ستقع في وقت ما حسب مشيئته وحده، وعلمنا الله تعالى كيف نخرج من هذه المصائب والابتلاءات ونحن أكثر طاعة لله تعالى وثباتًا

وأعظم ثوابًا، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها: محنة تحويل القبلة؛ فجهز الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين نفسيًا وعلميًا لاستقبالها، ومن ذلك:

١- قال تعالى: « سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ ..» (البقرة: ١٤٢).

ومهّد الله تعالى لتحويل القبلة وأبان السبب، ظهور اضطرابات عند التحويل حتى لا يُفاجأ المسلمون بشيء من حملات التشويش والنقد والتشكيك، فأوضح تعالى أن سفهاء الأحلام وضعفاء العقول والإيمان من طوائف اليهود والمشركين والمنافقين سيقولون مُنكرين مُتعجبين: أي شيء صرف المسلمين عن قبلتهم التي كانوا عليها، وهي قبلة الأنبياء والمرسلين؟ أما اليهود فساءهم ترك الاتّجاه لقبلتهم، وأما المشركون فقصدوا الطعن في الدين ورأوا ألا داعي للتوجه في الحالين، وأما المنافقون: فشأنهم انتهاز الفرص لزرع الشكوك في الدين، ومحاولة الإبعاد عنه بسبب هذا التغيير وعدم الاستقرار، ومخالفة الأعراف السابقة بالاتّجاه لبيت المقدس. (التفسير المنير للزحيلي: ٢/٧).

٢- وهذا إخبار بما سيقوله السفهاء من المنافقين واليهود والمشركين قبل أن يقوله، وفائدته أولاً: تقرير النبوة المحمدية؛ إذ هذا إخبار بالغيب فكان كما أخبر، وثانياً: توطين نفس الرسول صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين به حتى لا يضرهم عند سماعه من السفهاء؛ لأن مفاجأة المكروه أليمة شديدة، فإن ذهبت المفاجأة هان الأمر، وخف الألم. (أيسر التفاسير: ١/١٢٤).

٣- الرد على السفهاء بالجواب المسكت: قال تعالى: « سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (البقرة: ١٤٢).

المعنى: عندما يسألك السفهاء يا رسول الله عن سبب تحويل القبلة فقل لهم: إن الجهات كلها لله، فلا فضل لجهة على أخرى، فلله أن يأمر بالتوجه إلى أي جهة منها ويجعلها قبلة، وعلى العبد أن يمتثل أمر ربه.

ثانيا: الأمة المحمدية هي أفضل الأمم لأنها الأمة الوسط:

قال تعالى: « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ..» (البقرة: ١٤٣).

١- قوله تعالى: (جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) أي: عدلاً خيارًا، وما عدا الوسط فأطراف داخلة تحت الخطر فجعل الله هذه الأمة وسطًا في كل أمور الدين، وسطًا في الأنبياء ووسطًا في الشريعة، فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها، ووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا «أُمَّةً وَسَطًا». (تفسير السعدي: ١/٧٠).

- قال تعالى: « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ..» (آل عمران: ١١٠)، هذه الآية تدلنا على مؤهلات الوسطية والأفضلية.

٢- (شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم، فما شهدت له هذه الأمة بالقبول فهو مقبول، وما شهدت له بالرد، فهو مردود. (تفسير السعدي: ١/٧٠).

أ- تشهدون على الناس في الدنيا: عن أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قال: "مَرُّوا بِجَنَازَةٍ،

فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ» ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: «وَجَبَتْ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ» رواه البخاري (١٣٦٧) ومسلم (٩٤٩).

(فأثنوا عليه خيرًا) وصفوها بفعل الخير. (فأثنوا عليها شرا) وصفوها بفعل الشر. (شهداء الله في الأرض) أي يقبل قولكم في حق من تشهدون له أو عليه.

٣- وتشهدون على الأمم السابقة يوم القيامة، ومن شهادة هذه الأمة على غيرهم، أنه إذا كان يوم القيامة، وسأل الله المرسلين عن تبليغهم، والأمم المكذبة عن ذلك، وأنكروا أن الأنبياء بلّغتهم، استشهدت الأنبياء بهذه الأمة، وزكاها نبيها. (تفسير السعدي: ١/٧٠).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ: «وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» (البقرة: ١٤٣) فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» (البقرة: ١٤٣) " صحيح البخاري (٤٤٨٦).

ثالثا: تحويل القبلة امتحان وابتلاء للمؤمنين:

قال تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ» (البقرة: ١٤٣).

١- قوله تعالى: (وَما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ) أي إنما شرعنا لك يا محمد التوجه أولا إلى بيت المقدس، ثم صرفناك عنها إلى الكعبة، ليظهر حال من يتبعك ويُطيعك ويستقبل معك حيث توجهت، ممن ينقلب على عقبيه، أي فيتبين الثابت على إيمانه ممن لا ثبات له، فهو امتحان وابتلاء ليظهر ما علمناه، ويجازى كل إنسان على عمله. (المنير للزحيلي: ٢/٠).

٢- (وَإِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّه) أي وكانت القبلة المحوَّلة شاقة ثقيلة على من ألف التوجه إلى القبلة الأولى، فإن الإنسان ألوف لما يتعوده ويثقل عليه الانتقال منه، إلا على الذين هداهم الله بمعرفة أحكام دينه وسر تشريعه، فعلموا أن التعبد باستقبالها إنما يكون بطاعة الله بها. (تفسير المراغي: ٢/٧).

رابعا: إنَّ اللهَ بالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ:

قال تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) (البقرة: ١٤٣).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ "لَمَّا وُجِّهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الكَعْبَةِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ بِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ يُصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: «وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ» صححه الألباني.

طمأنهم تعالى على أجور صلاتهم التي صلوها إلى بيت المقدس لا يُضيعها لهم بل يجزيهم بها كاملة سواء من مات منهم وهو يصلي إلى بيت المقدس أو من حي حتى صلى إلى الكعبة، وهذا مظهر من مظاهر رأفته تعالى بعباده ورحمته. (أيسر التفاسير: ١/١٢٦).

خامسا: أهمية اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء:

- قال تعالى: «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ».

(البقرة: ١٤٤).

- كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ الدعاءَ والابتهالَ أنْ يُوَجَّه إلَى الْكَعْبَة، التيِ هِيَ قِبْلَةُ إبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ الدعاءَ والابتهالَ فَأجِيبَ إلَى ذَلِكَ. (تفسير ابن كثير: ١/٤٥٣).

- ونتعلم الدرس هنا أن نطلب من الله وحده ونلجأ إليه سبحانه في كل الأزمات والصعوبات والملك الرحيم هو الذي دعانا لذلك فقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾ (غافر: ٦٠).

- هذا من لطفه بعباده، ونعمته العظيمة، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه، دعاء العبادة، ودعاء المسألة، ووعدهم أن يستجيب لهم. (تفسير السعدي: ١/٢٤٠).

سادسًا: سرعة الاستجابة لله وللرسول:

١- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٢٤).

٢- عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ وَأَنَّهُ صَلَّى، أَوْ صَلاَّهَا، صَلاَةَ الْعَصْرِ وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ الْمَسْجِدِ وَهُمْ رَاكِعُونَ، قَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ، لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ. رواه البخاري (٤٤٨٦) ومسلم (٥٢٥).

لاحظ معي سرعة الاستجابة فتحول الإمام إلى الكعبة وهو راكع عندما سمع الخبر، فتحولوا معه وهم ركوع ولم ينتظروا حتى يعتدلوا من الركوع.

٣- عَنْ أَنَسٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»، فَنَزَلَتْ: «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» (البقرة: ١٤٤) فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ، وَقَدْ صَلَّوْا رَكْعَةً، فَنَادَى: أَلاَ إِنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ حُوِّلَتْ، فَمَالُوا كَمَا هُمْ نَحْوَ الْقِبْلَةِ. صحيح مسلم (٥٢٧).

- جاء خبر تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة متأخرًا وهم يصلون الفجر وقد صلوا ركعة فتحولوا إلى الكعبة في الركعة الثانية وهم يصلون.

سابعًا: وحدة الأمة على قبلة واحدة:

- قال تعالى: «وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» من كل اتجاه، في أنحاء الأرض جميعاً.. قبلة واحدة تجمع هذه الأمة وتوحِّد بينها على اختلاف مواطنها، واختلاف مواقعها من هذه القبلة، واختلاف أجناسها وألسنتها وألوانها.. قبلة واحدة، تتجه إليها الأمة الواحدة في مشارق الأرض ومغاربها. فتحس أنها جسم واحد، وكيان واحد، تتجه إلى هدف واحد، وتسعى لتحقيق منهج واحد. منهج ينبثق من كونها جميعاً تعبد إلهاً واحداً، وتؤمن برسول واحد، وتتجه إلى قبلة واحدة. وهكذا وحدَّ الله هذه الأمة. وحَّدها في إلهها ورسولها ودينها وقبلتها. وحَّدها على اختلاف المواطن والأجناس والألوان واللغات. ولم يجعل وحدتها تقوم على قاعدة من هذه القواعد كلها ولكن تقوم على عقيدتها وقبلتها ولو تفرقت في مواطنها وأجناسها وألوانها ولغاتها.. إنها الوحدة التي تليق ببني الإنسان فالإنسان يجتمع على عقيدة القلب، وقبلة العبادة.

نسأل الله الهداية والتوفيق، والحمد لله رب العالمين.

من دروس تحويل القبلة: سرعة الاستجابة لأمر الله تعالى.

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الصيام، والصلاة والسلام على سيد الناس ومعلم الناس الإخلاص، وبعد فإننا نحتاج إلى الإخلاص كما نحتاج إلى الأنفاس، وبدون التنفس نهلك في الدنيا، وبدون الإخلاص نشقى في الدنيا والآخرة، فجعل الله عز وجل شهر رمضان مدرسة للتدريب على خُلق الإخلاص وسائر العبادات، فيكون هذا عبادتك طوال العام، فإن استطعت أن يكون إخلاصك لله كأنفاسك فافعل لتسعد ولتفوز.

- قال أبو محمد سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: "نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا أن تكون حركاته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى وحده لا يمازجه شيء لا نفس ولا هوى ولا دنيا". (المجموع شرح المهذب: ١٧/١). الأكياس: الحكماء، يمازجه: يخالطه.

حديث القرآن عن الإخلاص:

ذكر الله عز وجل في قرآنه العظيم الإخلاص في آيات كثيرة جدا منها:

أ- قال تعالى: (وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ) (البينة: ٥).

ب- قال تعالى: (قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ) (الأنعام: ١٦٢- ١٦٣).

- قل: إن صلاتي وجميع عباداتي، وما آتيه في حال حياتي من الطاعة، وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح، كله خالص لوجه الله. (المنتخب: ٢٣٧/١).

حديث السنة عن الإخلاص:

أكد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الإخلاص لله تعالى في كم هائل من الأحاديث لو لم يكن إلا هذا الحديث لكفى:

عن أبي أمامة عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ لَهُ خَالِصاً وَابْتُغِيَ بِهِ وجهه". (صحيح الجامع: ١٨٥٦).

والمعنى: إن الإخلاص لله وحده في أي عمل وأي عبادة تكون مقبولة عند الله تعالى، ويأخذ صاحبها أجراً عظيماً، وما دون ذلك فهو غير مقبول؛ لوجود الرياء.

وجاء التأكيد على خُلق الإخلاص لله تعالى في القرآن الكريم وفي أحاديث كثيرة خاصة بشهر رمضان والصيام لنتربى على الإخلاص لله وحده في كل الطاعات، ويكون هذا حالنا مع الله تعالى

طوال العام بعد أن تدربنا عليه كثيرًا في شهر رمضان، فمثلاً:

أولا: الإخلاص لله تعالى في التقوى:

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣)، ومن المؤكد أن الهدف الأعلى من الصيام هو تحقيق التقوى قولاً وعملاً.

ومن أجمل تعريفات التقوى:

- تعريف ابن القيم رحمه الله تعالى يقول: "أما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله إيماناً واحتساباً، أمرًا ونهيًا، فيفعل ما أمر الله به إيمانًا بالأمر وتصديقًا بوعده، ويترك ما نهى الله عنه إيماناً بالنهي وخوفاً من وعيده". (زاد المهاجر: ١٣/١).

ثانيا: الإخلاص لله تعالى في الصيام:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» رواه البخاري (٣٨) ومسلم (٧٥٩).

ثالثا: الإخلاص لله تعالى في القيام (صلاة التراويح):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» رواه البخاري (٣٧) ومسلم (٧٥٩).

رابعًا: الإخلاص لله تعالى في قيام ليلة القدر:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» رواه البخاري (٣٥) ومسلم (٧٦٠).

- الإيمان في اللغة يُطلق ويُراد به التصديق كما في قول الله تعالى: «وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا» أي: بمصدق لنا. أما الإيمان في الشرع: فإنه قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان. (شرح بلوغ المرام: ٧٢/١).

- الاحتساب في اللغة:

- الاحتسابُ مِنَ الحِسْبِ: كالاعْتِداد مِنَ العَدِّ؛ وَإِنَّمَا قِيلَ لِمَنْ يَنْوِي بِعَمَلِهِ وَجْهَ اللهِ: احْتَسَبَهُ، لأَن لَهُ حِينَئِذٍ أَن يَعْتَدَّ عَمَلَه، فجُعِل في حَالِ مُباشرة الفِعْلِ، كأَنه مُعْتَدٌّ بِهِ. (لسان العرب: ٣١٥/١).

من معاني (إيمانًا واحتسابًا):

أ- فإن كل عمل لا بد له من مبدأ وغاية، فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الإيمان فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض، لا العادة ولا الهوى ولا طلب المحمدة والجاه وغير ذلك بل لا بد أن يكون مبدؤه محض الإيمان وغايته ثواب الله وابتغاء مرضاته وهو الاحتساب. (زاد المهاجر: ١٣/١).

إن كلمتي "إيمانًا واحتسابًا" تعنيان جُهدًا لا يستعجل أجره، ولا يطلب اليوم ثمنه؛ لأن باذله قرر حين بذله أن يجعله ضمن مدخراته عند ربه.

ب- إن كلمتي "إيمانًا واحتسابًا" تعنيان جُهدًا لا يستعجل أجره، ولا يطلب اليوم ثمنه؛ لأن باذله قرر حين بذله أن يجعله ضمن مدخراته عند ربه. (مقالات للشيخ الغزالي: ١٠٤/١).

خامسًا: الإخلاص لله تعالى في الدعاء:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦).

جاءت هذه الآية في وسط آيات الصيام بعد الأمر بصيام شهر رمضان للتأكيد على التلاحم بين الصيام والدعاء، وقد أمرنا الملك سبحانه بالإخلاص له في الدعاء حيث قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (غافر: ١٤).

- أي: فأخلصوا لله وحده العبادة والدعاء، وخالفوا المشركين في مسلكهم ومذهبهم. (تفسير ابن كثير: ١٣٤/٧).

ومن فضائل الإخلاص لله تعالى في الصيام:

١- أجور لا حدَّ ولا عد لها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: " كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمائَة ضعْف، قَالَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: إِلاَّ الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِه، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي "صحيح مسلم (١١٥١) وعند البخاري (١٨٩٤)، «يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي".

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمائَة ضِعْف، قَالَ اللَّه: إِلاَّ الصِّيَامَ فَهُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي به، يَدَعُ الطَّعَامَ مِنْ أَجْلِي، وَيَدَعُ الشَّرَابَ مِنْ أَجْلِي، وَيَدَعُ لَذَّتَهُ مِنْ أَجْلِي، وَيَدَعُ زَوْجَتَهُ مِنْ أَجْلِي". (صحيح ابن خزيمة (١٨٩٧) صحيح الترغيب (٩٧٨).

أو هو سر بيني وبين عبدي يفعله خالصًا لوجهي، (وأنا أجزي به) يعني صاحبه وقد عُلم أن الكريم إذا تولى الإعطاء بنفسه كان في ذلك إشارة إلى تعظيم ذلك العطاء وتفخيمه، ففيه مضاعفة الجزاء من غير عدد ولا حساب، ولما أفاد سعة الجزاء وفخامته لتوليه بنفسه دفع توهم أنه له غاية ينتهي إليها كغيره من الأعمال. (الفتح الرباني: ٩/٢١١).

٢- السعادة في الدنيا:

أ- أنه يَشْرَحُ صَدْرَ صَاحِبِه للإنْفاق في وُجُوهُ البِر فَتَجِدُهُ يَؤثِرُهَا بِجَانِبٍ مِنْ مَالِه وَإِنْ كَانَ بِه خَصَاصَةٌ.

ب- يُعَلِّم صَاحِبَه الزُّهْدَ في عَرَض الدُّنْيَا، فَلا يُخْشَى مِنْهُ أَنْ يُنَاوِئَ الْحَقَّ أو يُلْبِسَه بِشَيْءٍ مِنَ الْبَاطِل.

ج- أَنَّهُ يَحْمِلُ صاحِبَهُ عَلَى الوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَالْوَعْدِ.

د- أَنَّهُ يَحْمِلُ صاحِبَهُ عَلَى تَنْظِيم أعمَالِه.

هـ- أَنَّ الْمُتَّصِفَ بِه يكونُ مُقَدَّرًا مَرْمُوقًا بِعَيْنِ الاحْتِرَام وَالإجْلال. (موارد الظمآن: ١/١٨٤).

٣- تحويل العادات إلى عبادات تؤجر عليها:

ومن فوائد الإخلاص أنه يقلب المباحات إلى عبادات وينال بها عالي الدرجات، قال أحد السلف: إني لأستحب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكلي ونومي ودخولي الخلاء، وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به التقرب إلى الله؛ لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب للمهمات مطلوب شرعاً.

ومن فوائد الإخلاص أنه يقلب المباحات إلى عبادات وينال بها عالي الدرجات.

فالنية عند الفقهاء: تمييز العبادات عن العادات وتمييز العبادات عن بعضها البعض، إرادة وجه الله عز وجل. (فصل الخطاب: ٩/٣٤١).

٤- النعيم في الآخرة:

أ- قال تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (الحاقة: ٢٢- ٢٤). منعناكم عن الطعام والشراب والنكاح في نهار أشهر رمضان في أعماركم، خذوا الآن الأجر: كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ. (دروس للشيخ محمد المنجد: ٨/٨٤).

ب- عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " مَنْ قَالَ " لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه " ابْتِغَاءَ وَجْه اللَّه خُتِمَ لَهُ بِهَا: دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْه اللَّه خُتِمَ لَهُ بِه: دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْه اللَّه خُتِمَ لَهُ بِهَا: دَخَلَ الْجَنَّةَ " (صحيح الترغيب: ٩٨٥).

اللهم ارزقنا الإخلاص في كل قول وعمل، وتقبل منا يا رب العالمين.

الابتسامة سر السعادة

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله الرحيم الرحمن، والصلاة والسلام على النبي البسام، وبعد:

فالابتسامة شعارٌ من شعائر الأنبياء، وسنّة من سنن المرسلين، وصفة من صفات المؤمنين، وسمة نبيلة من سمات النبلاء، ولغة سامية من لغات الحضارة البشرية، بالابتسامة تتخلص من العقد النفسية والأمراض البدنية وتشعر بالسعادة، وتزيد في الطاعة والعبادة، وتنشر المودة وتنتشر المحبة وتكثر من الحسنات، وتتخلص من السيئات، وتثقل الموازين وتكون في صحبة النبيين في جنة رب العالمين.

لا شك أن المسلم في حياته تعتريه أكدار وهموم وأحزان وغموم، مما يحتاج حقيقةً إلى من يجلو حلكتها، ويخترق ظلمتها بشيء من الابتسامة الرفيعة والضحكة المتزنة والدُعابة المرموقة.

التبسم من الفرائض الغائبة:

هناك فرائض غائبة عن المسلمين منها: تبسم المسلم في وجه أخيه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

تبسمك في وجه أخيك صدقة

فالتبسم فريضة غائبة، وكأن كثيراً من الناس يظنون أن الفقهاء يقولون-وما قال بها فقيه-: إن أسنان الإنسان عورة، وهذا غلط، فإننا نريد أن نراها وهي جميلة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم بسام المحيا، وكان لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله، فكان في شتى الأوقات يلقى الصحابة بوجه طلق مبتسم. (دروس الدكتور عمر عبد الكافي: ٢٠/٧).

تعريف التبسم:

قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: التَّبَسُّمُ مَبَادِئُ الضَّحِكِ وَالضَّحِكُ انْبِسَاطُ الْوَجْهِ حَتَّى تَظْهَرَ الأَسْنَانُ مِنَ السُّرُورِ، فَإِنْ كَانَ بِصَوْتٍ وَكَانَ بِحَيْثُ يُسْمَعُ مِنْ بُعْدٍ فَهُوَ الْقَهْقَهَةُ، وَإِلاَّ فَهُوَ الضَّحِكُ، وَإِنْ كَانَ بِلاَ صَوْتٍ فَهُوَ التَّبَسُّمُ وَتُسَمَّى الأَسْنَانُ فِي مُقَدَّمِ الْفَمِ الضَّوَاحِكَ وَهِيَ الثَّنَايَا وَالأَنْيَابُ وَمَا يَلِيهَا وَتُسَمَّى النواجذ. (فتح الباري ١٠/٥٠٤).

الابتسامة من أخلاق الأنبياء:

١- قال تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام: « فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ » (النمل: ١٩).

فهذا حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الأدب الكامل، والتعجب في موضعه وأن لا يبلغ بهم الضحك إلا إلى التبسم، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم جلّ ضحكه التبسم، فإن القهقهة تدل على خفة العقل وسوء الأدب. وعدم التبسم والعجب مما يتعجب منه، يدل على شراسة الخلق والجبروت. والرسل منزهون عن ذلك. (تفسير السعدي ١/٦٠٢).

٢- قال تعالى: « فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ » (الأحقاف: ٣٥).

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاَءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي

عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» (سنن الترمذي: ٢٣٩٨٩).

وقد ذاق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جميع أنواع الابتلاءات والمحن حتى قبل أن يُولد وطوال حياته إلى مماته ومع ذلك كان أكثر الناس تبسمًا.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ، قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (صحيح الترمذي: ٣٦٤١).

الاقتداء بالأنبياء في التبسم:

قال تعالى: « لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » (الأحزاب: ٢١).

هَذِهِ الآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ. (تفسير ابن كثير: ٣٩١/٦).

علمنا صلى الله عليه وسلم:

١- التبسم عند اللقاء:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ» صحيح مسلم (٢٦٢٦).

وعَنْ جَرِيرٍ قَالَ: وَلاَ رَآنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي. صحيح البخاري (٦٠٨٩).

٢- التبسم عند الكلام:

عَنْ أَبِي جُرَيٍّ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ، قَالَ: قَالَ رسول صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلاَ تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ. سنن أبي داود (٤٠٨٤) وصححه الألباني.

(ولا تحقرن) أي: لا تستصغرن يقال حقره واحتقره واستصغره قال الزمخشري: تقول أي العرب هو حقير فقير وفي المثل من حقر حرم. فيض القدير (١٢١/١).

إن الشريعة العظيمة تحث وتدعو المسلم إلى أن يفعل الخير أكثره وأقله ما استطاع ولا يحتقر شيئاً من الخير يصنعه فكل خير يُثاب عليه، وما دام الثواب موجوداً فينبغي ألا يستقل فعل شيء من أمور الخير. (شرح الترغيب والترهيب، أحمد حطيبة: ٣٧/٢).

من فضائل وفوائد التبسم:

من فوائد التبسم في الدنيا:

أولاً: من الفوائد الطبية للتبسم:

أ- من الفوائد الطبية مِمَّا ذكره الأطباء ٢٣ فائدة منها:

١- أنَّها تساعد على تخفيف ضغط الدَّم.

٢- وتنشط الدَّورة الدَّموية.

٣- وتزيد من مناعة الجسم.

٤- تُساعد المخَّ على الاحتفاظ بكَميَّة كافية من الأوكسجين.

٥- لها آثار إيجابيَّة على وظيفة القلب والبَدَن والمخ.

٦- تخفف من حُموضة المعدة.

٧- تزيد من إفرازات الغُدد الصَّمَّاء.

٨- تؤخر عوارض الشَّيخوخة، إلى غير ذلك مِمَّا هو ليس بمستغرب على كلِّ سنة أمرنا بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مما فيه صلاحُ قلوبنا وأرواحنا وأبداننا. (أرشيف أهل الحديث ٥- ١٢٢/٨٤).

إن الشريعة الإسلامية تدعو المسلم إلى أن يفعل الخير أكثره وأقله ما استطاع ولا يحتقر شيئاً من الخير يصنعه.

ب- هل تعلم أن وجهك يوجد فيه ٨٠ عضلة، وبمجرد أن تبتسم فقط فإنك تستخدم ١٤ عضلة، وكل عضلة في الوجه مرتبطة بخلايا عقلية، والخلايا العقلية في المخ تريح الجسم، فعندما تبتسم يرتاح الوجه ويسترخي، وبالتالي يسترخي المخ، وعندما يسترخي المخ يسترخي الجسم كله، وبالتالي تزداد كمية الأدرينالين في الجسم.. وماذا تعني زيادة الأدرينالين؟ إن الأدرينالين هو المادة التي تزيد من قوة جهاز المناعة في الجسم. (الطريق إلى الامتياز: ١٨٧٢).

ثانيًا: نشر السعادة والمودة بين الناس:

أ- قال ابن عيينة: «البشاشة مصيدة المودة، والبر شيء هين؛ وجه طليق وكلام ليِّن». (فيض القدير:

٢٢٦/٣).

ب- طلاقة الوجه (التبسم) تدخل السرور على من قابلك. وعلى من اتجه لك، وتجلب المودة والمحبة، وتوجب انشراح القلب، بل توجب انشراح الصدر منك وممن يقابلك، وجرب تجد، لكن إذا كنت عبوساً فإن الناس ينفرون منك، ولا ينشرحون بالجلوس إليك، ولا بالتحدث معك، وربما تصاب بمرض خطير يسمى بالضغط، فإن انشراح الصدر وطلاقة الوجه من أكبر العقاقير المانعة من هذا الداء داء الضغط؛ ولهذا فإن الأطباء ينصحون من ابتلي بهذا الداء بأن يبتعد عما يثيره ويُغضبه؛ لأن ذلك يزيد في مرضه، فطلاقة الوجه تقضي على هذا المرض؛ لأن الإنسان يكون منشرح الصدر، محبوباً إلى الخلق. (مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ٥٠٢/٢٦).

ثالثا: حل كثير من مشاكل الناس:

كما أن الابتسامة تولّد جوًّا من الراحة النفسية في البيت والعمل والشارع، وتحل كثيرًا من مشاكل الناس، وتزيد الألفة والمحبة بين الناس. واجبات العمال وحقوقهم (٨٠/١).

الابتسامة تولّد جوًّا من الراحة النفسية في البيت والعمل والشارع، وتحلّ كثيرًا من مشاكل الناس، وتزيد الألفة والمحبة بين الناس.

من فضائل التبسم يوم القيامة:

كم عدد الصدقات التي تجمعها من التبسم؟!

إنَّ تبسُّمك صَدَقة تتصدق بها على الفقير والغَني، على الشريف والوضيع، على من يستحقُّ ومن لا يستحقّ؛ قال- صلى الله عليه وآله وسلم-: «تبسُّمك في وجه أخيك صَدَقة»؛ فبادر بهذه الصدقة التي لا تكلفك شيئًا، وإلاَّ فلا بخل أشدَّ من بُخلك، ولا لؤم أكبر من لُؤمك؛ إذ بَخلْت بشدِّ عضلة وجهك إرضاءً لربك، وتطبيقًا لسنة نبيِّك. (دروس للشيخ سعيد بن مسفر: ١٧/٢٢).

أولاً: في ظل صدقتك:

عَنْ مَرْثَدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ ظِلَّ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَتُهُ». رَوَاهُ أَحْمد (١٨٠٤٣) صححه الألباني في المشكاة (١٩٢٥).

إِنَّ الأَصْلَ أَنَّ الصَّدَقَةَ كَالظِّلِّ في أَنَّهَا تَحْمِيه عَنْ أَذَى الْحَرِّ يَوْمَ الْقِيَامَة، وَالأَظْهَرُ أَنَّ مَعْنَاهُ ظِلّ الْمُؤْمِن يَوْمَ الْقِيَامَة صَدَقَتُهُ أَيْ: إِحْسَانُهُ إِلَى النَّاس، وَهُوَ إِمَّا هُوَ أَنْ تُجَسَّدَ صَدَقَتُهُ أَوْ يُجَسَّمَ ثَوَابُهَا وَقَدْ تُخَصَّصُ الصَّدَقَةُ بِمَا لَهَا ظِلٌّ حَقِيقِيٌّ كَثَوْبِ الْخَيْمَة كَمَا وَرَدَ في بَعْض الأَخْبَار. مرقاة المفاتيح (١٣٤٩/٤).

ثانيًا: التبسم يزيد الحسنات ويثقل الموازين:

قال تعالى: «وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الأعراف: ٨). أَيْ: مَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاته وَلَوْ بِوَاحِدَة، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاس. «فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أَيْ: الَّذِينَ فَازُوا فَنَجَوْا مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُوا الْجَنَّة. تفسير ابن كثير (٤٩٦/٥).

وقال تعالى: «فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ» (القارعة: ٦- ٧). معنى (عيشة راضية) أَيْ عَيْش مَرْضِيّ، يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ. فَالْعِيشَةُ كَلِمَةٌ تَجْمَعُ النَّعَمَ الَّتِي في الْجَنَّة. تفسير القرطبي (١٦٦/٢٠).

ثالثًا: مع أهل النعيم في الجنة:

قال تعالى: «وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا» (النساء: ٦٩- ٧٠).

إنها اللمسة التي تستجيش مشاعر كل قلب، فيه ذرة من خير وفيه بذرة من صلاح وفيه أثارة من التطلع إلى مقام كريم في صحبة كريمة، في جوار الله الكريم.. وهذه الصحبة لهذا الرهط العلوي.. إنما هي من فضل الله. فما يبلغ إنسان بعمله وحده وطاعته وحدها أن ينالها.. إنما هو الفضل الواسع الغامر الفائض العميم. (في ظلال القرآن: ٦٩٩/٢).

نسأل الله أن يرزقنا أحسن الأخلاق والأعمال، والحمد لله رب العالمين.

أهلاً وسهلاً بالمشيب ومرحبًا

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد:

أهلاً وسهلاً بالمشيب ومرحباً
أهلاً به من وافد ونزيل
أهدي الوقار وذاد كلَّ جهالة
كانت وساق إليَّ كلَّ جميل
فصحبت في أهل التقى أهل النهى
ولقيت التعظيم والتبجيل
ورأى لي الشُّبَّان فضل جلالة
لما اكتهلت وكنت غير جليل

(شَاب) فلان شيبًا وَشَيْبَة أبيض شعره، ويُقال شاب الشَّعْر وشاب الرَّأس فَهُوَ شائب وأشيب وَالأَكْثر أن يُقال للرجل أشيب وللمرأة شَمْطاء. المعجم الوسيط (٥٠٢/١).

من أسباب الشيب:

١- كبر السن:

أ- قال تعالى: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ» (الروم: ٥٤).

مع تقدم العمر يُصابُ كل إنسان بدرجات متفاوتة من الشيب، فالشيبُ يلازمُ التقدّمَ في السنّ غالباً. (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ١٨٥/١).

ب- قال تعالى: «قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا» (مريم: ٤).

وهن العظم واشتعال الرأس شيبًا كلاهما كناية عن الشيخوخة وضعفها الذي يعانيه زكريا ويشكوه إلى ربه وهو يعرض عليه حاله ورجاءه. (تفسير الظلال: ٢٣٠٤/٤).

٢- الخوف والفزع:

أ- قال تعالى: «وَمَا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا» (المزمل: ١٧).

كَأَنَّ شِدَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ تَنْقُلُهُمْ مِنْ سِنِّ الطُّفُولِيَّةِ إِلَى سِنِّ الشَّيْخُوخَةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَمُرُّوا فِيمَا بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ بِسِنِّ الشَّبَابِ، وَهَذَا هُوَ الْمُبَالَغَةُ الْعَظِيمَةُ فِي وَصْفِ الْيَوْمِ بِالشِّدَّةِ. (مفاتيح الغيب: ٦٩٢/٣٠).

ب- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شِبْتَ، قَالَ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» سنن الترمذي (٣٢٩٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٢٣).

٣- العوامل الوراثية:

- حيث إن من العوامل الوراثية تؤدي إلى ضعف الخلايا المصنعة لصبغة الميلانين الموجودة في جذور الشعر المسئولة عن إعطاء اللون للشعر.

من فوائد الشيب:

أولاً: في الدنيا منها:

١- نور للمؤمن وحسنات:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الشَّيْبُ نُورُ الْمُؤْمِنِ لَا يَشِيبُ رَجُلٌ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِكُلِّ شَيْبَةٍ حَسَنَةٌ وَرُفِعَ بِهَا دَرَجَةٌ " (صحيح الجامع: ٣٧٤٨).

(الشيب نور المؤمن) لأنَّهُ يمْنَع عَن الْغرُور والخفة والطيش ويرغبه في الطَّاعَة وَذَلِك يجلب النُّور. التيسير بشرح الجامع الصغير (٨٦/٢).

(لا يشيب رجل شيبة في الإسلام) أي شعرة واحدة حال كونه في الإسلام. (إلا كانت له بكل شيبة حسنة) أي إلا وجدت له بكل شيبة تأتيه حسنة. (التنوير شرح الجامع الصغير: ٥٦١/٦).

ج- في رأس كلّ إنسان من مئة ألف إلى مئتين وخمسين ألف شعرة. (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ١٨٥/١).

٢- الوقار والتكريم:

سمي الشيب وقارا؛ لأن زمان الشيب أوان رزانة النفس والسكون والثبات في مكارم الأخلاق. (شرح المشكاة للطيبي: ٣٤٩٢/٩).

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ،

وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ» سنن أبي داود (٤٨٤٣) وحسنه الألباني.

- قوله صلى الله عليه وسلم: (إن من إجلال الله) يعني: من تبجيل الله وتعظيم الله، ومن هذه العلامات التي تبين أن هذا الإنسان يُعظِّم الله سبحانه وتعالى: (إكرام ذي الشيبة المسلم) أي: الذي شاب رأسه ولحيته في التوحيد وفي العبادة وفي الصيام وفي طاعة الله سبحانه وتعالى، وفي ذكره عز وجل. فهذا لا شك أنه تتضاعف حرمته بسبب هذا النور الذي جعله الله في شعره، وهو نور المسلم كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم، فهذه الشيبة تُوجب له حقًا زائدًا على من هو دونه.

ثانيًا: من فضائل الشيب في الآخرة:

١- تكفير للسيئات: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم قال: "لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ؛ فَإِنَّهُ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كُتِبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ وَرُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ" (صحيح ابن حبان: ٢٩٨٥) وحسَّن إسناده شعيب الأرناؤوط، وحسَّنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٢٤٣).

٢- نور يوم القيامة:

- عن كَعْبِ بْنِ مُرَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» سنن الترمذي (١٦٣٤).

٣- رفع الدرجات في الجنات:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الشَّيْبُ نُورُ الْمُؤْمِنِ؛ لَا يَشِيبُ رَجُلٌ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِكُلِّ شَيْبَةٍ حَسَنَةٌ وَرُفِعَ بِهَا دَرَجَةٌ" (صحيح الجامع: ٣٧٤٨).

(ورفع بها درجة) أي منزلة عالية في الجنة والمرأة كالرجل. (التيسير في شرح الجامع الصغير: ٢/٨٦).

ماذا يفعل من وصل إلى المشيب؟:

١- التوبة والرجوع إلى الله تعالى:

قال تعالى: «حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» (الأحقاف: ١٥).

٢- كثرة الأعمال الصالحة:

أ- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ» سنن الترمذي (٢٣٢٩).

ب- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "طُوبَى لِمَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ" صحيح الجامع (٧٣٧٥).

ج- قال تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ» (الرعد: ٢٩)، أي: لهم حالة طيبة ومرجع حسن.

٣- الاستعداد للموت:

الشيب نذير لك بقرب أجلك فاستعد للموت.

أ- قال تعالى: «أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ» (فاطر: ٣٧). «يَعْنِي الشَّيْبَ» صحيح البخاري.

- قال بعض المفسرين: (النذير) هو الشيب الذي يزحف إلى شعر الرأس وغيره، فإذا بدأ الإنسان يتقدم في العمر وظهر منه الشيب، فهذا عبارة عن إنذار من الله سبحانه وتعالى بأنه قد اقترب من النهاية، واقترب من الوصول إلى المحطة الأخيرة. (لماذا نصلي، المقدم: ١٣/٤).

٤- التحذير من نتف الشيب:

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم قال: "لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ فَإِنَّهُ نُورُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٢٤٣).

ب- عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَانَتْ نُورًا لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، فَقَالَ رَجُلٌ عِنْدَ ذَلِكَ: فَإِنَّ رِجَالًا يَنْتِفُونَ الشَّيْبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ شَاءَ فَلْيَنْتِفْ نُورَهُ". مسند أحمد (٢٣٩٥٢)، وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط.

٤- يجوز صبغ الشيب بالحناء:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَحْسَنَ مَا غُيِّرَ بِهِ الشَّيْبُ الْحِنَّاءُ وَالْكَتَمُ» سنن الترمذي (١٧٥٣) وصححه الألباني.

الكتم: هو نبت لونه بين الحمرة والسواد.

٥- التحذير من صبغ الشيب بالسواد:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَكُونُ قَوْمٌ يَخْضِبُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِالسَّوَادِ، كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ، لَا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ» سنن أبي داود (٤٢١٢) وصححه الألباني.

٦- من السنة إكرام الشعر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ» سنن أبي داود (٤١٦٣) وقال الألباني: حسن صحيح.

اللهم ارزقنا حُسن الخاتمة يا رب العالمين.

حب الدنيا خراب وهلاك

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد:

فلا شك أن حب الدنيا رأس كل خطيئة، بل ورأس كل مُصيبة، وبلاء، وهم، وغم، وهذا ملموس عند كل من أحب دنياه وفضَّلها على أخراه فمن أحب دنياه خسر الدنيا والآخرة معًا.

صلاح عبد الخالق

من آفات حب الدنيا:

١- الهزيمة النفسية:

عن زَيْد بْن ثَابت قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّه عَلَيْه أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْه، وَلَمْ يَأْته مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا كُتِبَ لَهُ، (سنن ابن ماجه (٤١٠٥) وصححه الألباني).

أ- فتأمل قوله عليه الصلاة والسلام: (جعل الله فقره بين عينيه) فمهما كان عنده من الأموال فلا قناعة تريحه، ويحس دائمًا بأنه منقوصٌ مبخوس ولو كان عنده ملايين، فالشره سيعذبه، والحرص والجشع سيحطمه، وهكذا لا يستمتع بمال. (دروس للشيخ المنجد (٦/٤٩).

ب- هكذا هُم في هَمّ لازم، وتعب دائم وحسرة لا تنقضي، مهما نال الشخص منهم شيئًا منها طمحت نفسه إلى ما فوق، وهكذا في عذاب دائم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثًا. حالهم في الدنيا كحال شارب ماء البحر ، كلما ازداد شربًا ازداد عطشا. (دروس للشيخ المنجد (٣/١٧٩).

٢- الهزيمة من الأعداء:

عن البَرَاء بْن عَازب رَضيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: جَعَلَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ عَلَى الرَّجَّالَة يَوْمَ أُحُد، وَكَانُوا خَمْسينَ رَجُلاً عَبْدَ اللَّه بْنَ جُبَيْر، فَقَالَ: «إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسلَ إِلَيْكُمْ»، فَهَزَمُوهُمْ، قَالَ: فَأَنَا وَاللَّه رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ، قَدْ بَدَتْ خَلاَخلُهُنَّ وَأَسْوُقُهُنَّ، رَافعَات ثيَابَهُنَّ، فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْد اللَّه بْن جُبَيْر: الْغَنيمَةَ أَيْ قَوْم الْغَنيمَةَ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظرُونَ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّه بْنُ جُبَيْر: أَنَسيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ؟ قَالُوا: وَاللَّه لَنَأْتيَنَّ النَّاسَ، فَلَنُصيبَنَّ مَنَ الْغَنيمَة، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرفَتْ وُجُوهُهُمْ، فَأَقْبَلُوا مُنْهَزمينَ. صحيح البخاري (٣٠٣٩).

من فقه الحديث: أن حب الدنيا كان دائمًا، وفي جميع الأحوال هو رأس كل خطيئة، وسبب كل هزيمة، فإن المسلمين انهزموا في أحد وفي حنين بسبب إسراعهم إلى الغنائم وانكبابهم عليها. (منار القاري)(٤/٣٧٥).

٣- تكالب الأمم على المسلمين:

عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «يُوشكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتهَا» فَقَالَ قَائلٌ: وَمنْ قلَّة نَحْنُ يَوْمَئذ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئذ كَثيرٌ، وَلَكنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاء السَّيْل، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّه منْ صُدُور عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ منْكُمْ، وَلَيَقْذفَنَّ اللَّه في قُلُوبكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائلٌ: يَا رَسُولَ اللَّه، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهيَةُ الْمَوْت» (سنن أبي داود (٤٢٩٧). وفي الحديث دلالة واضحة على ما يجلبه حب الدنيا على الأمة من ذل.

٤- القتل والهلاك والخراب:

- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِيَ سِنِينَ، كَالْمُوَدِّعِ لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ، وَإِنِّي لأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا»، صحيح البخاري (٤٠٤٢) وزاد مسلم (٢٢٩٦) "وَتَقْتَتِلُوا، فَتَهْلِكُوا، كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

قَالَ عُقْبَةُ: «فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ».

٥- الخسف والهلاك:

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ ۙ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ (القصص: ٧٦- ٨١).

هكذا في جملة قصيرة، وفي لمحة خاطفة: «فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ» فابتلعته وابتلعت داره، وهوى في بطن الأرض التي علا فيها واستطال فوقها جزاءً وفاقًا. وذهب ضعيفًا عاجزًا، لا ينصره أحد، ولا ينتصر بجاه أو مال.

علاج حب الدنيا:

من هذه العلاجات:

١- اجعل الاخرة أكبر همك:

- قال تعالى: «وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى» (الأعلى: ١٧).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ". سنن الترمذي (٢٤٦٥) وصححه الألباني.

٢- ارض بما قسم الله لك:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ»؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا وَقَالَ: «اتَّقِ المَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ القَلْبَ»، سنن الترمذي (٢٣٠٥) وهو في صحيح الجامع (١٠٠).

(وارض بما قسم الله) من الأرزاق (تكن أغنى الناس) الغنى: ضد الفقر، ومن رضي بالقسمة، وعلم أنها جارية على وفق الحكمة لم يأسف على ما فاته من حظوظ الدنيا، ولم يحزنه ما ناله أهلها منها فصار أغنى الناس بقلبه، فإن الغنى غنى القلب. (التنوير شرح الجامع الصغير: ٣١٩/١).

٣- الدعاء:

- عن ابن عُمَرَ، قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلاَءِ الدَّعَوَاتِ لأَصْحَابِهِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا» سنن الترمذي (٣٥٠٢) وحسنه الألباني.

اللهم لا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا.

رضا الله طريق النجاة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد:

فإن رضا الله تعالى هو النور الذي نسلك به طريق السعادة والنجاة في كل وقت وحين، وهدف عظيم ينبغي أن يسعى المسلم لتحقيقه.

إعداد: صلاح عبد الخالق

رضا الناس غاية لا تدرك:

يقول ابن تيمية رحمه الله: "مِمَّا يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ لاَ يَسُوغُ فِي الْعَقْلِ وَلاَ الدِّينِ طَلَبُ رِضَا الْمَخْلُوقِينَ لِوَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ هَذَا غَيْرُ مُمْكِنٍ. كَمَا قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رِضَا النَّاسِ غَايَةٌ لاَ تُدْرَكُ. فَعَلَيْكَ بِالأَمْرِ الَّذِي يُصْلِحُكَ فَالْزَمْهُ وَدَعْ مَا سِوَاهُ وَلاَ تُعَانِهِ.

وَالثَّانِي: أَنَّا مَأْمُورُونَ بِأَنْ نَتَحَرَّى رِضَا اللهِ وَرَسُولِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى «وَاللهِ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ»، وَعَلَيْنَا أَنْ نَخَافَ اللهَ فَلاَ نَخَافُ أَحَدًا إلاَّ اللهَ كَمَا قَالَ تَعَالَى «فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» وَقَالَ: «فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ»، وَقَالَ: فَعَلَيْنَا أَنْ نَخَافَ اللهَ وَنَتَّقِيَهُ فِي النَّاسِ، فَلاَ نَظْلِمَهُمْ بِقُلُوبِنَا وَلاَ جَوَارِحِنَا وَنُؤَدِّيَ إِلَيْهِمْ حُقُوقَهُمْ بِقُلُوبِنَا وَجَوَارِحِنَا، وَلاَ نَخَافَهُمْ فِي اللهِ فَنَتْرُكَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ خِيفَةَ مِنْهُمْ. وَمَنْ لَزِمَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ كَانَتْ الْعَاقِبَةُ لَهُ كَمَا كَتَبَتْ عَائِشَةُ إلَى مُعَاوِيَةَ: " أَمَّا بَعْدُ: وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ ". فَالْمُؤْمِنُ لاَ تَكُونُ فِكْرَتُهُ وَقَصْدُهُ إلاَّ رِضَا رَبِّهِ وَاجْتِنَابَ سَخَطِهِ وَالْعَاقِبَةُ لَهُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ. (مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٢٣٢/٣).

ثمرات رضا الله تعالى

١- محبة الله تعالى ثم محبة الناس:

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ..). رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صحيحه (٢٦٦) وصحيح الجامع (٦٠٩٧).

- رضي عن فلان: أحبَّه "لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ" معجم اللغة العربية المعاصرة (٩٠٣/٢).

- " التمس ": طلب، فإذا التمس العبد رضا ربه بنية صادقة رضي الله عنه؛ لأنه أكرم من عبده، وأرضى عنه الناس، وذلك بما يُلقي في قلوبهم من الرضا عنه ومحبته؛ لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يُقلبها كيف يشاء. (القول المفيد على كتاب التوحيد: ٤٩/٢)

٢- كفايةُ الله مؤنة الناس:

كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنِ اكْتُبِي إِلَيَّ كِتَابًا تُوصِينِي فِيهِ، وَلَا تُكْثِرِي عَلَيَّ، فَكَتَبَتْ عَائِشَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ: سَلَامٌ عَلَيْكَ. أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ. (سنن الترمذي: ٢٤١٤).

هذا من أعظم الفقه في الدين؛ فإن من أرضى الله بسخطهم، كان قد اتقاه، وكان عبده الصالح، والله يتولى الصالحين، والله كاف عبده، «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»، والله يكفيه مؤونة الناس بلا ريب. (الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد: ٥٨/١).

٣- رضا الله يخلّص العبد من سخط الناس:

لأن الله إذا رضي عن العبد أرضى عنه الناس والعبد إذا سعى في مَرضاة الله لا يُبالي بكلام الناس، أما المشكلة إذا سعى في مرضاة الناس فسيجد نفسه مُتعباً؛ لأنه لن يستطيع إرضاءهم فيعيش في شقاء أما من يسعى لرضا الله فلا يحسب لكلام الناس أي حساب ولن يتعبَ نفسياً ولو وصل إليه كلام الناس فلن يؤذيَه نفسياً و لن يبالي مادام الله راضياً عنه. (فصل الخطاب في الزهد: ٢٠٢/٦).

٤- نيل السعادة في الدنيا والآخرة:

- السعيد الذي لا يَعنيه إلا رضا الله، ولا يَعنيه الشر إطلاقاً، لا يلتفت إلى الخلق، لأنه على يقين أن رزقه بيد الخالق، لا بيد الخلق وأن قلوب الخلق لا تقبل إليه بالحب والبغض إلا بتقدير الخالق، فهذا لا يعلق قلبه بالمخلوقين لا بثنائهم، لا ببغضهم، ولا بذمتهم، ولا بحمدهم، بل يُعلق قلبه بربهم جل جلاله، فلا يعنيه إلا أن يقول: قال الله، قال رسوله بما يرضي الله سبحانه لا بما يُحصّل به رضا الناس، فمن قال لله لا يخشى في الله لومة لائم، بالحكمة البالغة، والموعظة الحسنة، أسعده الله في الدنيا والآخرة. (القضاء والقدر للصلابي: ٣٣٨/١).

شؤم تقديم رضا الناس على رضا الله:

تقديم رضا الناس على رضا الله له آثار خطيرة منها:

١- غضب الله تعالى عليه:

- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ، كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ). (صحيح الجامع: ٦٠٩٧)

- من التمس رضا الناس بسخط الله " أي: طلب ما يُرضي الناس أي خوفاً منهم حتى يَرضوا عنه، فقدم خوفهم على مخافة الله تعالى، ولو كان يسخط الله فنتيجة ذلك أن يُعامل بنَقيض قَصده، لهذا قال: سخط الله عليه وأسخط عليه الناس فألقى في قلوبهم سخطه وكراهيته. (القول المفيد على كتاب التوحيد: ٥٠/٢).

٢- كراهية الناس:

(من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس)، فالإنسان الذي يُريد أن يُحبه الناس وهو مُتول أمرهم فلا يُجامل في الخطأ، ولا يظلم إنساناً من أجل أن يُرضي إنساناً آخر، فالله يسخط عليه، ولن يُحبك الذين أنت تُجاملهم، بل لأنك تظلم الغير، فلن يُحبوك أبداً، لأنهم يَعلمون في أنفسهم أنك ظالم. (شرح رياض الصالحين لابن حطيبة: ٤/٥٢).

٣- سلط الله عليه الناس:

- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:

(وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ، وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ) سنن الترمذي (٢٤١٤).

- وَكَلَهُ إِلَى النَّاسِ يَعْنِي سَلَّطَ النَّاسَ عَلَيْهِ حَتَّى يُؤْذُوهُ وَيَظْلِمُوا عَلَيْهِ وَلَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ شَرَّهُمْ. (مرقاة المفاتيح: ٨/٣٢٠٤).

- قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٩).

- نُسَلِّطُ بَعْضَ الظَّلَمَةِ عَلَى بَعْضٍ فَيُهْلِكُهُ وَيُذِلُّهُ. هَذَا تَهْدِيدٌ لِلظَّالِمِ إِنْ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ ظُلْمِهِ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ ظَالِمًا آخَرَ. وَيَدْخُلُ فِي الآيَةِ جَمِيعُ مَنْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ أَوْ يَظْلِمُ الرَّعِيَّةَ، أَوِ التَّاجِرُ يَظْلِمُ النَّاسَ فِي تِجَارَتِهِ أَوِ السَّارِقُ وَغَيْرُهُمْ. وَقَالَ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: إِذَا رَأَيْتَ ظَالِمًا يَنْتَقِمُ مِنْ ظَالِمٍ فَقِفْ، وَانْظُرْ فِيهِ مُتَعَجِّبًا. (تفسير القرطبي: ٧/٨٥).

وصدق من قال: من أعان ظالما سلطه الله عليه.

أسباب تحصيل رضا الله تعالى:

١- الرفق واللين: قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥).

- ادع يا محمد الناس إلى دين الله وشريعته القُدسية بالأسلوب الحكيم، واللطف واللين، بما يؤثر فيهم وينجع، لا بالزجر والتأنيب والقسوة والشدة «وَجَادِلْهُم بالتي هِيَ أَحْسَنُ» أي وجادل المخالفين بالطريقة التي هي أحسن ومن طرق المناظرة والمجادلة بالحجج والبراهين، والرفق واللين «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بالمهتدين» أي إن ربك يا محمد هو العالم بحال الضالين وحال المهتدين. (صفوة التفاسير: ٢/١٣٧).

٢- اليقين التام بأن الله وحده بيده الخلق والأمر:

فهو الرازق والمحي والمميت فهو وحده المستحق بالعبادة والرضا حتى نستريح ولا نخاف إلا منه وحده؛ فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ». (سنن الترمذي: ٢٥١٦).

٣- عدم الخوف إلا من الله:

- يحكى لنا الملك سبحانه في كتابه العظيم قصة هؤلاء الأبطال العظماء الذين ضربوا لنا المثل والقدوة والثبات كالجبال على الحق ورضا لله رغم قوة البطش والتهديدات بقطع الأيدي والأرجل والتعليق داخل جذوع النخل وقالوا كلمات تكتب بدموع العيون الخاشعة لله تعالى.

- قال تعالى: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه: ٧١- ٧٣)، فازداد السحرة بعد هذا التهديد تمسكا بإيمانهم، وهانت عليهم أنفسهم وهانت عليهم الدنيا كلها من أجل رضوان الله.

اللهم ثبتنا على طريق الحق الذي يُرضيك عنا.